



دار اللغة العربية



دورات  
DAWAT

مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم الإعلام - دار اللغة العربية

رقم الإيداع في دار الوثائق

العراقية ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

[www.alh.imamhussain.org](http://www.alh.imamhussain.org)

E-mail: [daralarabia@imamhussain.org](mailto:daralarabia@imamhussain.org)

mob: +9647827236864 — +96447721458001

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ  
وَأَلْوَانِكُمْ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ

(مدقق الله العلي العظيم)

(الروم: 22)

## المشرف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير

الأستاذ لطيف القصاب

الهيئة الاستشارية

أ.د. حسين نصار/مصر - القاهرة

أ.د. محمود محمد الحسن/سوريا

أ.د. عبد العلي الودغيري/المغرب

أ.د. صاحب جعفر أبو جناح/العراق

أ.د. صباح عباس السالم/العراق

أ.د. كريم حسين ناصح/العراق

أ.د. رحيم جبر الحسناوي/العراق

أ.د. فاروق الحبوبي/العراق

أ.د. أحمد جواد العتابي/العراق

أ.د. مهدي صالح الشمري/العراق

مدير التحرير  
أ.م.د. خالد عباس السياب

سكرتير التحرير  
الأستاذ حيدر السلامي

الترجمة  
م.د. مؤيد عمران جواد  
الموقع الإلكتروني  
حيدر العامري

التصميم والإخراج  
سيف الدين الزامل  
المتابعة والتنسيق  
الأستاذ حسين صادق  
حسن العواذي  
علي سعد لطيف  
علاء الدين الحسني  
قاسم الموسوي  
مصعب هادي النعماني  
حسن الزهيري  
عباس الصباغ  
عامر هاشم

هيئة التحرير  
أ.د. مصطفى الضبع / مصر  
أ.د. منيرة محمد فاعور / سوريا  
أ.د. صادق حسين كنيج / العراق  
أ.م.د. محمد عبد مشكور / العراق  
أ.م.د. حيدر حبيب حمزة / العراق  
أ.م.د. حسن عبد الغني الأسدي / العراق  
أ.م.د. طلال خليفة سلمان / العراق  
أ.م.د. حسن جعفر صادق / العراق  
أ.م.د. نجم عبد الله غالي / العراق

التدقيق اللغوي  
أ.م.د. حسام عدنان الياصري  
م.د. حيدر عبد علي حميدي

No: "معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لبحر الارهاب" الرقم: ب ت ٤ / ٩٦٠٨  
Date: "معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لبحر الارهاب" التاريخ: ٢٠١٤/١٠/٢٢

### العتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة دواة

### تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ،وبناءً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لاغراض الترقية العلمية في "مجلة دواة"المختصة بالدراسات وابحاث اللغة العربية الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد  
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالة  
٢٠١٤/١٠/

وزارة التعليم العالي  
والبحوث العلمي  
Ministry of Higher Education & Scientific Research

نسخة منه الى:

- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

# المحتويات

- قواعد النشر..... ٧
- كلمة العدد..... ٨
- أ.د رعد هاشم عبود  
دلالات تقدم النعت في الجملة الفعلية على المفرد  
في السياق القرآني..... ٩
- ا. د. نهاد فليح حسن العاني  
اللغة في المرجع الثقافي والفكري للمجتمع..... ٢٣
- أ.د عبد الهادي خضير نيشان  
التشبيه الخاص في شعر المتنبي ..... ٤١
- د.أثير محمد شهاب  
في إشكاليات القراءة والتلقي من القارئ النمطي الى المشارك..... ٦٩
- د. عبدالجبار عبدالأمير هاني  
التغليظ في قراءة ورش تفسير ورأي..... ٩١
- د. عبد الفتاح يوسف  
العلامات والأشياء مدخل ظاهراتي ( فينومينولوجي) لدراسة العلامة..... ١١٥
- م. د. قصي سمير عيس العزاوي  
ظاهرة الترخص النحوي وتطبيقاتها في لغة القرآن الكريم..... ١٥٣
- م.م. بسام علي حسين العميري  
ملامح السيميولوجيا عند دي سوسير بين المفهوم والمرتكزة..... ١٧٣
- ا.م.د. نجم عبدالله غالي الموسوي  
أثر إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في التحصيل والاستبقاء لدى طلبة كلية التربية  
في مادة طرائق تدريس اللغة العربية ..... ١٩٧

# قواعد النشر

١. تنشر المجلة البحوث الأصلية الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والانكليزية في مجالات اللغة العربية و آدابها والدراسات التربوية.
٢. يقدم الأصل مطبوعاً على ورق (A4) بثلاث نسخ مع قرص مدمج (CD) بحدود (١٠٠٠٠\_١٥٠٠٠) كلمة وبخط simplified (Arabic)) على أن تُرقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بنظام (WORD 2007) .
٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الانكليزية كل في حدود صفحة مستقلة على أن يتضمّن الملخص عنوان البحث باللغتين.
٤. يجب أن تتضمّن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث و عنوانه ،وجهة عمله ورقم هاتفه وبريده الالكتروني . مع عدم ذكر اسم الباحث او الباحثين في صلب البحث أو أية إشارة إلى ذلك باللغتين العربية والانكليزية.
٥. يشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في آخر البحث وتراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق.
٦. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش وفي حالة وجود مصادر أجنبية تخصص لها قائمة منفصلة عن قائمة المصادر العربية ويراعى في ترتيبها نظام (الألف باء) .
٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره أو مصدره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .
٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى وعليه أن يشير إلى أنّ البحث قد قُدم إلى مؤتمر أو ندوة وانه لم ينشر ضمن أعمالها -إن شارك به في مؤتمر أو ندوة- ويشار إلى اسم الجهة العلمية أو غير العلمية التي قامت بتمويل البحث أو المساعدة في إعداده .
٩. يجب أن لا يكون البحث مستلاً من (رسالة أو أطروحة) جامعية ولم يسبق نشره وليس مقداً إلى أي وسيلة نشر أخرى .
١٠. تعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجهات فنية .
١١. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أ قُبلت البحوث للنشر أم لم تقبل وعلى وفق الآلية الآتية :
  - أ. يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسله للنشر .
  - ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع .
  - ت. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على أعدادها نهائياً للنشر .
  - ث. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
  - ج. يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه ومكافأة مالية .
١٢. يراعى في أسبقية النشر :
  - أ. البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار
  - ب. تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث
  - ت. تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها
  - ث. تنوع مجالات البحوث كل ما أمكن ذلك
١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه .

# كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

يصدر هذا العدد الجديد من (دواة) بحمد الله وبالصلاة على نبيه وآله الطيبين، تزامناً مع الاحتفال بالذكرى الأولى لانطلاقها فهو باكورة أعدادها في سنتها الجديدة.

وينتزه ملاك المجلة هذه المناسبة لتأكيد العهد وتوثيقه مع القراء والباحثين ومحبي العربية، للبقاء حراساً لهذه اللغة المقدسة الاصيلة لتكون من مصاديق قوله تعالى: ﴿لِسَانَ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ فهي، والقرآن حقيقتان متلازمتان لا انفصام بينهما حتى يقضى الله أمراً كان مقضياً.

ندعو باحثينا الكرام لمواصلة إنتاجهم الإبداعي الأكاديمي، لغة، وأدبا، ومعجماً، وبلاغة، ونقداً، وإدانة تواصلهم مع (دواة) من أجل ديمومة لغتنا ومواكبتها لمتطلبات المجتمع العربي في التعبير باللفظ الفصيح، والجزل، والتصحيح لما يستجد من معارفه الإنسانية والإبداعية وعلومه التطبيقية الصرفة.

أما قراؤنا الأعزاء، فنعدهم ببذل قصارى الجهد من أجل إخراج (دواة) إخراجاً يليق بهم وبها، على مستوى اختيار البحوث التي تعالج اللغة العربية وآدابها وقضاياها، تنظيراً وتطبيقاً.

وهنا، تنوه هيئة التحرير الى أنها تعكف حالياً على إصدار ملحق ب(دواة) يختص بإحدى الشخصيات العراقية، أو العربية، أو الإسلامية المتميزة بإبداعها اللغوي أو الأدبي، أو التربوي والمحبة لهذه اللغة القرآنية السامية، تعريفاً بها، واعترافاً لها بالفضل، وتشجيعاً منها للإبداع وأربابه، وللبحث الأكاديمي وأصحابه، وقد وقع الاختيار على الاستاذ الدكتور علي جواد الطاهر (رحمه الله).

إن الحفاظ على لغتنا نقية سليمة، نامية، وفي الوقت نفسه منفتحة، حية، يعني الحفاظ على شخصيتنا، واستقلالنا، وهويتنا العربية الإسلامية في عالم تحاول القوى العاشمة المتحكمة فيه طمس كل ما هو حضاري، والظعن بخصوصيات مجتمعاتنا، وآدابنا، وقطع الصلة بتراثنا العربي الإسلامي المجيد شيئاً فشيئاً بداعي التجديد المزيف أو التقليد الأعمى لكي يسهل بعدئذ فرض هذه القوى إرادتها، وقيمتها، وثقافتها، ولكن هيئات المبتغى، مادامت العناية الإلهية قد تكفلت بدحض أباطيل المرجفين وتغرصاتهم قال تعالى: ﴿وَيَأْتِي □ □ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورٌ﴾ ، والى عدد آخر بعونه تبارك وتعالى وبتوفيقه .

هيئة التحرير





## دلالات تقدم النعت في الجملة الفعلية على المفرد في السياق القرآني

Range of Meanings in anteceding the Epithet the Singular  
in the Verbal Sentence in the Quranic Context

أ.د. رعد هاشم عبود

جامعة ذي قار – كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

Prof.Dr.Raad Hashim Abood ,

ThiQar University , College of Education for Humanities ,  
Department of Arabic

## ملخص البحث

يتطرق البحث إلى ترتيب النعوت للمنعوت النكرة في السياق القرآني على أساس أن النحويين قد ذهبوا في ذلك مذاهب ثلاثة : إذ يرى سيبويه أن ذلك جائز في الكلام العربي ، ويرى ابن السراج وأيده ابن عصفور أن ذلك لا يجوز إلا في نادر الكلام أو في الضرورة الشعرية ، في حين عدّ ابن مالك تقدّم النعت المفرد على شبه الجملة ثم الجملة من باب الغلبة ، وبموازنة ذلك بما ورد في القرآن الكريم وجدنا الرأي الذي يقول بعدم الجواز لا يصمد أمام الدلالات التي تحملها النصوص القرآنية ؛ إذ يكون تقديم النعت الجملة الفعلية لأسباب هي :

١- أن يريد المشرّع تقديم العلاقة بينه وبين المؤمنين على العلاقة بين المؤمنين أنفسهم أو العلاقة بين المؤمنين والكافرين ، ويتضح هذا في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة/٥٤] .

٢- أن تقدّم الفعلية لأنّ الأهم مدلولها على سواها ؛ ولأنّ الكافرين نفوا حصول مدلولها ، يبدو ذلك في قوله تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعام/٩٢] ولأنّ (أنزلناه) تمثل جهة الانزال وهو الله تعالى وهي مقدّمة على ما يحصل من الكتاب من بركة وتصديق لما بين يدي الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) .

٣- أن تشير الجملة الفعلية إلى ذات المنعوت والمفرد يشير إلى أثره وعلى وفق ذلك يقدّم ما يشير إلى الذات على ما يشير إلى أثر ذلك. ويبدو ذلك في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف/٥٢]

٤- ثم ارتأت الدراسة إبقاء النعت على حاله نعتاً وإن تقدّم على المنعوت النكرة ؛ لاختلاف دلالة كلّ من النعت والحال ؛ ولأنّ القول بالحالية يبطل جواز تعدد النعوت في السياق الواحد.

٥- وأفادت الدراسة من كتب النحو القديمة والحديثة وكتب التفسير من مثل الكشاف للزمخشري ، والتفسير الكبير للفخر الرازي والدر المصون للسمين الحلبي وتفسير أبي السعود وروح المعاني للآلوسي وتفسير ابن عاشور وغير ذلك.

وأخيراً أرجو أن تنال الأفكار التي وردت وهنا الاهتمام والقبول ، وهي تتقبل النقد الذي يجعلها أكثر رصانة ونفعاً - والله من وراء القصد - .



## ❖ Abstract ❖

The study deals with the ordering of epithets in relation to the indefinite substantives in the Quranic context. Grammarians are divided into three approaches: Sibawayh believed that is possible in Arabic speech, while Ibin Al-Sarraj , supported by Ibin Isfur, believe that is impossible to occur , but only in rare cases or in poetic necessity, whereas Ibin Malik considered that a singular epithet preceding a phrase or a sentence takes place because of predominance . Concurrently, it is found that the view which believes in the impossibility of that case could not withstand the range of meanings conveyed by the Quranic texts .The epithet introduces the verbal sentence for some reasons.

1-the legislator wants to introduce the relationship between Him and the believers to the relationship among the believers themselves , or between them and the disbelievers as seen by His Almighty 's saying " O you who have believed, whoever of you should revert from his religion - Allah will bring forth [in place of them] a people He will love and who will love Him [who are] humble toward the believers"(Surat Al-Mā'idah , 54).

2- the verbal sentence should precede because its meaning is important rather than any thing else "And this is a Book which We have sent down, blessed and confirming what was before it,

3-And We had certainly brought them a Book which We detailed by knowledge - as guidance and mercy to a people who believe.(Al'araf,52)



## المقدمة

السائد في الاستعمال العربي ، لكنه لا يعني إطلاقاً عدم وجود أنماط أخرى خرجت على هذا النسق لدلالات أرادها منشئ اللغة ، وبالتأكيد هي مُراد في السياق القرآني وهذه الدراسة ترصد الدلالات التي ترافق تقدّم النعت الجملة على المفرد في السياق القرآني ، ويبدو ذلك في ما يأتي :

١- قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة/٥٤].

إذ يرى أبو حيان أنّ في هذه الآية دليلاً على بطلان من ذهب إلى عدم جواز تقدّم الفعلية على المفرد في السياق الذي يحتوي على نعتين أو أكثر إلا في ضرورة الشعر ؛ معللاً ذلك بأنّ الفعلية تشير إلى التجدد ؛ فلذلك قدّمها على المفرد ، ثمّ لما كانت العلاقة بين المؤمن وربّه أشرف من العلاقة بين المؤمن والمؤمن نراه قد قدّم الفعلية على المفرد<sup>(١)</sup> ثم نراه يتحدث عن الوصفين المتأخرين وهما : (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ؛ إذ يرى أنّهما جاءا نتيجةً للأوصاف السابقة ؛ ذلك أنّ الذي يحبُّ الله لا يخشى سواه ، كما أنّهما مساوقين (أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين) ، ولأنّ الخوف أعظم من الجهاد<sup>(٢)</sup> ، ويعلل السمين الحلبي تقديم (يحبهم) على (يحبونه) لشرف تلك المحبة وسبقها على محبتهم له تعالى ، يقول في ذلك : ((وقدّمت محبة الله تعالى على محبتهم لشرفها وسبقها إذ محبته تعالى لهم عبارة عن إلهامهم فعل الطاعات وإثابته إياهم عليها))<sup>(٣)</sup>

تحدّث النحويون عن ترتيب النعوت إذا جاء المنعوت نكرةً ، إذ يأتي النعت المفرد أولاً - وهذا هو القياس ثم بعد ذلك يأتي النعت الجملة على أساس أنّ المفرد أصلٌ والجملة فرعٌ عليه ، ولا ينبغي تقديم ما هو فرع على ما هو أصل إلا في ضرورة الشعر ، وهذا ما ذهب إليه ابن السراج<sup>(٤)</sup> ثم أيد ابن عصفور ما مال إليه ابن السراج ، يقول ابن عصفور : ((وإذا اجتمع في هذا الباب صفتان احدهما اسم والأخرى في تقديره قدّمت الاسم ، ثم الظرف أو المجرور ثم الجملة ... ولا يجوز خلاف ذلك إلا في نادر الكلام أو في ضرورة الشعر...))<sup>(٥)</sup> ، لكنّ سيبويه لم يقل بالمنع بل جوّز تقديم الفعلية على المفرد ، يقول : ((نحن قومٌ ننتقلُ عامدون إلى بلد كذا ، إن جعلته وصفاً ، وإن لم تجعله وصفاً نصبت ، كأنه قال : نحن ننتقلُ عامدين))<sup>(٦)</sup> ، وهناك من قال بغلبة تقديم المفرد على شبه الجملة وشبه الجملة على الجملة ، وهذا وجدناه عند ابن مالك إذ يقول : ((وإذا نُعت بمفردٍ وظرفٍ وجملةٌ قدّم المفرد وأخرت الجملة غالباً))<sup>(٧)</sup> ، ومال إلى ذلك الرضي<sup>(٨)</sup> ، والازهري<sup>(٩)</sup> . إنّ الرأي الذي يوجب تقديم المفرد على سواه ، إنّما ينطلق من الجانب المعياري في النحو العربي ، ويحكم المنطق في ذلك دون النظر إلى الأثر الدلالي الذي يصاحب الخروج على هذا الأصل الذي تبناه بعضهم ، أمّا الرأي القائل بالجواز فقد اهتمّ بالمعنى على حساب الجانب الشكلي ، واختطّ الرأي القائل بالغلبة منهجاً وسطاً بين المنهجين السابقين .

إنّ النمط الذي يبدأ بالنعت المفرد ، لاشكّ أنّه هو

وجعلُ النعت الثاني حالاً أمراً وجدناه عند النحويين والمفسرين على حدٍ سواء ، على أساس أن النعت الأول قد خصص المنعوت فأصبح به معرفةً ، ومن ثمَّ يكون الثاني حالاً ، وهو أمرٌ يتناقضُ والمبدأ الذي قرروه في تعدد النعوت ، فعلى هذا الأساس لا يكونُ في الجملة أو في التركيب إلا نعتٌ واحد فقط ، وموضوع تعدد النعوت يكون من الأوهام التي قرروها ، ثمَّ إنَّ ذلك يُلغي مسألة حاجة المنعوت أحياناً إلى أن تعرف أكثر من صفةٍ من صفاته المتعددة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر لا يصبح فارق بين حدِّ النعت والحال ، مع أنَّ النحويين قد وضعوا أوصافاً أو حدوداً لكلِّ منهما ، ومكانها كتب النحو ، وكتب التعريفات ، وبالإمكان الرجوع إليها ليتضح الأمر ؛ إلا أنَّ هذه الحدود غابَ عنها أمرٌ هام يتعلّق بمضمون كلِّ منهما ، وقصدي بالمضمون هنا ، ليس الغرض الذي سيق من أجله النعت ، مثل: المدح أو الذم وما إلى ذلك من أغراض النعت مثلاً ، بل قصدي أنَّ المنعوت له جملة مكونات ذاتية أو تكوينية أو جملة أجزاء ، وتأتي النعوت لتشير إلى كلِّ منها على حدة ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة/٢٥] فلقد وصفت الجنة بثلاث صفات في هذه الآية<sup>(١٢)</sup> ، بينت ما تتضمنه من مكونات ، وهي الأنهار الجارية والرزق والأزواج المطهّرة. وهذا الأمر لا نجد في الحال اطلاقاً ؛ لأنّه

، ومع أنّه يميل إلى التزام أن يكون ذلك من باب تعدد النعوت، وسبق الفعلية المفرد – كما سيتضح لاحقاً – وأنّه حلَّ ذلك تحليلاً دلاليّاً دقيقاً تعقّب فيه ترتيب هذه النعوت في هذه الآية؛ إلاّ أنّه يُشير إلى الرأي الآخر فيها وأنّه يمكن أن تكون جملة (يحبّهم، ويحبونه) جملة اعتراض جيء بها تأكيداً وتسديداً للكلام مثلما الحال في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة/٧٦] ، فقد كان الفصل بين النعت والمنعوت بجملة (لو تعلمون) ، وفي الآية التي نحن بصدها فقد فصل بين (قوم) و(أدلة) و(أعزة) بقوله (يحبّهم وتحبونه) ؛ ولذلك لا يكون لهذه الجملة محلٌّ من الإعراب ؛ لأنها جملة اعتراض<sup>(١٠)</sup> ، وإذا عدنا إلى تفسيره ذلك الترتيب للنعوت في هذه الآية وجدناه ينطلق من أنَّ الفعلية تفيد التجدد والحدوث والاسم يدلُّ على الثبوت والاستقرار ، يقول في ذلك : ((ووقع الوصف في جانب المحبّة بالجملة الفعلية لأنَّ الفعل يدلُّ على التجدد والحدوث ، وهو مناسبٌ فإنَّ محبتهم لله تعالى تجدد طاعاته وعبادته كلّ وقت ، ومحبّة الله إياهم تجدد ثوابه وأنعامه عليهم كلّ وقت ، ووقع الوصف في جانب التواضع للمؤمنين والغلظة على الكافرين بالاسم الدال على المبالغة دلالة على ثبوت ذلك واستقراره وأنّه عزيزٌ فيهم ، والاسم يدلُّ على الثبوت والاستقرار ، وقدم الوصف بالمحبّة منهم ولهم على وصفهم بأدلة وأعزة ؛ لأنهما ناشئان عن المحبتين ، وقدم وصفهم المتعلق بالمؤمنين على وصفهم المتعلق بالكافرين ؛ لأنّه أكذ وألزم منه ولشرف المؤمن أيضاً))<sup>(١١)</sup>.

وُضِعَ لأمر آخر ، وعلى هذا الأساس لا أميل أيضاً إلى عَدِّ النعتِ إذا تقدَّم على المنعوت النكرة حالاً ومثاله قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ... ﴾ [البقرة/٢٢] ؛ إذ جعلوا (لكم) حالاً من (فراشاً) ؛ لأنها نعتٌ تقدَّم على المنعوت ، وكذلك جعلوا (من الثمرات) حالاً من (رزقاً) لأنها نعتٌ تقدَّم على المنعوت<sup>(١٣)</sup> ، ذلك أنَّ الرزق في الآية المباركة قد وصف بوصفين ، يمثل كلُّ منهما جهةً معينة فهو أولاً (من الثمرات) وليس من شيءٍ آخر ثم هو ثانياً موجه للمخاطبين المخصوصين ، وإذا تعاملنا مع النعوت على وفق هذه الطريقة نكون قد لامسنا معنى كلِّ نعتٍ والهدف من وراء إطلاقه وابتعدنا عن التداخل في الموضوعات والاعتراضات التي توجه إلينا بسبب الاعتماد على ظواهر الأمور دون الغوص في المعاني المتوخاة ، ومثل ذلك يُقال أيضاً في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء/٩٥] ؛ إذ أجاز الزمخشري في (ملكاً) النصب على الحال ولم يتطرق إلى إعراب السماء<sup>(١٤)</sup> ، وهو أمرٌ أيده السمين الحلبي<sup>(١٥)</sup> ، وأبو السعود<sup>(١٦)</sup> ، ثم إنَّ أولَ مَنْ قال بهذا الأمر - أعني جعل النعت إذا تقدَّم على المنعوت النكرة حالاً - هو سيبويه ، قال : ((وذلك [قولك] هذا قائماً رجلٌ ، وفيها قائماً رجلٌ. لما لم يجز أن توصف الصفة بالاسم وقبح أن تقول : فيها قائمٌ فتضع الصفة موضع الاسم ، كما قبحُ مررت بقائمٍ وأتاني قائمٌ ، جعلت القائم

حالاً وكان المبنى على الكلام الأول ما بعده))<sup>(١٧)</sup> ، قال ابن السيرافي في توضيح ذلك : ((يعني أنَّ قائماً لا يجوز أن يكون وصفاً للاسم المتأخر ، وهو رجلٌ ولا يجوز أن يكون (قائمٌ) مبتدأ وهذا خبره ؛ لأنه لا يحسن أن تقوم الصفة مقام الموصوف في كلِّ حال ، ولا يجوز أن يكون (رجل) نعتاً لقائم ؛ فلما فُجِّحت هذه الوجوه ، وقد جاز عندهم أن يكون (قائم) الذي هو وصف النكرة حالاً فيها في الموضع الذي يحسن فيه الوصف))<sup>(١٨)</sup>.

والنحويون - بعد سيبويه - وضعوا مسوغات لمجيء الحال من النكرة ، لم يقل بها سيبويه واختار أبو حيان أن يكون ذلك بلا مسوغ، ومن هذه المسوغات أن يختص صاحب الحال بوصف أو إضافة أو أن يسبق بنفي أو نهي أو استفهام أو أن يتقدَّم الحال على صاحبها النكرة<sup>(١٩)</sup> ، وهذا الأمر لم يؤيده الدكتور فاضل السامرائي على أساس أن الحال لها معنى ، والصفة لها معنى آخر ، وأنه لا داعي للمسوغات التي اشترطها النحاة بعد سيبويه ، فسيبويه لم يشترط وجود أيِّ مسوغ ، وهذا هو رأي الخليل أيضاً ، ويرى أنَّ المسوغ هو المعنى ، وأنَّ تقديم الحال على صاحبها النكرة ليس لتسوية الحالية ، وإنما هو لغرض من أغراض التقديم وهو الاهتمام<sup>(٢٠)</sup>.

٢- قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ... ﴾ [الأنعام/٩٢] إذ أشار إلى تعدد النعوت في هذه الآية المباركة النحاس<sup>(٢١)</sup> ، والطبرسي<sup>(٢٢)</sup> ، والفخر الرازي<sup>(٢٣)</sup> ، دون الإشارة إلى الدلالة التي صاحبها الخروج على

(كتاب) يجوز أن يكونَ خبرَ مبتدأ محذوفٍ والتقدير : هذا كتابٌ ، وجملة (أنزلناه) صفة (كتاب) ، ويجوز أن يكونَ مبتدأً وجملة (أنزلناه) صفة (كتاب) ومبارك خبراً عن كتاب))<sup>(٢٨)</sup> ، لكنَّ ابن النحاس وأبا السعود والآلوسي يرون أنَّ ذلك من تتابع النعوت ، لكنهم لم يشيروا إلى دلالة هذا الترتيب<sup>(٢٩)</sup> ، ومما سبق يتضح أنَّ المفسرين المعتمدين في هذه الدراسة لم يتفقوا في إعراب لفظة (مبارك) ، فهم بين من جعلها نعتاً ثانياً أو خبراً لمبتدأ محذوف أو خبراً ثانياً أو حالاً ، وكلُّ ذلك أبوابٌ نحويَّة لها دلالاتها الخاصَّة ، غيرُ المتساوية فنحن بين من عدَّها عُمدةً وبين من عدَّها فضلةً ، وهذا بالتأكيد يترك بظلاله على النصِّ القرآني المجيد ، ويقف حائلاً دون فهمه فهماً صحيحاً ، وتلك الاحتمالات أجدها لا تبحث عن المفهوم أو المضمون بقدر تعلقها بالشكل وظواهر الأمور ، ولعلَّ مآلُ الأمر ههنا - والله أعلم - يتضمن مجالين هما :

**أ-** وصف الإنزال الذي يفيد التجدد والحدوث ، ويفيد جهة المنزل وأنها منه - سبحانه وتعالى - باتجاه الرسول الأكرم (ص) .

**ب-** وصف البركة التي تترتب على هذا الإنزال ، وهي الجهة المقابلة المخاطبة - أعني البشر - الذين إذا التزموا بهذا المنزل يتحصلوا البركة حتماً، وهذا الوصفُ متممٌ للوصف الأول؛ لأنَّه لو قيل : (وهذا كتاب أنزلناه اليك) لتَمَّ الكلام ، وأفاد معنى الإنزال فقط ، وبإضافة (مبارك) زاد الكلام بُعداً آخر وهو الإنزال والبركة ، وبهذا أرى أن يكون التعامل مع

الأصل النحوي ، وخالف ابن عاشور المفسرين في ذلك ؛ إذ عدَّ جملة (أنزلناه) حالاً من اسم الإشارة أو جملة معترضة بينه وبين خبره ، ثم جعل (مبارك) خبراً ثانياً ، و(مصدق) خبراً عن كتاب أو عطفاً<sup>(٢٤)</sup> . أمَّا السيد طنطاوي فقد مال بتفسيره ذلك ميلاً دلاليّاً ، فقد وصفه هنا بالإنزال - كما يرى - وقدمه على وصفه بالبركة ، بخلاف قوله تعالى في موضع آخر: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [الأنبياء/٥٠] ؛ لأنَّ الأهم هنا وصفه بالإنزال ؛ إذ جاء ذلك عُقيب إنكارهم أن ينزل الله على بشر من شيء ، بخلاف هناك ، ووقعت الجملة فعلية ؛ لأنَّ الإنزال يتجدد وقتاً فوقتاً ، في حين أنَّ البركة ثابتةٌ مستقرة ؛ لذلك جاءت بالاسم<sup>(٢٥)</sup> ، والى مثل هذا ذهب محيي الدين الدرويش ؛ إذ يرى أنَّ جملة (أنزلناه) في محل رفع صفة أولى لكتاب ، ومبارك صفة ثانية ، ومصدق صفة ثالثة ... وجاء بالصفة الأولى فعلية وهي جملة (أنزلناه) ؛ لأنَّ الإنزال يتجدد وقتاً بعد وقت ... ووقعت الصفة الثانية اسماً وكذلك الثالثة للدلالة على الثبوت والاستمرار وديمومة البركة<sup>(٢٦)</sup> .

ووجدنا الاحتمالات النحوية واضحةً في قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [ص/٢٩] ؛ إذ يرى السمين الحلبي أنَّ جملة (أنزلناه) نعت ، و(مبارك) خبر لمبتدأ مضمّر أو خبرٌ ثانٍ ، يقول في ذلك : ((لأنَّه لا يتقدّم عند الجمهور غير الصريح على الصريح ، ومن يرى ذلك استدلالاً بظواهرها ، وقد تقدّم هذا محرراً في المائدة))<sup>(٢٧)</sup> .

والى مثل ذلك مال ابن عاشور ، إذ يقول : ((فقوله

النص القرآني بحذر شديد ، وعدم إرغامه ليكون ضمن القوالب النحوية المتعارف عليها.

٣- قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأعراف/٥٢]

إذ أشار الفراء إلى جواز الخفض في (هدى ورحمة) على الاتباع للكتاب وأن ذلك صوابٌ لاشك فيه<sup>(٣٠)</sup> ، في حين عدّهما الزمخشري حالين من الضمير في فصلناه ، يقول في ذلك : ((وهدى ورحمة) حالٌ من منصوب فصلناه ، كما أنّ على علم حالٌ من مرفوعه))<sup>(٣١)</sup>.

وأوضح السمين الحلبي إعراب (فصلناه) على أنه نعت لكتاب<sup>(٣٢)</sup> ، أمّا (هدى ورحمة) فقد أعطى فيهما احتمالات إعرابية هي<sup>(٣٣)</sup> :

أ- النصب أمّا مفعول لأجله : أي فصلناه لأجل الهداية والرحمة أو أنه حال من الكتاب ، وجاز في ذلك لتخصّصه بالوصف ، أو حال من مفعول (فصلناه).

ب- الجرّ على التبعية لكتاب ، ووصف ذلك بالقراءة. وأرى أنّ ما ورد في الآية المباركة هو من تتابع النعوت ؛ إذ الكتاب مفصلٌ بالقياس إلى ذاته ومضمونه ، ثمّ هو هدىً ورحمةً بالقياس إلى أثره ، وكلا الوصفين جاء معبراً عن جهةٍ خاصّة ، ويمكن أن يقال: إنّ النعت الثاني والمعطوف عليه كانا نتيجةً للنعت الأول - والله أعلم-.

### نتائج البحث :

وأجزها بما يأتي :

١- إنّ النمط السائد في حال تعدد النعوت للمنعوت النكرة في السياق القرآني هو تقدّم المفرد على شبه الجملة والجملة ، لكنّ ذلك لا يبيح وصف ما جاء خارجاً عليه بعدم الجائز ، بل نقول : ذلك جائز وله دلالته الخاصّة بكل سياق.

٢- إنّ إحدى الدلالات التي رافقت هذا الخروج تتمثّل بتقديم ما يمثل العلاقة بين الخالق ، جلّ وعلا ، والمخلوقين ، على العلاقة بين المخلوقين أنفسهم ، واتضح هذا في آية ٥٤ من المائدة.

٣- ويكون ذلك أيضاً إذا كان السياق جواباً على تشكيك صدر عن الكفار في أن يكون الكتاب قد نزل على الرسول (ص) فقدم الجملة الفعلية ومعناها الإنزال على البركة ، وهذا يتضح في آية (٩٢) من الأنعام.

٤- أو أن تكون الفعلية مشيرة إلى ذات المنعوت والمفرد مشيراً إلى أثره في المخلوقين ؛ لذلك قدّم وصف الذات بالفعل على وصف الأثر بالمفرد ، وهذا يبدو في آية (٥٢) من الأعراف.

٥- لا تميل الدراسة إلى القول بإعراب النعت إذا تقدّم على المنعوت النكرة حالاً ، بل تجد أنّ ذلك يُبقي النعت نعتاً ، على أساس اختلاف معنى كلّ منهما ، ولأنّ ذلك القول يُبطل التعدد في النعوت.





## الهوامش

- ١- ينظر الأصول في النحو ٦٣/٢.
- ٢- المقرَّب ٢٤٧-٢٤٨ وينظر شرح جمل الزجاجي ٢١٧/١-٢١٨ ، وهمع الهوامع ١٨٥/٥.
- ٣- الكتاب ٤٩/٢.
- ٤- تسهيل الفوائد ٦٩
- ٥- ينظر شرح الرضي على الكافية ٣١٨/١.
- ٦- ينظر شرح التصريح ١٢٠/٢.
- ٧- ينظر البحر المحيط ٥٢٤/٣.
- ٨- ينظر نفسه ٥٢٤/٣-٥٢٥.
- ٩- الدر المصون ٣٠٧/٤.
- ١٠- ينظر نفسه ٣٠٨/٤.
- ١١- الدر المصون ٣١٠/٤.
- ١٢- ينظر الدر المصون ٢١٣/١-٢٢١.
- ١٣- ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ٦٤/١.
- ١٤- ينظر الكشاف ٩٦٤/٢.
- ١٥- ينظر الدر المصون ٤١٢/٧.
- ١٦- ينظر إرشاد العقل السليم ١٥٩/٤.
- ١٧- الكتاب ١٢٢/٢.
- ١٨- شرح أبيات سيبويه ٤١٩/١-٤٢٠.
- ١٩- ينظر شرح التسهيل ٣٣٢-٣٣١/٢ ، والارتشاف ١٥٧٧/٣.
- ٢٠- ينظر معاني النحو ٢٥١/٢-٢٥٣.
- ٢١- ينظر إعراب القرآن ٣٨٠/١.
- ٢٢- ينظر مجمع البيان ٤١٦/٤.
- ٢٣- ينظر التفسير الكبير ٣٧٥/٦-٣٧٨.
- ٢٤- ينظر التحرير والتنوير ٣٣/٥.
- ٢٥- ينظر التفسير الوسيط ١٥٠٠/١.

- ٢٦- ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ٤٠٨/٢-٤٠٩ .
- ٢٧- الدر المصون ٣٧٣/٩-٣٧٤ .
- ٢٨- التحرير والتنوير ١٤٨/٢٣ .
- ٢٩- ينظر إعراب القرآن ٣١٠/٣ ، وارشاد العقل السليم ٣٦٠/٥ ، وروح المعاني ١٨١/١٢ .
- ٣٠- ينظر معاني الفراء ٣٨٠/١ ، وينظر جامع البيان ٤٧٧/١٢ .
- ٣١- الكشاف ١٠٩/٢ .
- ٣٢- ينظر الدر المصون ٣٣٦/٥ .
- ٣٣- ينظر نفسه ٣٣٦/٥-٣٣٧ .



## المصادر والمراجع

- ١- ارتشاف الضرب في معرفة كلام العرب/ أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) تحقيق وتعليق : د.مصطفى أحمد النمّاس ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
- ٢- الأصول في النحو/ ابن السراج (ت٣١٦هـ) تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي ، الجزء الأول مطبعة النعمان، النجف الاشرف، والجزء الثاني مطبعة سليمان الاعظمي، بغداد ، ١٩٧٣م.
- ٣- إعراب القرآن / أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، وضع حواشيه وعلّق عليه ، عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- ٤- إعراب القرآن الكريم وبيانه / محيي الدين الدرويش ، منشورات كمال الملك ، ط٢ ، مطبعة سليمان زادة ، (١٤٢٨هـ).
- ٥- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور/ محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- ٦- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد/ ابن مالك (ت٦٧٢هـ) حققه وقَدّم له ، محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- ٧- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود (ت٩٨٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- ٨- تفسير البحر المحيط/ أبو حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١ ، ٢٠٠١م .
- ٩- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب/ فخر الدين الرازي (ت٦٠٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- ١٠- التفسير الوسيط/ محمد سيد طنطاوي ، ضمن المكتبة الشاملة الالكترونية .
- ١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م .
- ١٢- الدر المصون / السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) تأليف : د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق .
- ١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / الألوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- ١٤- شرح أبيات سيبويه / ابن السيرافي (ت٣٨٥هـ) ، حققه د. محمد علي الريح هاشم ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٤م .
- ١٥- شرح التسهيل/ ابن مالك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- ١٦- شرح التصريح على التوضيح / خالد الازهري (ت٩٠٥هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
- ١٧- شرح جمل الزجاجي/ ابن عصفور الأشبيلي

العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧٩ق ، ١٣٣٩ش.  
٢٢- معاني القرآن/ الفراء (ت٢٠٧هـ) ، ج ١ تحقيق:  
أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ج ٢ تحقيق:  
محمد علي النجار ، ج ٣ تحقيق: د. عبد الفتاح شلبي  
وعلي النجدي ناصف ، دار السرور.  
٢٣- معاني النحو/ د. فاضل صالح السامرائي،  
مطبعة التعليم العالي، الموصل ، ١٩٨٩م.  
٢٤- المقرّب/ ابن عصفور الأشبيلي ، تحقيق : د.  
أحمد عبد الستار الجواري ، ود. عبد الله الجبوري ،  
مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧١م.  
٢٥- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع / السيوطي  
(ت٩١١هـ) ، تحقيق وشرح : د. عبد العالم سالم  
مكرم، دار البحوث العلمية، ساعدت جامعة الكويت  
على نشره، ١٩٧٩م.

(ت٦٦٩هـ) ، تحقيق : د. صاحب أبو جناح ، طبع  
بمطابع دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٢م.  
١٨- شرح الكافية / الرضي الاستربادي  
(ت٦٨٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،  
١٩٨٥م.  
١٩- الكتاب/ سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح  
: عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، ط ٣ ،  
١٩٨٣م.  
٢٠- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل  
في وجوه التأويل/ جار الله الزمخشري (ت٥٢٨هـ)  
، رتبه وضبطه وصححه : مصطفى حسين أحمد ،  
مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٦م.  
٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي  
(ت٥٤٨هـ) وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق  
عليه : هاشم الرسولي المحلاتي ، دار إحياء التراث









اللغة في المرجع الثقافي والفكري للمجتمع  
Language in Cultural and Ideological Reference of  
Society

ا . د . نهاد فليح حسن العاني  
الجامعة المستنصرية

Prof.Dr. Nihad Flaih Hassan Al-Ani,  
Mustansiriya University

## ملخص البحث

يكشف البحث عن العلاقة بين ثلاثة مفاهيم إنسانية معرفية هي: اللغة والثقافة والفكر من خصائص الإنسان في مجتمعه ومن هنا هدف البحث إلى (انسنة) هذه المفاهيم الثلاثة التي ما زال الصراع قائما بينها عند علماء المعرفة الإنسانية للقول بدرجة التأثير والتأثير فيما بينها. وجد البحث أن المفهوم الاجتماعي لمصطلح لغة له خصائص متعلقة بالجانب الثقافي والجانب الفكري للمجتمع واتخذ من المجتمعات المعاصرة والشعوب الحية اليوم وما يحدث فيها من صراع نماذج تطبيقية للكشف عن هذه العلاقة مثل مقاطعة هونك كونك في الصين وتركيا ودول جنوب شرق آسيا مثل ماليزيا واندونيسيا ومانيمار وغيرها. إذ لاحظ أن بين اللغة وثقافة المجتمع ملامح من التأثير والتأثر كما أن بينها وبين (الفكر) قوة من التأثير الخفية إذ جعلت اللغة نفسها وعاء للفكر فهو يتجسد في عناصرها ونظام العلاقات بينها ومن هنا كان لظاهرة اللغة صفات ومميزات تحملها على السيطرة على فكر المجتمع تعرف ب (القيمة الذاتية) لقد كان هدف البحث الوصول إلى نتيجة مفادها أن ثقافة أي مجتمع لن تتقدم بل لن يتطور المجتمع بكامله من دون نمو فكري مستمد من فلسفة اللغة المصاحبة لنمو عقل الإنسان الذي له السيطرة على وعيه وفكره حتى يبلغ درجة (الفهم) و التواصل عن طريق هذه الظاهرة التي تحدد سلوكه وتجعله مناسباً لسلوك مجتمعه ومفاهيمه و ثقافته وكلما زادت خبرته الثقافية والفكرية زاد احتمال فهمه الكامل لما يسمع و يتحدث حتى يصل درجة (الفهم المتبادل) وهو الذي تتحقق فيه عملية التواصل اللغوي في المجتمع.





## Abstract

The paper deals with the relationship among three human and cognitive concepts : language , culture and ideology which represent human characteristics. The research aims at humanize these three concepts which are in struggle to the scholars of Human and cognition in the way in which each has an effect on or being affected by the other .The research has found that the social concept of language has to do with the particularities related to the cultural and ideological sides of the society.The research chooses the contemporary societies and living nations and what is happening to them as practical examples to clarify this relationship.The societies are Hong Kong region in China , Turkey , north East Asian countries , such as Malaysia , Indonesia , and Myanmar.

It is noticed that features of influence exist between language and social culture , and in addition there is a force of hidden influence between them and ideology which makes language itself a container of ideology embodied in its components and the relationships between them.Hence the apparent language qualities and characteristics sustain it to control the ideology of a community, known as the intrinsic value.



## المقدمة

من آيات الله لغة الوحي وبيانه التي خصّ بها الإنسان، حتى أصبحت أداة التواصل الأولى في المجتمع الإنساني، حينما وجدت اللغة صار الإنسان وجوداً موصولاً بنفسه وبأفكاره ومشاعره ومجتمعه وثقافته وحضارته، حتى صارت اللغة طريق الإنسان إلى الإبداع والثقافة ونمو الفكر وبما أن الفكر أو العقل من ميزات الإنسان امتزجت ظاهرة اللغة بعقول البشر ونفوسهم حتى سما بها الإنسان على غيره من مخلوقات الأرض. فاللغة تفصح عن الفكر وما يكتننه ويدركه والفكر هو المسؤول الأول عن إنتاج اللغة، وتوفرت قناعة الدارسين أن ثنائية اللغة والمجتمع تقتضي تفسير البنى اللغوية وأساليبها انطلاقاً من مستوى المجتمع الثقافي فاللغة تجليات لطواهر المعارف والعادات والتقاليد في المجتمع.

من هنا ظهرت في الدراسات العلمية المختلفة نزعة الكشف عن العلاقة بين مفاهيم ومصطلحات: اللغة، والثقافة، والفكر. وجاء بحثنا هذا اسهاماً متواضعة ضمن المحور الثالث من محاور هذا الحقل العلمي: اللغة والمجتمع، وجاءت طبيعة البحث في مقدمة وثلاثة محاور موجزة هي: المبحث الأول: في المفهوم الاجتماعي لمصطلح (لغة) وخصائص هذا المفهوم المتعلقة بالجانب الثقافي والفكري للمجتمع. والمبحث الثاني: اللغة والمرجع الثقافي للمجتمع والتأثير والتأثير الثالث: اللغة في المرجع الفكري للمجتمع الأصول والفرضيات.

كشفت البحث أن لمصطلح لغة مفاهيم متداخلة بحسب نظر الفكر الإنساني إليها كالفكر اللغوي أو الانثروبولوجي أو الفلسفي أو النفسي أو الفسلجي أو السياسي أو الوطني أو القومي.

أما عن علاقة اللغة بالمرجع الثقافي للمجتمع فهي دراسة ألتمزمتها فرضية (انسنة اللغة و الثقافة) إذ أردنا الإثبات بإيجاز أن نفس المشكلات المنهجية القائمة في دراسة اللغة هي التي تعترض طريقنا عند دراسة المفاهيم والقيم الثقافية واصولها في مجتمع ما.

أما عن جدلية اللغة والفكر فالبحث ينطلق من مقولة الفلاسفة الخالدة: اللغة وعاء الفكر وكلمة فكر تشمل كل أنواع النشاط العقلي في مجال علم النفس المعرفي.

توصل البحث إلى أن ملكة اللغة تتأثر بالفكر والفكر يرسم مرجعيته بها لأنها مظهر من مظاهر السلوك الإنساني الذي له قابلية السيطرة على الفكر وتوجيهه باتجاه معين يتناسب وسلوك المجتمع عامة.

لن نتقدم ثقافة مجتمع ما بل لن يتطور المجتمع بكامله من دون نمو فكري مستمد من فلسفة اللغة التي تتابع متغيرات المجتمع وتدرسها وتقدم خلاصات لكل مثقف أو أكاديمي أو مبدع.

## المبحث الأول

في المفهوم الاجتماعي لمصطلح لغة وتعلقه بالجانب الثقافي والفكري للمجتمع تعد اللغة الظاهرة الاجتماعية الأولى في أي مجتمع بشري ومن بواكير تحديد مفهومها أنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)<sup>(1)</sup> ففي كل مجموعة ناطقة توجد هذه السلسلة من الأصوات الدالة (الرموز اللغوية) أو (الصوتية) phonoeticsymbols وهذه الرموز تنتج ما لا يمكن حصره من المعاني للتعبير عن الفكر وهي محكومة بنظام خاص يختلف من مجموعة لغوية إلى أخرى فكل مجتمع لغته الخاصة به ونظامه اللغوي المحدد وأن كانت اللغات الإنسانية تلتقي في كثير من أوجه التشابه في أنظمتها اللغوية بما يسمى ب (العموميات اللغوية) Lang uageuniversais ولكن هذا التشابه في الأسس العامة للغات البشرية لا يمنع من القول باستقلالية الظاهرة وخصائصها المميزة وأسلوب استخدامها ما دامت هي دليل الواقع الاجتماعي الخاص بكل مجموعة ناطقة فالبشر يوجدون تحت رحمة اللغة الخاصة بهم التي أصبحت الوسيط للتعبير عن مجتمعهم ومن الوهم التصور أن الإنسان يتكيف مع الواقع من دون استعمال اللغة... وحقيقة الأمر هي أن العالم الحقيقي هو إلى حد كبير مبني بطريقة لا شعورية على أساس عادات الجماعة في استخدام اللغة ولا توجد لغتان متشابهتان بدرجة تكفي لعددهما يمثلان الواقع الاجتماعي نفسه، والعالم التي تعيش فيها المجتمعات مختلفة هي عوالم تتميز من بعضها<sup>(2)</sup>. أذن مفهوم لغة كانت له

وما تزال في عالم المعرفة مفاهيم ومداخل مختلفة بحسب نظر الفكر الإنساني إلى هذه الظاهرة كالفكر اللغوي بما فيه اللسانيات الاجتماعية والفكر الفلسفي وعلم الأنثروبولوجيا وعلم النفس والفكر السياسي بإبعاده القومية والوطنية وغيرهم من المفكرين ، فوجدنا أنفسنا أمام جملة من المفاهيم والمصطلحات والوظائف التي تُعزى إلى هذه الظاهرة وهي في إطارها الاجتماعي.

اللغة في الفكر الاجتماعي تعني (اللغة المتواضع عليها) Standard Language وهذه الظاهرة تكتسب أهميتها من علاقتها المتميزة بالمجتمع، إن اللغة المتواضع عليها قد تطورت نتيجة لتدخل المجتمع المباشر والمقصود في تداولها وهي لم تكن من قبل سوى لهجات أي نوعيات لغوية خاصة ثم تليها مرحلة الاختبار selection إذ ينبغي أن يقع الاختيار على نوعية بعينها من هذا النظام المستخدم في التواصل Communication بصورة أو بأخرى كي تصبح النوعية الصالحة للتطور إلى مستوى اللغة المتواضع عليها. إن علم اللغة الأكاديمي القديم أو المعاصر لا يظهر إلا في المجتمعات ذات اللغات المتواضع عليها مثل الوطن العربي وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة لأن اللغة الأولى التي يهتم بها علماء اللغة في هذه المناطق من الكرة الأرضية هي - لغتهم - وهي لغة متواضع عليها<sup>(3)</sup> والملاحظ أن اللغات المتواضع عليها هي الأوسع انتشارا في وسائل الاتصال المختلفة وفي المحافل الدولية وفي نقل العلوم والمعارف والتكنولوجيا لأن معيار الفهم فيها

أكثر من غيرها بسبب انتشار استخدامها. **Mutual intelligibility** وهذه الدرجة من الفهم المتبادل التام بين المتكلمين بتلك اللغة جعلها ذات الأثر المباشر في القيم الفكرية والثقافية للجماعة الناطقة بها، إن علاقة (الفهم المتبادل) علاقة لازمة قائمة بين الناس وإنّ درجة هذا الفهم لا تعود إلى نوعية اللغة بعينها بل تعتمد على خصائص المتحدثين وخلفيتهم الثقافية والفكرية، ومن أهم خصائص المتحدث (الدوافع **motivation** بمعنى الجهد الذي يبذله المتلقي لفهم المتكلم لذا نرى المتلقي - أحيانا - لا تكون دوافعه نحو الفهم قوية بما فيه الكفاية فيظهر جليا أنه لا يريد أن يسمع أو يفهم، إنّ الخبرة السابقة للمتلقي - الثقافية والفكرية - لها أثر في فهم ما يسمع أو يدرك ومن البديهي كلما زادت خبرته بهما في مجال الحديث الذي يستمع إليه زاد احتمال فهمه الكامل لما يسمع أو يتحدث، وبذلك أصبح الفهم المتبادل المعيار الذي يتحقق فيه عملة التبادل اللغوي وليس من الضروري أن يكون هذا الفهم (كامل التبادل) **heedhotbe vecipvocaLL** لا تتوفر لكل من المتلقي والمتكلم القدرة نفسها من الدوافع حتى يفهم أحدهما الآخر (٤) لذا من الأيسر عليهما التحدث باللغة المتواضع عليها النظامية الصحيحة أو ما يعرف بالفصحى وكلما خضعت اللغة لنظام كان الفهم بها في المجتمع أيسر، يذكر عالم اللغة سوسير (ت ١٩١٣م) في ملكة اللغة: أنها نظام من الإشارات المتميزة يرتبط بأفكار متميزة فاللغة نظام من الرموز الصوتية أو مجموعة من الصور اللفظية تختزن في أذهان أفراد

الجماعة اللغوية وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها. (٥) لقد بنى سوسير تصوره على أن اللغة نسق منظم من العلامات وحدد مفهوم العلامة بأنها عبارة عن اتحاد لصورة صوتية هي الدال و تصور ذهني هو المدلول وإذا كان الدال يندرج تحت النظام المادي لأنه عبارة عن أصوات أو شارات أو صور محسوسة فإنّ المدلول يندرج تحت النظام الذهني (الفكر) لأنه يتحد على مستوى المضمون فكفر أو معنى لكل شيء أو موضوع محسوس (٦) فاللغة المتواضع عليها يحكمها نضام أو معنى يحدد علاقة عنصرها الدال و المدلول الأول صوت والأخر فكرة ولا يمكن فصل أي وجه منهما عن الآخر فاللغة في ضوء هذا المفهوم: جهاز كامل من وسائل التفاهم المستعملة في مجموعة بشرية بعينها بصرف النظر عن الكثرة العددية لهذه المجموعة البشرية أو قيمتها من الناحية الحضارية (٧) فالحجم أو الكثرة العددية ليس معيارا تقاس به أهمية اللغة أو تطورها الحضارية فالانتشار يختلف من لغة إلى أخرى بحسب طبيعة اللغة ومحاولتها عبور حدود اللغات الأخرى وتوسيع استعمالها من طريق الازدواج اللغوي **Bilingualism** أو صراع اللغات لأن اللغة تمثل ركنا أصيلا من اركان اي حضارة أو ثقافة ولغات البشر يتأثر بعضها ببعض ولاسيما المتجاورة منها وعامل التأثير هذا هو الذي يرفد اللغة عبر تطورها التاريخي.

وسبب انتشار لغة وضمور أخرى يعود لأسباب انفعالية كشعور المغلوب أو المهاجر بالرغبة في

إلى الصين وقد استمرت فيها لغتان في صراع بين الصينية والانجليزية وبنفس المستوى من التداول بوصفهما لغتين رسميتين مشتركتين. بحيث تنتشر الوثائق الرسمية باللغتين معا وفرضت الصين أن تكون الوثيقة باللغة الصينية هي النسخة المهيمنة وهذا الصراع تولد عنه صراع ثقافي ظهر في مجتمع المقاطعة يرفض فيه هذه القيم الثقافية في الدولة الأم أو الأصل كما نرى اليوم من ملامح هذه الصراع في الأعلام. <sup>(١٢)</sup> وفي رأينا أن القيمة الذاتية تفسر على أنها سبب من أسباب انتشار بعض اللغات في العالم القديم واستمرارها مثل فروع من شجرة اللغات السامية كالعربية والعبرية وفروع من أسرة اللغات الهندو أوروبية كالإنكليزية وغيرها <sup>(١٣)</sup> ويعزو علماء اللغة صراع اللغات (تفوق اللغة على أخرى) إلى العوامل الحضارية الفكرية والثقافية بل تعدّ هذه من أهم عوامل الصراع لأنّ صراعها للأداة التدوينية للحضارة وهي اللغة <sup>(١٤)</sup>. فاللغة هي التي تخلق التواصل بين الجنس البشري إذ يستحيل على هذا الجنس العيش في عزلة ومن هنا تبدو الحاجة إلى اللغة حاجة ضرورية لازمة للتواصل الفكري لقد أصبح للغة هوية مميزة في الصراع والقدرة والذاتية والتواصل والنمو والتطور وفي كيفية الوظيفة التي تؤديها وأصبح للجنس البشري استقلالية العقل اللغوي الذي يختلف باختلاف القيم الحضارية والثقافية والفكرية لقد بسط المفكر اندرسون (ت ١٩٩١م) فكرة أن اللغة هي الأساس الذي يقوم عليه تحيّل الأمة وهذا تنبيه مفرط للباحثين عن صلة اللغة الأم

تمثيل لغة المجتمع أو البلد المهاجر إليه لرفع الشعور بالضعة عنه وهذا ما نجده في المهاجرين إلى الولايات المتحدة من القوميات المختلفة التي تشعر أو تتوهم أنها دون البيئة الجديدة ثقافة <sup>(٨)</sup> ويعد (الإقناع) من الأسباب الأساسية لانتشار لغة وإحجام أخرى ((فإن المجتمعات الناطقة بتلك اللغات تمكنت من إقناع آخرين بالانضمام إليها وهكذا توسعت، ودوافع الإقناع هذه قد تكون شديدة التنوع تشمل السيطرة العسكرية والآمال بالازدهار والإثراء أو اعتناق دين آخر أو الدوام في المدارس الداخلية وغيرها)) (ولكن هذا الإقناع في الأساس هو الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تنتشر بها اللغة وهو ليس شيئا صغيرا كما يعرف أي شخص حاول أن يتعلم لغة أخرى <sup>(٩)</sup> وتختلف قدرة اللغات على مقاومة التأثير من لغة إلى أخرى تبعا لقوة اللغة على المنافسة وتأثيرها في غيرها أو قدرة اللغة على دفع ما يمكن دفعه من عوامل التأثير <sup>(١٠)</sup>.

و (للقيمة الذاتية) للغة أهميتها في مجال الصراع اللغوي والمقصود بالقيمة الذاتية البنى اللغوية ومدى قوتها في التصدي حين تتعرض لغتان للصراع، ولا شك في أن اللغات تختلف من حيث المقدار في قيمتها الذاتية باختلاف بناها وقابليتها في الصمود تجاه بعضها <sup>(١١)</sup> كصمود اللغة العربية - على سبيل المثال - أمام موجات الغزو المتعاقبة على الأمة العربية، أو الاحتلال البريطاني لمستعمرة هونك كونك من عام ١٨٤١م إلى عام ١٩٩٧ وبمقتضى المعاهدة بين بريطانيا والصين انضمت المقاطعة

أو القومية بالأمة الذي تمثلها فتاريخ اللغات والأمة يشكل أحدهما أساساً لمبنى الآخر<sup>(١٥)</sup>. اللغة في هذه الأهمية (حقيقة اجتماعية تنبغي دراستها في ضوء علاقتها بالمتحدثين بها على وفق قيمهم الفكرية والثقافية ومشاعرهم النفسية فإذا كانت ظاهرة إنسانية) التقت فيها الحياة (الذهنية) والحياة الثقافية للمتكلمين بها فهي وسيلة للتفاهم والالتقاء ناتجة من الاحتكاك الاجتماعي ولهذا صارت من أقوى العرى التي تربط الجماعات وقد دانت في نشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي فهي ضرورة اجتماعية وثقافية ونتاج الجماعات ومقتضيات العمران تنشأ في أحضان المجتمع يوم يحس أفرادها بالحاجة إلى التواصل والتفاهم فيما بينهم.<sup>(١٦)</sup>

### المبحث الثاني

#### اللغة والمرجع الثقافي للمجتمع

ذكرنا أن اللغة نظام ينتمي إلى مجموعة كبرى من الأنظمة التي تؤلف بمجموعها الثقافة culture وأنّ العالم الذي يدرس الأنظمة داخل مجتمع معين عليه أن ينظر إلى جدلية ثنائية تتجسد في اللغة والثقافة أو اللغة والفكر على نحو ما بنى سوسير تصوراته اللغوية بما يسمى بسلسلة الثنائيات كثنائية اللغة والكلام، وثنائية الدال والمدلول، والتزامن والتعاقب والثابت والمتطور وغيرها.<sup>(١٧)</sup> والثقافة كمصطلح يختلف باختلاف الفكر الذي تمثله يعيننا هنا المتصل بعلم اللغة وعلم الاجتماع إذ يؤكد علم اللغة أنه لا توجد فواصل بين ظاهرة اللغة وثقافة

المجتمع ولا يمكن التحدث عن انفصالهما لأن الكثير من الخصائص التي أوضحناها هي خصائص الثقافة بصفة عامة وإن أفضل سبيل إلى دراسة المعنى اللغوي أو الدلالة اللغوية هو دراسته من ناحية علاقته ب (الثقافة والفكر) فالثقافة كل ما يميز الفرد من خصائص وتقاليد وعادات وأفكار وهذه هي التي تميز جماعة من غيرها فالثقافة المعرفة المكتسبة اجتماعياً وقوامها الحصيلة النهائية للتعلم والمعرفة بأكثر معانيها عمومية والمعرفة إنمّا طريقها الأمثل هو اللغة لذا أصبح عند علماء المجتمع التمسك بعقد الصلة بين الثقافة واللغة لأن العلم لغة أتقن وضعها، وإذا كانت الثقافة نوعاً من المعرفة فيعني ذلك أنها لا توجد إلا داخل المجتمع الإنساني<sup>(١٨)</sup> وفي مرجع هذه العلاقة ساد مفهوم (انسنة الثقافة واللغة) في دراسات علم اللغة وعلم الانثروبولوجيا، حتى أصبحت الأساليب والتجارب المستخدمة في قياس كل ظاهرة منهما مشتركة ((وقد تم استخدامها بالفعل في كل من علم الانثروبولوجيا الثقافية وعلم اللغة... ويعني ذلك بإيجاز أن نفس المشكلات المنهجية القائمة في دراسة اللغة هي التي تعترض طريقنا أيضاً عند دراسة الثقافة))<sup>(١٩)</sup>.

يذكر أقطاب الفكر اللغوي: أن الثقافة البشرية والسلوك الاجتماعي والتفكير لا توجد في غياب اللغة، لقد حاول هؤلاء الكشف عن العلاقات الاجتماعية بين اللغة بوصفها إنتاجاً حضارياً وثقافياً والمجتمع الناطق بها وحددوا الفوارق اللغوية في المجتمع الواحد بسبب فوارق جغرافية واقتصادية وبيئية

الأداء في مهارات لغوية مختلفة تنقل فيها تفكيرك فالنهضة الحضارية من آثار العبقورية الذاتية للغة. والتبادل الثقافي يقوم أساساً على التبادل اللغوي بين حضارات العالم إذ تشترك أغلب اللغات العالمية المعروفة بخصائصها العامة المعروفة الصوتية والصرفية والتركيبية وعلاقة عناصر اللغة داخل النص - على ما ذكرنا سابقاً - إلا باختلاف نسبي في الظواهر الخاصة الأخرى. وأخرى المستشرق ماسنيون عام ١٩٥٧م دراسة مقارنة بين العربية والفرنسية تلمس الفروق الفرعية بينهما واشتركاها في أصول وقواعد ومقاييس تكاد تكون واحدة إلا في فروق نسبية بينهما ليكشف أن كل نهضة حضارية ترتبط بملاءمة لهذه النهضة وخدمتها فالاشتراك في نظام اللغات العالمية له الأثر المباشر في نقل الحضارات والتبادل الثقافي بين الأمم. (٢٢) إن لكل ثقافة مضامينها المعرفية المختلفة من مجتمع لآخر ولكل مجتمع مفاهيمه الثقافية التي ليست بالضرورة أن تكون صحيحة من الناحية الموضوعية ومهمة اللغة نقل هذه الوحدات الثقافية وأهم هذه الوحدات المعرفية عند علماء الانثروبولوجيا تلك التي تعرف بالمعرفة العادية الشائعة: Common-sense knowledge وهذه المعارف الشخصية عند العلماء والمتقنين تعد جزءاً من المعرفة الثقافية العامة ويرى عالم اللغة الاجتماعي (هدسون) أن عملية التأثر والتأثير بين المعرفة العادية الشائعة والمعرفة الشخصية الذاتية متبادلة بين الطرفين (٢٣).

لقد أدرك الفكر السياسي والأيدلوجي هذه العلاقة

وثقافية تؤدي إلى تباين داخل القطر أو البلد الواحد. فمشكلة علم اللغة المستقبلية - كما يزعم هؤلاء -: ستكون الدراسات التجريبية لوظيفية اللغة الاجتماعية ولهذا صارت دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة اليوم قضية مهمة تتناسب مع النمو الفجائي للغة في مجالاتها المختلفة وقوة تأثيرها (٢٠).

إن التحصيل الثقافي يمكن الفرد من (الأداء اللغوي) performance و(الكفاية اللغوية) competence وهذه الثنائية تشخص المعرفة الضمنية لمتكلم اللغة أو المتلقي المثالي العارف بقواعد لغته التي تتيح له التواصل بواسطتها وهي تشكل مظهراً إبداعياً عند المتكلم أو السامع وتجعله قادراً على إنتاج جمل لمناسبات ومواقف متغيرة ومتعددة فالأداء اللغوي يعني استعمال اللغة في مواقف حقيقية أي أن الأداء هو الوجه المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللغة - تكلم حتى أراك أي ثقافته اللغوية المتصلة بنظام اللغة على كل مستوياته الأفرادية والتركيبية والمعجمية والصوتية والصرفية وغيرها، وميزة هذا النظام أنه ينتقل من جيل لآخر، فاللغة على هذا التقدير تميز لساني - اجتماعي ولساني - فردي (٢١).

أما الثقافة ففي خلقها وابتكارها حركة تتطلب من الألفاظ والتراكيب ما يساعد على نقلها بالكفاية اللغوية اللازمة على مستوى المعاني والأفكار المختلفة. لقد شغلت جدلية العلاقة بين الثقافة واللغة الفكر الإنساني، فأنت بحاجة إلى اللغة لتكتسب الثقافة ونعرف ما عند الآخرين وبحاجة إلى الثقافة لتستطيع

بين اللغة والثقافة وأهميتها في بناء مجتمع على وفق مفاهيم مطلوبة من الدولة ومخطط لها، واليك الدليل: ما يحدث في تركيا اليوم من التنافس الشديد بين العنصريين إذ على اللاجئين والمقيمين والوافدين إلى تركيا أن يتعلموا اللغة التركية كشرط لقبولهم بالمدارس التركية حتى يتلقى هؤلاء تعليمهم وثقافتهم ومعارفهم باللغة الوطنية لأن تركيا أدركت هذا النمط من العلاقة وأهميتها في بناء المجتمع المعاصر وإذا لجأ هؤلاء إلى المدارس الأهلية التي تعلم باللغة العربية أو الانجليزية سيواجهون ارتفاع الأسعار الباهظة جدا مما يضطرهم إلى اللجوء إلى المدارس الحكومية لتلقي معارفهم باللغة التركية فهي ثقافة لغة وليست لغة ثقافة. ولم يتوقف التعصب التركي على سياسة ثقافة اللغة فحسب فهناك تعصب شديد لنشاطات الحياة الاجتماعية الأخرى ولاسيما في مجال النشاط الرياضي فلا يستعملون إلا لغتهم التركية القومية في جميع مرافق الحياة الاجتماعية أما وسائل الإعلام والاتصال الاعلامي فلا يكون إلا بالتركية حتى غابت الترجمة إلى لغة ثانية. ما دُمت في تركيا عليك أن تمارس أي نشاط اجتماعي أو ثقافي بالتركية وعليك أن تخضع لهذا النظام الفكري. وقد برر بعض المفكرين هذا أنه اعتزاز بالهوية القومية واللغة الوطنية المتصلة بتاريخ تركيا وما واجهته من صراع وحروب عالمية حتى يقال أن الحكومة صادرت اللغات الخاصة للأقليات والقوميات الموجودة في تركيا مع أن الحكومة تقر أنها من ضمن حقوق المواطنة. (جريدة الزمان/العدد

٤٩٣٢/ الثالثاء ٢١ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٤م في ٢٧ ذي الحجة ١٤٣٥ هجرية، مقال صراع الهويات الثقافية، حمدي العطار، صفحة استطلاعات (١٤).

إن ما يظهر بين الناس من عادات ومعتقدات ثقافية تنعكس في لغتهم وهي نتاج تراكم إرث ديني واجتماعي يطبع في سلوك الناس ومن ثم ينعكس في نتاجهم الفني و الأدبي ويؤكد عالم اللغة (مايه): أن اللغة انعكاس للثقافة المجتمعية فتبدو اللغة من هذا التنظير تجليا لثقافة المجتمع الذي يتكلم بها (٢٤) لأن نمو الثقافة ونجاحها يفرض على اللغة أن تنمو لتساير التطورات فالثقافة فكر وقيم ومعايير ومعارف تمر بالغة لأن اللغة الوعاء الذي يتجسد فيه الفكر، فكيف يكون المحتوى الثقافي للأمة أو الشعب فإن اللغة هي الأساس الذي يحكم ذلك المحتوى على مستوى العموميات وهي العناصر التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع أو على مستوى الخصوصيات وهي العناصر الخاصة بمجموعة ثقافية معينة على أساس الطبقة الاجتماعية أو التعليمية مثل مصطلحات العلوم الإنسانية والعلوم الصرفة والتكنولوجيا والمخترعات وكل ما يرافق الانفجار المعرفي من ألفاظ ومسميات. ويكون هذا التطور في اللغة ((طبيعيًا ايجابيًا إذا كان نتيجة تأثره بحضارة أمة من الأمم وللنظم والعقائد والعادات أثر في ذلك كما أن للمستوى الثقافي والبيئي أثرا لا يقل عن ذلك أبدا)) (٢٥).

ومن ثم ((فإن التشابه في الثقافة هو تشابه في الخطوط العريضة أو الأطر العامة وخالصة القول



فمن محصلة دراسته في التنوعات اللغوية وتباين الفكر تأكيده: أن لغة كلّ شعب هي روحه، وأنّ روح كل شعب هي لغته واللغة هي المظهر الذي يكشف عن عقل الأمة فاللغة هي عقلها وعقلها هو لغتها. من هذا المنطق في التحليل اللغوي – يربط همبولت بين خصوصية التفكير والإدراك وخصوصية اللغة وذلك لأن ((التفكير والإدراك لا يمكن أن يتحددا وأن يتسما بفاعلية التوصيل إلا من خلال اللغة ومن ثم فاللغة والتفكير لا يقبلان الانفصال وليسا مستقلين)) وفي هدي من هذه العلاقة الجدلية فإنّ ((الاختلافات القائمة بين اللغات ليست مجرد اختلافات صوتية بل أنها تنطوي على اختلافات في تفسير العالم وفهمه من قبل المتكلمين بكل لغة)) (٢٨). ومن هنا قرر العالم بواس (ت١٩٤٢م) – رائد الانثروبولوجيا اللغوية الأمريكية – أن تمايز اللغات واختلافها إنما هو اختلافها في وضع تصنيفات الواقع فيعكس تمايزات ثقافية مختلفة أو لنقل أنه يعكس أنماطاً ثقافية (٢٩) من هذا المفهوم نشأت جدلية العلاقة بين اللغة والفكر ودليلنا الواقع ما تشهده اليوم دول جنوب شرق آسيا من صراع فكري ولغوي بسبب التعدد الأثني أو العرقي لسكانها وتنوع مشاربهم الثقافية والفكرية واللغات التي يتكلمونها وصراعاها في سوق اللغات العالمية التي تتحدى اللغة الوطنية لذا واجهت هذه الدول مثل الفلبين واندونيسيا ومانمار وجزر سنغافورة صعوبات في إعادة تشكيل لغاتها الوطنية بسبب الصراع الفكري القائم فيها ففي سياستها التعليمية حاولت تشكيلها من التوافق بين بناء الأمة من ناحية وبفعل

إنه لا يمكن فصل لغة المجتمع عن ثقافته فصلاً تاماً فهناك دون شك علاقة بين اللغة والثقافة في مجتمع ما هذه العلاقة يمكن تصورها على أنها علاقة دينامية تفاعلية)) (٢٦) يقول العالم النحوي الفرنسي (اوليفرل ت ١٨٢٥م): اللغة ليس ملكة تمجد في عليائها الخاصة وإنما هي شيء يفهم ضوء السلوك والثقافة الانسانيين اللتين هي جزء منهما) (٢٧) وفحوى قوله إن اللغة أو الكلام لا تنبغي إذ دراسته بوصفه ملكة انسانية مطلقة وإنما بوصفه مسألة مرتبطة بالإطار الثقافي المعين إذ تُشكل اللغة جزءاً من الممارسة السلوكية والثقافية لهذا الإطار المتّصل بالفكر.

### المبحث الثالث

#### اللغة في المرجع الفكري للمجتمع الأصول والفرضيات

اللغة وعاء الفكر وكلمة (فكر) تشمل أنواعا مختلفة من النشاط العقلي تقع في مجال علم النفس المعرفي cognitive psychology والإنسان يفكر بالكلمات يقول عالم النفس هاردر (ت١٨٠٣م) إننا باللغة نتعلم التفكير ومن ثم فاننا إذا أردنا تحليل الفكر فليس من وسيلة إلا اللغة وهذا المنطق في فلسفته قاد المفكرين إلى رصد العلاقة المتوازية بين اختلاف الأنساق اللغوية وأنساق التفكير فكل أمة تمتلك رصيذاً خاصاً من الأفكار تتحول إلى رموز هي لغتها القومية، وهذا المفهوم تلخصه عبارة العالم اللغوي (يسبرسن) ((إن الأمة تفصح عن روحها في الكلمات التي تستعملها))،.. أما اللغوي همبولت (ت١٨٣٥م)

الاعتبارات السياسية والاقتصادية من ناحية أخرى لأن الغزو الاقتصادي الوافد عليها له الأثر المباشر في فكر الأمة الثقافي والفكري فظهرت فيها محاولات جادة لبناء أمة أحادية اللغة وقومية مستقلة حتى يمكن القول إن السياسة اللغوية فيها متأثرة بدرجة متزايدة بالعلومة عن طريق الوعي بوجود رابط بين اللغة والتنمية الاقتصادية. (٣٠) إن الفكر له ما يميزه بسبب الخصوصية الثقافية التي أنتجته وهذه النتيجة تُسقط مفهوم أرسطو (الفكر) بأنه أمرٌ كليٌّ ذو طبيعة عامة بين البشر جميعاً وإذا كانت اللغة ظاهرة إنسانية فهي إحدى أهم المظاهر العقلية للإنسان لذا تبدو بشكل طبيعي منتزعة إلى مجال (علم الإنسان)، إن هذا اللقاء بين اللغة والفكر في طبيعة الإنسان كان من ميزات الدراسات اللسانية الحديثة منها – على سبيل المثال لا الحصر – ما حدده العالم اللساني إدوارد سابير (ولد ١٩٣٩م) من طبيعة العلاقة بين اللغة والفاعلية الاجتماعية التي تعبر عنها أي طبيعة الفكرة التي تعبر عنها وهذا شرط جوهرى يحدد سمات هذه الفاعلية وتوجهاتها، إذ يقول: ((إن اللغة هي التي تتحكم في كل تفكيرنا حول المشكلات والعمليات الاجتماعية إن البشر لا يعيشون في العالم الموضوعي وحدهم إن البشر يعيشون إلى حد كبير تحت رحمة اللغة التي هي وسيلة التعبير عن مجتمعهم، وحقيقة الأمر هي أن العالم الواقعي مبني – إلى حد كبير – على العادات اللغوية للجماعة فهي – أي اللغة – ليست مجرد وسيلة عرضية في الأتصال أو التفكير)) (٣١).

نلاحظ من هذا القول ذلك الحرص الجاد من جانب

سابير على تبني فكرة تحكم اللغة في كل تفكيرنا في ما أطلق عليه تسمية (حتمية اللغة) وهو مصطلح ينطلق من مبدأ تلخصه عبارة (اللغة تحدد الفكر) Linguistic determinism في إنتاج تمايزات ثقافية أو عوالم مختلفة تعد المفاتيح لتحديد أنماط اللغات بسبب عدم التكافؤ بين اللغات حتى قاد اللسانيين إلى اقرار الاستقلالية الذاتية لكل شكل لغوي (٣٢) إن بناء اللغة يضع قيوداً أو شروطاً على تمثيلات اللغة (الأفكار) و التجربة الذهنية الفكرية – تتشكل عند الإنسان وفق النسق اللغوي المعين الذي يستعمل في مجتمع معين فاللغة نسق ذهني يحكمه نظام يختزن في أذهان المجتمع اللغوي الواحد. إن الإدراكات والتصورات المختلفة عن العالم الخارجي تجعل المتكلمين ينتجون لغات مختلفة تعكس تصوراتهم وأفكارهم يرى علماء التشريح أن عقل الإنسان يمرّ بمراحل ودرجات تمكنه من السيطرة بمرور الزمن على وعيه وفكره حتى لو لم تكن لديه ملكة اللغة الحقيقية ذات النظام المتكامل أي اللغة الحضارية الثقافية التي تنقل الفكر لذلك توجب تضافر جهود أجيال المجتمع الواحد أو الأمة الواحدة ونشاطات علماء وأفراد ذوي ذكاء وعبقورية نادرة لتطوير مقدرة التنسيق اللفظي ومنظار اللغة العام فمن ميزات (الدماغ) الإنساني اكتساب اللغة وامتلاكها حتى ولو حُرِمَ أحياناً من بعض أنواع الاتصال الإنساني – وللعلماء تجارب واقعية في هذا الميدان – (أحيل القارئ إلى هامش (٣٣) تلك الميزة تعدّ الوسيلة الوحيدة التي بواسطتها نتوصل إلى الفكر ولاسيما

البشرية السلوك الاجتماعي التفكير لا توجد في غياب اللغة)) (٣٦) إلا أنّ علماء النفس هم الأكثر اهتماماً بهذا الموضوع – على ما سبق ذكره – لأن التفكير يكون إلا إذا مارس العقل وظيفته الأساسية ومن أهم الدراسات التي ظهرت في هذا المجال دراسة عالم النفس السوفيتي ل. س. فجوتسكي (ولد عام ١٨٩٦م) مؤسس المدرسة السوفيتية في علم النفس وأحد رواد تطور الفكر السيكولوجي العالمي ظهرت نظرياته منذ عام ١٩٢٤م، (٣٧) وما زالت في فاعليتها، ومن أهم فقراتها أن ألفاظ اللغة تعبر عن الأفكار المناظرة لها في عقل الإنسان وتدل عليه سواء أكانت هذه الأفكار صوراً ذهنية أو معاني مجردة فاللغة مجموعة من العلامات تعبر عن الأفكار، فالأفكار يتم التعبير عنها بالألفاظ وبالسياقات التي ترد فيها تلك الألفاظ كما يتم التعبير عن العلاقة بين الفكر ب (الاتجاه التوفيقي) فيقدم حلاً وسطاً للعلاقة باللغة بالتفكير إذ هي علاقة دينامية متبادلة من حيث التأثير والتأثر فنحن لا نستطيع أن نتكلم بما لا نقدر أن نفكر فيه ولا نستطيع أن نفكر بعيداً عن قدرتنا اللغوية وهذا الاتجاه التنظيري هو الأكثر شيوعاً وقبولاً من لدن المفكرين المعاصرين (٣٨) فاللغة في نشأتها تخضع إلى مدى بعيد للنشاط الذهني أو الميول، والاتجاهات النفسية فالإشارات اللغوية ترجمة لانفعالات داخلية تتحول تلك الإشارات إلى أصوات والأصوات إلى ألفاظ وجمل وعبارات كلامية وللحياة الفكرية أثر في نهضة اللغة ونموها

إلى ظاهرة نطق الأصوات اللغوية وأنتاج اللغة وقد تبدأ الأصوات بعلامات لغوية هي الإشارات فالحقيقة أنّ الإنسان يستطيع أن يفكر بواسطة الامكانات التي يتميز بها دماغه وتفكيره يشارك فيه صور كثيرة غير ملفوظة (النظام الإشاري أو لغة الإشارة) ثم تتطور هذه إلى صور ملفوظة والإنسان يمتلك هذا النظام الإشاري حتى لو امتلك اللغة الملفوظة وأتقنها (٣٤) لكن لم يستطع العلم حتى يومنا هذا أن يكتشف درجة ذكاء الإنسان ووعي فكره التي يمكن أن تكون موجودة في حال عدم وجود اللغة.

تؤكد فرضية العالم اللساني بنجامين وورف (١٩٤١م) أحد تلاميذ سابير أنّ الإنسان ذي الفكر السوي عندما يستخدم اللغة يطلق تسميات الأشياء ورموزها اللغوية أو يصنف الأحداث والعلاقات أو يعبر عن الحالات.... وغيرها بلغته التي اكتسبها فهو دائماً يقوم بعملية تصنيف وتنظيم لتجربته الفكرية في الحياة واللغة هي التي تصنف وتنظم الخبرة العملية لمجتمع معين. وكأنّ به يضع اللغة موضع (العلم) أو (النظرية) أو (الايولوجيا) فاللغة هي علم المجتمع ونظريته التي يمارسها بشكل لاشعوري كلما مارس فعاليته الاجتماعية. (٣٥).

وملخص فرضية وورف أنّ اللغة تلعب الدور الحاسم في تشكيل الفكر بل هي الفكر ذاته، وظهرت أصداً هذه الفرضية في تأملات علماء اللغة والنفس والاجتماع والفلسفة في إثارة أسئلة بخصوص علاقة اللغة بالتفكير يذكر الفيلسوف والمفكر النمساوي (الدوز هكسلي) Aldous Huxley ((أنّ الثقافة

## الخاتمة

١- إن العلامة بين اللغة والثقافية والفكر لم تنزل غير واضحة تماما ولكنها على كل حال ليست علاقة في اتجاه واحد. لأن دراسة الصلة بين هذه العناصر تقع ضمن معطيات علوم معرفية مختلفة: النفسية واللسانية والاجتماعية والفلسفية والتاريخية والسياسية وعزل كل تنظير ونتائج من هذه العلوم يجعل الدراسة تتصف بالنقص وعدم الاستيعاب والشمول.

٢- إن اللغة مظهر من مظاهر السلوك الإنساني له قابلية السيطرة على الفكر وتوجيهه باتجاه معين يتناسب وسلوك المجتمع بشكل عام.

٣- فلسفة راسخة - نقدية - تتابع متغيرات المجتمع وتقدم خلاصات يستفيد منها كل مفكري الأمة أو الوطن.

٤- إن ما تشهده دول العالم - التي ذكرنا نماذج تطبيقية منها - من صراع بين الشعب والسياسة الحكومية سببه الأول تعدد المشارب الثقافية والفكرية الوافدة والصراع بين اللغة القومية واللغة الأجنبية الخارجية.

٥- إن اللغة المتواضع عليها هي الانسب في نقل الثقافة والفكر والأوسع انتشاراً في الاتصال ونقل العلوم والمعارف لأن معيار (الفهم) فيها أكثر من غيرها.

٦- توصل علماء الطب والتشريح إلى أن عقل الإنسان يمر بمراحل متطورة تمكنه من السيطرة على وعيه الفكري لتكوين ملكة اللغة ذات النظام والقواعد المحكمة.

إذ لولا تجدد المعاني وتباينها ما تجددت الألفاظ ولا تنوعت التراكيب ولولا عمق الفكرة وتجددها ما كانت دقة اللفظ وتخيره وثروة اللغات تتفاوت فيما بينها تبعاً لنشاط الحياة الفكرية وتقدم العلوم والفنون، فإذا كانت اللغة ثمرة التفكير فإنها هي أيضاً شرط أساسي لوجوده وتحقيقه على وجه كامل وهذا التلازم من أهم أثاره أنه يمكن أن تدرس الحياة العقلية في ضوء الحياة اللغوية، فالتطور اللغوي يقترن دائماً بازدهار العلم والحياة العقلية، وحين يُعَدَى على الحياة الفكرية ويعم الظلم والطغيان ينشر الغموض والرمز في الألفاظ والأساليب إن حقيقة الفكر تظهر في التعبير ولا وجود للأفكار بدون التلفظ باللغة. (٣٩)

فلأثر المميز للغة في الفكر - ليس وسيلة للتعبير عن الفكر فحسب - بل القيام بوظيفة حلقة الوصل بين الفكر والصوت لأن اللغة أداة تنظيم الفكر والنظرية الفكرية IdeutionalLheovy ترى أن المعنى اللغوي هو ما يستقر في الذهن من فكرة وهذه الفكرة هي المعنى، يذهب جون لوك - رائد النظرية الفكرية - إلى أن المعنى هو تصور ما في الذهن فاللغة هي وسيلة تجسيد الفكر ذاته ومادته ونقله وتداوله. (٤٠) إن النظام اللغوي لأي لغة ليس مجرد أداة للتعبير عن الأفكار ولكنه يشكل تلك الأفكار أنه البرنامج الموجه للسيطرة على نشاط الفرد الذهني وتحليل انطباعاته وتركيبه للأفكار التي يستخدمها في حياته.

## الهوامش

١- الخصائص، ابن جني ٣٣/١

٢- عن كتاب

Edward sapit 6 The statusot Vinguisticsasascience ,Languages.5.1929.p.  
2o9.

٣- علم اللغة الاجتماعي، هـسون، ص ٦٣ - ٦٤ (مترجم)

٤- المصدر نفسه ٦٨

٥- علم اللغة العام، سوسير ٢٨، ٢٧، ٣٤،

٦- الكفاية التواصلية والاتصالية، د هـدي نهر ١٨

٧- اللسان والإنسان، د . حسن ظاظا ٢٧ و ٣٧ و ١٣٩

٨- صراع اللغات، د . علي زوين ص ٣ و ٢

٩- امبراطورية الكلمة، تاريخ اللغات في العالم، نيقولا اوشلر، ٢٩، مترجم، بيروت ٢٠١١م

١٠- اللغة، فندريس ص ٣٤٩ القاهرة ١٩٥٠ مترجم

١١- صراع اللغات، ص ٧

١٢- اللغة والهوية، جون جوزيف ص ١٨١ - ١٨٢ الكويت ٢٠٠٧ مترجم

١٣- اللغة، فندريس ٣٥١

١٤- صراع اللغات ص ١٣

١٥- اللغة والهوية، جوزيف ٢٩٥

١٦- اللغة، فندريس ٣٥ والتواصل اللغوي، د . محمد الصبحي ص ٦

١٧- ينظر: علم اللغة العام، سوسير ٢٦ و ٢٧ و ٩٨

١٨- ينظر: علم اللغة الاجتماعي، د . هـسون ١٣٠ - ١٣١

١٩- المصدر نفسه ١٣٢ - ١٣٣

٢٠- مقدمة لدراسة فقه اللغة، محمد أبو الفرج ص ٢٨ و ٢٩ مصر (بلات) والكفاية التواصلية ٢٠ - ٢١

٢١- الكفاية التواصلية ٢٢

٢٢- التعادل الثقافي بين العربية واللغات الغربية، ما سنيون (بحث) ص ٥٧ وثقافة اللغة أم لغة الثقافة،

أ.د. نهاد فليح حسن العاني، الجامعة المستنصرية ٢٠٠٩م

- ٢٣- علم اللغة الاجتماعي هدسون ١٣٣ .
- ٢٤- اللسانية، علم اللغة الحديث، ميشال زكاي ص ١١٣ بيروت ١٩٨٣م.
- ٢٥- التطور اللغوي التاريخي، د . إبراهيم السامرائي ص ٢٧ بيروت ١٩٨١م.
- ٢٦- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د . جمعة سيد يوسف ١٥٨ ، سلسلة عالم المعرفة ١٤٥ الكويت ١٩٩٠ .
- ٢٧- اللغة والفكر والعالم، د محب الدين محسب ص ٧ .
- ٢٨- هذه الآراء وترجمتها عن كتاب: اللغة والفكر والعالم دراسة في النسبية اللغوية، د محب الدين محسب ص ٧ و٨ و٩ و١٠ .
- ٢٩- نفسه ١٥ .
- ٣٠- عن كتاب: اللغة والقومية والتنمية في جنوب شرق آسيا، لي هوك غوان ترجمة ياسر شعبان ص ١٨٥ أبو ظبي ٢٠١٢م.
- ٣١- اللغة والفكر والعالم ص ١٨ .
- ٣٢- عن كتاب: Languageinculture and society.p.11q. 1964 (هايمي Hymes) .
- ٣٣- اللغة والفكر، بول شوشار، ترجمة صلاح أبو الوليد ص ١٠٨ .
- ٣٤- نفسه ١٠٨ و علم اللغة العام سوسير ٣٩ .
- ٣٥- اللغة والفكر والعالم ص ٣١ - ٣٢ .
- ٣٦- عن كتاب: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ص ١٤٣ .
- ٣٧- نفسه ١٥١ .
- ٣٨- نفسه ١٥١ .
- ٣٩- الفكر واللغة، د . إبراهيم مذكور (بحث ٩ - ١١ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد ٩ لسنة ١٩٥٧م .
- ٤٠- مباحث في علم اللسانيات، د . رشيد العبيدي ص ١٧٧ بغداد ٢٠٠٣م .



## المصادر والمراجع

- ١- الألسنية، علم اللغة الحديث، ميشال زكريا، ط١، بيروت ١٩٨٣م.
- ٢- امبراطورية الكلمة، تاريخ اللغات في العالم، نيقولاس اوستلر، ترجمة توفيق الجبرمي، بيروت ٢٠١١م.
- ٣- التطور اللغوي التاريخي، د. إبراهيم السامرائي، ط٢، دار الاندلس بيروت ١٩٨١م.
- ٤- التعادل الثقافي بين العربية واللغات الغربية، لوليسماسينيون (بحث) مجلة اللغة العربية في القاهرة، الدورة ١٨ لسنة ١٩٥٧م.
- ٥- التفكير واللغة، فيجوتسكي ترجمة د. طلعت منصور، ط١ القاهرة ١٩٧٦م.
- ٦- التواصل اللغوي، محمد الصبحي، بيروت ٢٠٠٣م.
- ٧- ثقافة اللغة أم لغة الثقافة؟ (بحث) د. نهاد فليح حسن العاني، الجامعة المستنصرية، المؤتمر العلمي السادس عشر، بغداد ٢٠٠٩م.
- ٨- جريدة الزمان، العدد ٤٩٣٢ الثلاثاء ٢١ تشرين أول /أكتوبر ٢٠١٤/٢٧ ذي الحجة ١٤٣٥ للهجرة.
- ٩- الخصائص، ابن جني، أبو الفتح (ت٣٩٢) تح محمد علي النجار، ط٢ بيروت د. ت.
- ١٠- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د. جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٤٥ لسنة ١٩٩٠، الكويت.
- ١١- صراع اللغات، المقدمات والنتائج، د. علي زوين، بغداد ٢٠١٢م.
- ١٢- علم اللغة الاجتماعي، د. هدس، ترجمة محمود عبد الغني، ط١، الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٧م.
- ١٣- علم اللغة العام، فرديناندوسيو، ترجمة د. يوثيل عزيز، الموصل ١٩٨٨م.
- ١٤- الفكر واللغة، (بحث) د. إبراهيم مذكور، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، العدد ٩، لسنة ١٩٥٧م.
- ١٥- الكفاية التواصلية والاتصالية، د. هادي نهر، ط١، دار الفكر، عمان ٢٠٠٣م.
- ١٦- اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، د. حسن ظاظا، القاهرة ١٩٧١.
- ١٧- اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص، لجنة البيان، القاهرة ١٩٥٠م.
- ١٨- اللغة والتنمية والقومية في جنوب شرق آسيا، د. لي هوك غوان، ترجمة ياسر شعبان، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١٢م.
- ١٩- اللغة والفكر، بول شوشار، ترجمة صلاح أبو الوليد، سلسلة ماذا أعرف رقم ١٢ بيروت د. ت.
- ٢٠- اللغة والفكر والعالم، د. محب الدين محسب، لبنان ناشرون، ط١، بيروت ١٩٩٨م.
- ٢١- اللغة والهوية، جون جوزيف، ترجمة عبد النور الخرفي، سلسلة عالم المعرفة رقم ٣٤٢ الكويت ٢٠٠٧م.
- ٢٢- مباحث في علم اللغة واللسانيات، د. رشيد العبيدي، الشؤون الثقافية، بغداد ٢٠٠٣م.
- ٢٣- مقدمة لدراسة فقه اللغة، محمد أبو الفرج، مصر بلايت.







التشبيه الخاص في شعر المتنبي  
The Unique Allegory in AL-Mutanabi's Poetry

أ.د عبد الهادي خضير نيشان  
كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

Prof. Dr. Abdul Hadi Khudhair Nishan  
College of Education for Women,  
University of Baghdad

## ملخص البحث

لم يكن المتنبي - يوماً - شاعراً كغيره من الشعراء ، فهو طراز خاص ، ونموذج لا نجد له مثيلاً في تأريخ الشعر العربي ، بل قد يبدو مغالين لو قلنا انه نسيج وحده في عموم الشعر الانساني ، فقد تفرد بطريقته الخاصة في عرض معانيه ، هذه الطريقة التي أذهلت القدماء قبل المحدثين حتى قال بعضهم في وصفها انها " مما تخرق العقول " .

ومن هذه الاساليب الخاصة في شعر المتنبي ، طريقته في ايراد بعض تشبيهاته ، التي لا تسعفك خبرتك بالانواع البلاغية للتشبيه التي ضمنتها كتب القدماء والمحدثين ، في ان تجد لها مكاناً بين هذه الانواع حتى تسميها بها ، فهي مصنوعة بطريقة خاصة رآها المتنبي مناسبة لخصوصية شعره ، ولذا آثرنا ان نسمي هذا اللون من تشبيهات المتنبي " التشبيه الخاص " لأسباب سيعرض لها البحث في صفحاته ، كما سنحاول حصر الاساليب التي جاءت عليها هذه التشبيهات ، وكيف استطاع أبو الطيب المتنبي ان يجعل منها صوراً فنية متميزة .

## Abstract

AL-Mutanabi has not for a moment been like any other poets . He is a special figure, unprecedented in the history of the Arabic poetry. It might appear to be exaggerating when we say that he alone represents the very fabric in the whole human poetry. He has unique way of expressing his meaning. That way stunned the ancients before the modernists , some of them even say when describing it that «it is beyond the minds». One of the special ways in AL-Mutanabi's poetry is the presentation of some of his allegories which , in spite of your deep knowledge in rhetorical allegory types which are included in the books of the ancients , can not be placed under any category. It is constructed in a special way which Al-Mutanabi sees suitable for his poetry. We prefer to call this type of Al-Mutanabi's allegory as (the unique allegory) because of some reasons that the researcher will mention in this research. The researcher also attempts to mention patterns in which these allegories occur and how Al-Mutanabi manages to make them special artistic pictures.

إن المتنبي الذي يصرّ على ان يشغل الناس بروائعه وفرائده ، فيما ينام ملء جفونه عن شواردها ، يختط لنفسه طريقة جديدة في ايراد تشبيهاته ، تجعلنا نذهل لقدرة هذا المبدع على الخلق والابتكار، فحين نقرأ له قوله :

خريده لو رأته الشمس ما طلعت

ولو رآها قضيبُ البان لم يمس (٣)

أو قوله

أرى أناسا ومحصولي على غنم

وذكر جود ومحصولي على الكلم (٤)

أو قوله :

بأبي ريحك لانرجسنا ذا

واحاديثك لا هذا الشراب (٥)

أو قوله :

فلزّم الطراد الى قتالٍ

أحدٌ سلاحهم فيه الفرارُ (٦)

تذلك هذه القدرة المتفردة على ايراد التشبيه بطريقة قد لا تجدها عند سواه من الشعراء ، إلا فيما ندر ، فأنت تحسّ الصورة التشبيهية وتتلمس عناصرها ، ولكنك لن تجد لها تسمية فيما تعلمته من البلاغة من أنواع التشبيه التي درج عليها الشعراء الآخرون.

لقد تنبه بعض دارسي البلاغة - قديماً وحديثاً - على هذه الطريقة من طرق الایحاء بالتشبيه دون النص عليه ، أي أن تكون للشاعر طريقته الخاصة في بناء عناصر الصورة التشبيهية ، بما يخالف

التشبيه واحد من اكثر عناصر الصورة الفنية حضوراً في شعر المتنبي ، ومن ينعم النظر في قصائد أبي الطيب ، يجد ان لأنواع التشبيه المختلفة سواء أكان تشبيهاً مفرداً أم مركباً أم بليغاً أم معكوساً أم ضمناً ، فاعلية متميزة في تجسيد معاني الشاعر وأفكاره وأحاسيسه ، بما يكسبها تفرداً وجمالاً.

والمتنبي الذي آلى على نفسه أن يكون واحداً بين شعراء العربية في أسلوبه الخاص في بناء قصيدته حتى "أجمع الحذاق بمعرفة الشعر والنقاد ان لابي الطيب نوادر لم تأت في شعر غيره ، وهي مما تحرق العقول" (١) على حد قول العكبري ، كان له كذلك تفرده في بناء صورته التشبيهية في أنواعها المعروفة والشائعة كما تجلى لنا ذلك عند دراستنا لبعض هذه الأنواع (٢) .. واليوم نحاول في بحثنا هذا ان نقف عند لون آخر من ألوان هذا التشبيه ربما يكون المتنبي قد تفرّد فيه ، أو في الأقل في أساليب ايراد التشبيه من خلاله.

إن ما يجلب الانتباه في تشبيهات المتنبي ، محاولته في كثير من الأحيان ، الخروج عن الطرق المألوفة التي سار عليها غيره من الشعراء ، وكأن هذا المبدع العظيم أراد أن يقول للجميع إنه أكبر من قوانين اللغة واشترطات البلاغة ، وإن على هذين العلمين ان ينهلا من معينه كي يضيفا الى قواعدهما ما يطورها وينميها ، وان يتعلما من ابداعاته كيف يمكن للمبدع الكبير ان يكون مبتكراً للغة وخالقاً لها ، لا العكس ، وان بالشعر وحده يمكن للغة ان تغير جلودها عند مبدع كبير كالمتنبي.

ضروبها الشائعة ، فما هو القزويني في نهاية بحثه في التشبيه يقول :

" وقد يُتصرّف في القريب المبتذل بما يخرج من الابتذال الى الغرابة ، وهو على وجوه : منها ما يكون كقوله :

لم تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارنا

إلا بوجهٍ ليس فيه حياءُ

ومنها ان يكون كقوله :

عزماته مثلُ النجوم ثواقباً

لو لم يكن للثاقبات أفولُ

وهذا يسمى التشبيه المشروط " (٧)

ومع ان بعض ما أورده القزويني من تشبيهات هي من أنواع التشبيه المعروفة كالتشبيه المقلوب وتشبيه الجمع (وهو ان يتعدد المشبه به دون المشبه) والتشبيه البليغ ، الا ان بعض تشبيهاته ومنها ما سماه " التشبيه المشروط " يمكن ان يدخل في هذا اللون من التشبيه الذي يخالف الشائع من أنواعه. الا ان وقفة القزويني لم تكن عميقة أو ناقدة ، وكأنه قد عرض لهذه الأنواع غير قاصد وهو يتحدث عن قدرة الشاعر على تناول المعاني المبتذلة والارتفاع بها من هذا الابتذال إلى لون من الغرابة يجعل لها موقعاً في النفوس والقلوب.

كما أشار إلى هذا التشبيه الوطواط والحلبي والنويري (٨) ، فقد سماه الوطواط "تشبيه الاضمار" وعرفه بالقول : "تشبيه الاضمار وتكون هذه الصفة بأن يشبه الشاعر شيئاً بشيء آخر بحيث يبدو من ظاهر العبارة ان المقصود شيء آخر وليس هذا التشبيه بينما يقصده الشاعر في ضميره هو نفس هذا

التشبيه" (٩) .

وردد شهاب الدين الحلبي مقاله الوطواط عن هذا التشبيه وذكر له مثلاً قول المتنبي :

ومن كنتَ جاراً له يا عليُّ

لم يقبل الدرّ الإكبارا

ثم يقول معلقاً : "فيدل ظاهره على ان مقصوده الدرّ

وانما غرضه تشبيه الممدوح بالبحر" (١٠) .

على اننا نرى ان بعض ما أورده هؤلاء البلاغيون الثلاثة من انواع التشبيه وما استشهدوا به من أمثلة - فضلا عن تشبيه الاضمار - يمكن ان يقع ضمن هذا اللون من التشبيه كالتشبيه المشروط وتشبيه التفضيل (١١) .

ومن الباحثين المحدثين الذين تنبهوا على هذا النوع من التشبيه ، الدكتور عبد القادر الرباعي وهو يدرس الصورة الفنية في شعر أبي تمام حيث أشار الى ذلك بقوله : "ويتعلق بالتشبيه أساليب بلاغية أخرى تسلك الى المشابهة طريقاً غير طريقته المألوفة" (١٢) .

وذكر من أساليب هذا النوع من التشبيه : " أسلوب المخالفة أو نفي التشبيه" و "أسلوب الايماء بالتشبيه " و "أسلوب النسبة " و " أسلوب المقارنة أو المفاضلة" (١٣) .

على ان الدكتور الرباعي قد قصر أساليب هذا اللون من التشبيه على ما وجدته منها في شعر أبي تمام ، فيما زاد ما وجدناه في شعر أبي الطيب على ذلك كثيراً.

ومن الباحثين المحدثين الذين أشاروا الى هذا اللون من التشبيه في شعر المتنبي الدكتور جليل رشيد

يداخله بالتشبيه الضمني ، الذي يقوم على الايحاء بالتشبيه وعدم التصريح به ، وكذلك الحال في تسميته (التشبيه المشروط) لأن الشرط يمكن ان يدخل قيماً على كل نوع من أنواع التشبيه المعروفة دون ان يخرج عن مفهومه أو طبيعته.

وبذا نجد ان تسمية هذا اللون من التشبيه (التشبيه الخاص) أكثر توافقاً مع طبيعة هذا الضرب من التشبيه ، وأكثر مرونة في استيعاب كل اساليبه أو ضروبه التي وجدناها في شعر أبي الطيب المتنبي والتي ستكون دراستنا هذه على وفقها.

#### ١- اسلوب المفاضلة والمقارنة

وهذان الاسلوبان في ايراد التشبيه الخاص هما الأكثر وروداً في شعر المتنبي فأما اسلوب المفاضلة فيكون - في الغالب - باستعمال (افعل) التفضيل اداة ربط بين التعبير الذي يمثل المشبه والتعبير الذي يمثل المشبه به حيث تكون الصلة بين المشبه والمشبه قائمة لا على اساس التشابه وانما افضلية المشبه على المشبه به ، بما يقوي المبالغة في الصورة التشبيهية... كقوله

أ فاضل الناس اغراض لدى الزمن

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وانما نحن في جيل سواسية

شرٌّ على الحر من سقم على بدن

حولي بكل مكان منهم خلق

تخطي اذا جنّت في استفهامها بمن

لا أقترني بلداً الا على غر

ولا أمر بخلق غير مضطغن

فالح في اطروحته للدكتوراه " الصورة المجازية في شعر المتنبي " وسماه (أسلوب الايحاء بالتشبيه ) مقتبساً التسمية من الدكتور الرباعي كما يشير هو الى ذلك ، وقال بعد ان عرض أبياتاً منه من شعر المتنبي : "ان اسلوب الايحاء بالتشبيه يكون ضمن صيغتي الاستفهام أو التعجب ، ولم أجد في ما ورد عند المتنبي ما يشعر باسلوب الايحاء بالتشبيه في غير هاتين الصيغتين"<sup>(١٤)</sup>.

ولا نعتقد ان كلام الدكتور جليل رشيد فالح هذا دقيق إذ لم يأت عن استقصاء وتتبع لضروب هذا التشبيه عند المتنبي ، ذلك ان الباحث كان معنياً بعموم الصورة المجازية في شعر المتنبي ، فلم يكن بمقدوره إطالة البحث في هذه الجزئية من تشبيه المتنبي وهو ما يؤكد ان وقفته هذه لم تتعد الصفحتين من اطروحته فقط ، ولكن هذا لا يمنع ريادته في التنبه على هذا اللون من التشبيه في شعر المتنبي.

إن ما يلاحظ من عرضنا السابق لجهود البلاغيين القدماء والباحثين المحدثين ، عدم اتفاقهم على تسمية محددة لهذا اللون من التشبيه مع انهم استطاعوا ان يتنبهوا عليه ويحددوا مفهومه وطبيعته ، وكذلك فقد تفاوتوا في تحديد أساليبه ، حتى اختلط عند بعضهم بأنواع التشبيه المعروفة ، التي حدّد مفهومها وثبت لها مصطلحها الخاص بها ، كالتشبيه المعكوس والتشبيه البليغ والتشبيه الضمني.

واما عن تسمية هذا اللون من التشبيه ، فإننا رأينا ان نسميه (التشبيه الخاص) ذلك اننا وجدنا ان تسميته (التشبيه المضمّر) أو (الايحاء بالتشبيه) يمكن

ولا أعاشر من أملاكهم ملكاً

الا أحق بضرب الرأس من وثن<sup>(١٥)</sup>

يعلن المتنبي حنقه وغيظه من زمانه وأهله ، اذ ما يزال هذا الزمن الجائر يتصيد أفاضل الناس ، فيما ينعم به أراذله والجهلة ، ولا يكاد يستثني من جيله أحداً ، فكلهم أشد شراً على الحر من السقم على البدن ، وهكذا جاءت صورته التشبيهية غير صريحة حين جعل أهل زمانه كالداء في الجسم ، فكانت مقايسة عبر التشبيه الخاص القائم على فعل التفضيل (شر) أي (أشر) فخلق مفاضلة بين المشبه (أهل زمانه) والمشبه به (السقم) لينتهي الى نتيجة يريد بها هي ان ضرر هؤلاء أشد على أختيارهم من المرض على أبدانهم ...

ولم يكتف بهجومه على الناس بعامه ، حتى خص ملوكهم - الذين عاشرهم حتى خبرهم - بثورته وحنقه عليهم ، فهو لا يكاد يعاشر أحداً منهم حتى يجده انساناً في صورته ومظهره ، ولكنه صنم ، لا عقل له ولا قلب ، وكأنه خلق لا لشيء سوى ان يطوف الناس حوله لتكبيره وتعظيمه وعبادته ، فها هو يدعو الناس الى تحطيمهم والتخلص منهم ، فكانت ثورته على هؤلاء الملوك متجسدة عبر تشبيهه الخاص الذي اقام المفاضلة بين هؤلاء الملوك والاصنام فوجدهم أحق بالتحطيم منها.

واذا ما أردنا ان نتوقف قليلا عند خصائص التركيب في التشبيهين نجد ان ابا الطيب في التشبيه الاول قد عرّف (الحر) فيما نكرّ (جيل) و (سقم) و (بدن) ذلك انه اراد بالحر نفسه (اي المتنبي) فيما

أراد الاطلاق في قوله (جيل) وكذلك (سقم) و(بدن) اما في التشبيه الثاني فقد نكرّ طرفي التشبيه (ملكاً) و(صنم) وهنا أفاد التكرير - فضلا عن (الاطلاق) والتعميم) - الازدراء والسخرية.

ومن هذا الضرب قوله :

فلزهم الطراد الى قتال

أحدّ سلاحهم فيه الفرار<sup>(١٦)</sup>

إن روح السخرية التي تكتنف هذا البيت تأتت من هذا التشبيه الخاص الذي جاء بأسلوب التفضيل (أحد) ، فهذه القبائل التي خرجت عن طاعة سيف الدولة ، وتصورت انها قادرة على مواجهته بما لديها من سلاح ، أكتشفت عند اللقاء ، أن أحدّ اسلحتها هو الفرار من المواجهة ، فهو السلاح الوحيد القادر على حمايتهم من غضبه وبطشه.

وتتردى ثنائية المدح المعهودة عند العرب : الكرم والشجاعة - ثوباً جديداً على يد المتنبي يصنعه لهما تشبيهه الخاص بأسلوب المفاضلة حيث يقول : أشدّ من الرياح الهوج بطشاً

وأسرع في الندى منها هبوباً<sup>(١٧)</sup>

اذ تتجلى في هذا البيت قدرة المتنبي المتفردة على انتزاع معنيين متضادين من الشيء ذاته ، ثم ليعود وبذكائه المتميز كي يجعل الأمرين أدواته في المدح ، فها هي الرياح الشديدة - المثال في البطش - صارت مقياساً لشجاعة ممدوحه حين قرر أفضليته عليها فيه ، فإذا انتقل الى الكرم أخذ من الرياح ذاتها وجهاً آخر ، يقيس به كرم ممدوحه حين عقد مقارنته بين سرعة استجابة ممدوحه لداعي الكرم وسرعة هذه الرياح ،

، فكان التشبيهان الخاصان بأسلوب المقارنة حتى ظهر منها تساوي طرفي التشبيه مبالغة في الوصف ، ويلاحظ ان هذين التشبيهين قد جمعا ، فضلا عن الطرافة في عقد الصلة بين المشبه والمشبه به بهذه الطريقة ، طرافة أخرى مصدرها ان المتنبي جمع في التشبيه الأول مشبهين هما (الكلام) و (المبسم) بمشبه به واحد هو (العقد) أي هو على وفق مصطلحات البلاغة (تشبيه متعدد) ، فيما جمع في التشبيه الثاني مشبهين بهما هما (المندلي) و (قرقف) بمشبه واحد هو (نكهتها) اي هو (تشبيه جمع) فيما أورد وجهي شبه في كل تشبيه هما في التشبيه الاول (الحسن والنظم) وفي التشبيه الثاني (الريح والطعم).

ومن التشبيهات الخاصة مما ورد على وفق هذين الاسلوبين في شعر المتنبي قوله :

- ١- فذي الدار أخون من مومسٍ وأخدع من كفة الحابل<sup>(٢٠)</sup>
- ٢- فأقرب من تحديدها ردُّ فائتٍ وأيسر من احصائها القطر والرمل<sup>(٢١)</sup>
- ٣- الموت أقرب مخلبا من بينكم والعيش أبعد منكم لا تبعدوا<sup>(٢٢)</sup>
- ٤- مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ورؤياك احلى في العيون من الغمض<sup>(٢٣)</sup>
- ٥- أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب<sup>(٢٤)</sup>
- ٦- كم زورة لك في الاعراب خافية أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب<sup>(٢٥)</sup>

إذ فاقها في سرعتها ، فكان تشبيهه قائما على فعلي التفضيل (أشد) و (أسرع).

أما أسلوب المقارنة ، فإن ابداعات أبي الطيب في خلق تشبيهاته به لا تقل طرافة وجمالا عن أسلوب المفاضلة ، فهي هو يقول مادحا:

وعينيه من تحت التريكة أرقم<sup>(١٨)</sup>

يعتمد المتنبي أسلوب التجريد في مدح فتیان سيف الدولة ، شجاعة وهيبة

فأنت لا ترى فتى يقاتل إنما ضيغماً يمد يديه في الدرع ، شجاعة وقوة ، فإذا ما نظرت في عينيه استحال هذ الفتى الى أفعى ذكر في حدة نظره وثقته بنفسه ، كي ينزل الرعب في قلب من يقابله من أعدائه.

وبذا نجد ان التشبيهين قائمان على اساس المقارنة بين الفتى (المشبه) والضيغم والارقم (المشبه به) وخلق صورة تشبيهية غير معلنة او غير مصرح بها ، ولكنها قائمة في البيت بكل عناصرها. ومنه قوله متغزلاً :

فتاة تساوى عقدُها وكلامُها

ومبسمُها الدرِّيُّ في الحسن والنظم

ونكهتها والمندليُّ وقرقفُ

معتقةُ صهباءُ في الريح والطعم<sup>(١٩)</sup>

فمحبوبة الشاعر جمعت كل أسباب الحسن ، شكلاً ونكهة وطعماً ، فهي هو كلامها وثغرها وعقدتها تساوت جميعها في الحسن والانتظام ، كما تساوت نكهتها وعطر المندل والخمرة الصهباء ، شماً وتذوقاً

٧- أقل بلاء بالرزايا من القنا

وأقدم بالجحفلين من النبل<sup>(٢٦)</sup>

٨- شيم الليالي ان تشكك ناقتي

صدري بها أفضى من البيداء<sup>(٢٧)</sup>

٩- ذلٌّ من يغبط الذليل بعيش

رب عيش أخف منه الحمام<sup>(٢٨)</sup>

١٠- ويضحى غبار الخيل أدنى ستوره

وأخرها نشر الكباء المُلَازمُه<sup>(٢٩)</sup>

يخجل من نفسه فلا يقوى على الميس - اذ كان ميسه  
عندما كان يشعر انه المتفرد في هذا القوام ، ولكن  
ما ان تبدت الحبيبة حتى وجد ان ميسه لا مسوغ له  
فعاقه... انها مبالغة لا تنفر منها النفس ولا يرفضها  
الذوق ، بل ينبهران بها ويطران لوقعها.

ومن تشبيهاته باستعمال اداة الشرط (لو) كذلك ، قوله  
مادحاً :

لو استبدلت من ذهنك من حسام

قددت المغافر والدروع<sup>(٣٢)</sup>

فالثابت من التشبيه ان الشاعر يريد ان يصف  
ممدوحه بالذكاء وحدة الذهن ولما كان الحسام في  
ذاكرة الشعر العربي رمزاً للقطع والحسم كان لابد  
للشاعر من ان يعقد الشبه بينهما ، ويقينا انه لو قال  
للمدوح ان ذهنك كالحسام في الحدة ، كانت صورته  
مبتذلة ، ولم يكن هناك جديد ، ولكن ابا الطيب يأبى  
الا ان يكون له طريقه الخاص في تجسيد معانيه ،  
فاستعمل اداة الشرط في خلق فرضية متخيلة هي  
استبدال ذهن ممدوحه بالحسام كي نلمس بحواسنا  
أجمع كيف ان هذا الذهن يقطع الزرود والدروع  
بحدة اسرع من قطع الحسام ، وكأنني بالمتنبي يقدم  
شاهداً حسيماً على صدق معانيه ، فلم يطلق معانيه ،  
بل قدمها مجسدة في تجربة عملية تؤكد صواب ما  
قاله... يلاحظ دقة المتنبي في اختيار ألفاظه الدالة  
على معانيه اذ استعمل لفظة (حسام) في هذا المعنى  
دون سواها من اسماء السيف الاخرى لانها الأدل  
على القطع والحسم ، فكانت شاهداً على تأخي الالفاظ  
والمعاني في اكتمال الدلالة.

٢- أسلوب الشرط : وهو الذي كان القزويني قد سماه  
(التشبيه المشروط)<sup>(٣٠)</sup> ويأتي في المرتبة الثانية من  
حيث تكراره في شعر المتنبي ، ويبنى ابو الطيب  
تشبيهه الخاص بأسلوب الشرط باستعمال احدى  
ادواته ملمحا من خلال هذا الشرط بالتشبيه بأسلوب  
فني جميل وآخاذ... كقوله متغزلاً :

خريدةً لو رأتها الشمس ما طلعت

ولو رأها قضيب البان لم يمس<sup>(٣١)</sup>

فالتشبيه الذي تداوله الشعراء - حد الابتذال - هو  
تشبيه الحبيبة بالشمس اشراقاً ، وقضيب البان قواماً...  
ولكن امتدت الى هذا التشبيه يد صناع تعرف كيف  
تخلق من الابتذال فرادة ومن الشيوخ ندرة وغرابة ،  
فقد خالف المتنبي طريق الشعراء المألوفة بأن خلق  
هذه التقابلية الفريدة بين الشمس وحبيته اذ لا يجتمعان  
ابداً فما ان تظهر احدهما حتى تختفي الأخرى ، ولما  
كانت حبيته هي الأجل فان الشمس ما ان تراها  
مشرقة حتى تختفي تاركة هذا الكون لها كي تضيئه ،  
وكذا حال قضيب البان ما ان يرى قوام الحبيبة حتى



، فلأنه عظيم فلا يطلب الا الهبات العظيمة التي لا يتجرأ الآخرون بالسعي اليها ، وهكذا شبه ما يسعى اليه تشبيهاً خاصاً ، بالماء الذي تعجز حتى الطيور من الوصول إليه ، ولكن ابا الطيب تأبى همته الا نيل ما يُعجز الآخرين الوصول إليه...

ولا نعدم ان نجد في تشبيهات ابي الطيب الخاصة مزوجة فنية بين اكثر من اسلوب, كما في قوله:  
إن كان لايسعى لجود ماجدٌ

الاكذا فالغيثُ أبخل من سعى<sup>(٣٥)</sup>

حيث زواج بين اسلوب الشرط واسلوب المفاضلة ، وجاء البيت بصياغة فنية ارتفعت بالتشبيه من الابتذال الى الطرافة ومن الألفة والشيوخ الى الغرابة والندرة ، فمحصول التشبيه ان المتنبى اراد ان يقول ان ممدوحه أكثر سخاء من الغيث ، ولو قالها هكذا لسقط التشبيه بل البيت كله ، ولكن صياغة المتنبى لهذا التشبيه بهذه الطريقة الخاصة جعلتنا نقف مشدودين لهذه اللمسة الفنية التي اسبغها الشاعر على التشبيه ، فهو أولاً لم يخاطب ممدوحه مباشرة بل جرد ، فجعل حديثه عن ماجد يسعى الى الجود ، ولكن عاد ليخص ممدوحه بالكلام حين قال (إلا كذا) ثم زاد تخصيصه باداة الشرط (ان) فكانت محصلة ذلك كله ان صار الغيث ، اذا قيس عطاؤه بعطاء ممدوحه ، أبخل الساعين الى الجود ، وهكذا جعل ابو الطيب ممدوحه مثلاً للجود لا يحتذيه الساعون الى المجد من الناس فحسب ، بل الغيث الذي اذا قيس جوده بجود الممدوح عاد بخلاً.

ومن استعماله (اذا) في هذا الضرب من التشبيه

وقد يأتي الشرط عبر الاداة (لولا) كما في قوله :  
ولولا احتقار الأسد شبهتهم بها

ولكنها معدودة في البهائم<sup>(٣٣)</sup>

البيت - كما هو واضح - قائم على مغالطة فكرية بيّنة ، فلا شك في ان ابا الطيب نفسه كما هي حال الشعراء جميعا يشبهون ممدوحهم بالأسد ، ولكنه اثر هنا ان يدخل مدخلاً جديدا الى هذا التشبيه ، وان يغادر عالم المجاز في خلق الصلة بين الانسان الشجاع والأسد حيث لا صلة في واقع الحياة بينهما ، فالأسد حيوان وهو بهيمة ، ولا يجوز ان يشبه الممدوح به ، وهو ما صرح به المتنبى ، ولكن غير المصرح به والمفهوم من سياق التشبيه هو ان المتنبى أراد لممدوحه ان يفوقوا الأسد في شجاعتهم وانسانيتهم ، فإذا كان الأسد يقتل لارضاء غريزته واشباع حاجاته ، فان ممدوحه أناس ، وللشجاعة عندهم أكثر من معنى وأكثر من شكل ، فهو بهذا لم يغادر الصلة بين الرجل الشجاع والأسد وهي الشجاعة وانما أراد ان يزيد عليها بالتنكير بانسانية ممدوحه ، فعاود الدخول في عالم المجاز مرة أخرى.

وقد يأتي الشرط عبر اداته (إن) كما في قوله مخاطباً كافور :

فإن نلت ما أملتُ منك فربما

شربت بماء يعجز الطير ورده<sup>(٣٤)</sup>

ان ما يسعى إليه ابو الطيب في خطابه هذا لكافور هو ان يذكره بوعد له بالولاية ، انه لا يزال يأمل من كافور أن يفي بوعد له ، وهو هنا - عبر التشبيه الخاص - يقرّ بعظيم ما يطلب ، ولكن هذا هو المتنبى

قوله :

إذا غزته أعاديه بمسألة

فقد غزته بجيش غير مغلوب<sup>(٣٦)</sup>

لقد تضمن هذا البيت المدح بثنائية المدح الاولى عند العرب (الكرم والشجاعة) ولكن لننعم النظر في اسلوب المتنبي الخاص في ايراد معانيه عموماً وتشبيهاته خصوصاً ، فحين عجز أعادي ممدوحه عن الفوز عليه في الميدان ، كان لا بد لهم من ان يخلقوا لانفسهم نصراً عليه ولكن بجيش من نوع جديد لا يقوى على رده ، وهذا الذي يعجز الممدوح عن الصمود بوجهه ولا يخجل من اعلان هزيمته امامه هو السؤال فقط فما اعتاد ان يقول (لا) لمن يسأله ، فهو ابدأ منصاع لداعي الكرم مستجيب لمن يحتاجه...على ان البيت يتضمن معنى عميقاً قد لا يظن إليه كل قارئه ذلك ان المتنبي وصف حال ممدوحه هذا في الكرم الى اعدائه فكيف تراه يكون مع عامة الناس ؟ ثم لابد لنا من التنبيه على الاشارة المبطنة بعظيم كرم الممدوح حين جعل السائلين (جيشاً) اشارة الى كثرتهم كثرة مفرطة ، ولكن ذلك لا يغير من الحال شيئاً ، فهذا هو ممدوحه في الجود ، كثر السائلون أم قلوا ، اعداءً كانوا أم حلفاء له .. ولنا ان نقول : على الرغم من روح المبالغة التي تعم البيت الا ان المتنبي أجاد التعبير عن الكرم باسلوب التشبيه الخاص أجادة لا تنكر . ومن تشبيهاته الخاصة التي جاءت باسلوب الشرط قوله :

١- إن تلقه لا تلق الا جحفاً

أو قسطلاً أو طاعناً أو ضارباً<sup>(٣٧)</sup>

٢- من يزره يزر سليمان في الملـ

ك جلالاً ويوسفأ في الجمال<sup>(٣٨)</sup>

٣- متى أحصيت فضلك في كلام

فقد أحصيت حبات الرمال<sup>(٣٩)</sup>

٤- لولا اللئام وشيء من مشابهة

لكان الأم طفل لف في خرق<sup>(٤٠)</sup>

٥- كل عيش مالم تطبه حمام

كل شمس ما لم تكنها ظلام<sup>(٤١)</sup>

٦- ليت إنا اذا ارتحلت لك الخيـ

ل وانا اذا نزلت الخيام<sup>(٤٢)</sup>

٧- اذا صرف النار الضوء عنهم

دجا ليلان ليل والغبار<sup>(٤٣)</sup>

٨- اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة

ففي الناس بوقات لها وطبول<sup>(٤٤)</sup>

٩- واذا طمى البحر المحيط فقل له

: دع ذا فإنك عاجزاً عن حاله<sup>(٤٥)</sup>

١٠- واذا خفيت على الغبي فعاذر

ان لا تراني مقلة عمياء<sup>(٤٦)</sup>

### ٣- اسلوب التجريد :

التجريد من الاساليب البلاغية المعروفة عند العرب وهو "اخلاص الخطاب لغيرك ، وانت تريد به نفسك"<sup>(٤٧)</sup> ... وقد ذكر ابن الأثير من أنواعه نوعاً أشار إليه أبو علي الفارسي قائماً على المشابهة "نحو قولهم (لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، ولئن سالته

الغائب (اعرفه) لتأكيد احتقاره له ، وعدم حضوره في ذهنه ، فهو غائب عن ذهن المتنبي وفكره ، واذا ما تذكره ارتسمت له صورة في ذهنه هي صورة القرد المقطوع الذنب لما يقوده نزقه اليه من المهالك . ومن خفي التجريد قوله مادحاً عضد الدولة ومفتخراً بشعره فيه :

فقد اصبحت منه في فرند

واصبح منك في غضب يمان<sup>(٥١)</sup>

فبعد ان جرد من ممدوحه سيفاً بطريق التشبيه تم المعنى بأن جرد من شعره هو (فرندا) له اي وشياً وزينة ، فلم يكن مصدر فرادة المتنبي في هذا التشبيه التجريد فحسب ، بل هذا التداخل بين تشبيهين يتم احدهما الآخر ، ويخفيان تحتها مدحين أولهما للمخاطب بأن جعله سيفاً ، وثانيهما لنفسه (فخر) بأن شعره جوهر وزينة يزدان بهما من قيل فيه هذا الشعر .

ومن التشبيه الخاص بأسلوب التجريد قوله في رثاء فاتك :

إن حلّ في فرس ففيها ربُّها

كسرى نذل له الرقاب وتخضعُ

أو حلّ في رُوم ففيها قيصرُ

أوحل في عرب ففيها تبّع<sup>(٥٢)</sup>

ان ما يريده المتنبي من قوله هذا هو تعظيم شأن المرثي ، ورفع مرتبته وهكذا فهو ان حل بين الفرس صار (كسرى) عظيمهم وان حلّ في روم غدا هو (القيصر) أما بين العرب فهو (تبّع) ملكهم ، فدخل

لتسألن منه البحر) وهو عينه الأسد والبحر"<sup>(٤٨)</sup> . وقد استثمر ابو الطيب المتنبي هذا اللون من التعبير في صياغة كثير من تشبيهاته الخاصة ، فأبدع فيها ، ومن ذلك قوله مادحاً سيف الدولة :

عرضت له دون الحياة وطرفه

وأبصر سيف الله منك مجرداً<sup>(٤٩)</sup>

فهو يشير هنا الى لقاء سيف الدولة والدمستق ، وهروب الأخير من المواجهة ، بعد أن رأى الموت ماثلاً أمام عينيه ، متحققاً بصورة سيف من سيوف الله مجرداً أمامه ، فالتجريد واضح في تشبيه سيف الدولة بسيف الله المجرد على اعداء الاسلام واعدائه بقوله (منك) اذ لم يصرح بالتشبيه فيجعل ممدوحه سيفاً ، انما جرد منه سيفاً قائماً بوجه الدمستق حال دونه ودون الحياة ، بل لم يدع له فرصة تطرف بها عينه ، بعد ان شهد الموت ماثلاً أمام عينيه .

ومن هذا الضرب قوله هاجياً :

ما زلتُ أعرفه قرداً بلا ذنبٍ

خلواً من البأس مملوءاً من النزق<sup>(٥٠)</sup>

فم يقل المتنبي ان مهجوه (ابن كيغلق) قرد ، ولكنه قال ذلك بطريق التجريد بقوله (أعرفه قرداً) إمعاناً في رسوخ هذه الصفة به ، وثبوت حدود معرفة المتنبي له بها ، وتعامله معه على أساسها ، ولم يكتف بذلك حتى جعله - زيادة في السخرية منه - بلا ذنب ، حتى اذا جاء الشطر الثاني زاد المعنى تأكيدا وفسر لماذا جعله المتنبي قرداً مقطوع الذنب ، فذلك لانه يتحرك على وفق نزقه لا على ما تقتضيه الشجاعة لأنه خلو منها ، يلاحظ ان المتنبي تحدث عن مهجوه بصيغة

الى التشبيه مدخلاً جديداً بأن جرّد من ممدوحه هؤلاء  
العظماء الثلاثة بين أقوامهم.

ومن تشبيهاته الخاصة بأسلوب التجريد قوله :

١- هنيئاً لك العيد الذي انت عيده

وعيد لمن سمى وضحى وعيدا(٥٣)

٢- وأبصر منك الرزق والرزق مطمّع

وأبصر منه الموت والموت هائل(٥٤)

٣- تسأل أهل القلاع عن ملك

قد مسّخته نعامةً شارذ(٥٥)

٤- رأيت وجه من أهوى لبيل عواذلي

فقلن نرى شمساً وماطلع الفجر(٥٦)

٥- رحلت فكم باك بأجفان شادن

عليّ وكم باك بأجفان ضيغم(٥٧)

٦- والشمس يعنون الا انهم جهلوا

والموت يدعون الا انهم وهموا(٥٨)

٧- رأيت التي للسحر في لحظاتها

سيوف ظباها من دمي أبداً حُمر(٥٩)

٨- يغشاهم مطر السحاب مفصلاً

بمهند ومتقف وسنان(٦٠)

٩- عيب عليك ان تُرى بسيف في الوغى

ما يصنع الصمصام بالصمصام(٦١)

١٠- جاز الألى ملكت كفاك قدرهم

فعرفوا بك ان الكلب فوقهم(٦٢)

٤- اسلوب النفي :

ويكون ظاهر الكلام في هذا الضرب من التشبيه

نفي التشابه بين المشبه والمشبه به ، ولكن السياق

يقتضيه فتأتي الصورة دالة على قوة التشابه بطريق  
غير مألوف أو معتاد... كقوله :

يجلّ عن التشبيه لا الكفُّ لجةً

ولا هو ضرغام ولا الرأي مخذم(٦٣)

فظاهر الكلام ان أبا الطيب يرتفع بممدوحه عن

تشبيهه باللجة في العطاء والأسد في الشجاعة والسيف

في حدة الرأي ، ولكنه في حقيقة الأمر أقام صورة

لممدوحه جمعت الكرم والشجاعة والذكاء ورسّخها

في نفس سامعه عن طريق نفي المشابهة... وإنما

اراد المبالغة فجعل ممدوحه فوق هذه الأشياء التي

تضرب مثلاً للمعاني الملازمة لها.

وقد يأتي النفي متداخلاً مع شرط يضيفه الشاعر

على التشبيه فيكون ظاهر الكلام نفي المشابهة ايضاً.

وغايته إنما هي تأكيدها وتقريرها... كقوله :

فلم أر بديراً ضاحكاً قبل وجهها

ولم أر قبلي ميتاً يتكلم(٦٤)

فعلى الرغم من انه أراد تشبيه وجه حبيبه

بالبدر - وهو تشبيه شائع حد الابتذال - أثر ابو

الطيب ان يكون له اسلوبه الخاص في خلق هذا

التشبيه خلقاً جديداً يبهر السامعين حين وضع قيلاً

على البدر وهو الضحك المخصوص به الانسان ،

ولما نفي رؤيته بديراً يضحك ، وهذه حقيقة كونية

معروفة - جعل وجه حبيبه أعلى مرتبة من البدر

ذلك انه زاد عليه بصفة الضحك بما يضيف إشراقاً

وحياة لجمال الحبيبة على جمال البدر.

وكذا الحال في التشبيه الثاني ، حين أراد أن يعبر

عن أثر هذا الجمال في نفسه ، فهو لشدة شوقه ميت ،

ولما كان تشبيه الحبيب المتألم بالميت مبتذلاً كان لابد لأبي الطيب من أن يفوق الشعراء في تشبيههم هذا ، إذ جعل هذا الميت متكلماً وهي لازمة من لوازم الانسان الحي ، ولعله أضاف بذلك شيئاً جديداً على التشبيه ، فإن كان جمال الأخريات - غير حبيبته - يقتل المحبين ، فإن جمال حبيبته يحيي الأموات .

وقريبٌ من هذا قوله متغزلاً أيضاً :

ماضاقَ قبلكِ خلخالٌ على رشاً

ولا سمعتُ بديباجٍ على كَنَسٍ (٦٥)

دأب الشعراء على تشبيه الحبيبة بالرشأ ، ولكن تنبه أبو الطيب على ان الرشأ يكون دقيق الساق وهي صفة غير مستحبة في النساء ، وهكذا دخل للتشبيه مدخلاً جديداً حين نفي رؤيته لرشأ يضيق الخال عن ساقه وبذلك أثبت للحبيبة شبيها بالرشأ وأضاف إليها بطريق الكناية (ضيق الخخال) لامتلاء ساقها بما أكمل الصورة في عناصرها اللفظية والمعنوية ، ثم زاد معانيه تأكيداً بالتشبيه الثاني حين شبه هودجها بالكناس (وهو الموضع الذي يستتر به الغزال) وأضاف إليه عنصراً جمالياً معنوياً بأن جعله مصنوعاً من الديباج لا من الاغصان كما هي حال الكناس الحقيقي ، وعنصراً لفظياً حين دخل الى التشبيه هذا المدخل الخاص القائم على نفي المشابهة وسيلة لاثباتها وتأكيدها .

وإذا كانت التشبيهات السابقة واضحة ، سرعان ما يتلفها السامع من بين الفاظها ، فإن لأبي الطيب أسلوبه الخاص في التلميح بالتشبيه بما تحتاج معه الى أعمال الفكر وإنعام النظر ، كي تصل الى مراد

الشاعر من صورته التشبيهية ، ومن ذلك قوله :

لم تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارنا

إلا بوجهٍ ليسَ فيه حياءُ (٦٦)

فان القراءة السريعة للبيت لا تجعلنا نتبين التشبيه المختفي تحت عبارته ، ولكن إنعام النظر والتدقيق في الصورة التي وردت في البيت سيجليان مراد الشاعر - بل مهارته النادرة في إيراد التشبيه بطريقة خاصة قد لا تتأتى لسواه من الشعراء ، فهو يريد القول على طريق المبالغة ان وجه ممدوحه أكثر اشراقاً من الشمس وأتم منها نوراً ، ولكن انظر كيف بنى صورته التشبيهية الحاملة لهذا المعنى ، لقد هاجم الشمس هجوماً قاسياً حين جعلها بلا حياء ، ذلك إنها طلعت على الناس بوجهها فيما كان بينهم من يفوقها اشراقاً وبهاء فما كان عليها الا ان تنزوي خجلة من لقاء وجهه - لقد خلق المتنبي هذه التقابلية الضدية بين وجه ممدوحه ووجه الشمس مع ان كليهما مشرق ولكن ما ان يبدو وجه ممدوحه لم يعد لوجه الشمس من حاجة ، وعليها ان تدرك ذلك وتخلج من نفسها . ومن هذا التشبيه الخفي الذي يحتاج الى دقة في التفكير وامعان في النظر قوله :

كفانا الربيعُ العيس من بركاته

فجاءته لم تسمع حذاء سوى الرعد (٦٧)

الثابت من التشبيه ان أبا الطيب يشبه ممدوحه بالغيث ، ولكن هل أسرع بالتصريح بهذا الشبه أم إنه أثر أن يمتعنا بصورة خاصة من صورته التشبيهية ، وأن يجعلنا نقف متأملين كي نجمع عناصرها متلذذين بفوزنا بالوصول الى مبتغاه...

فأنه غيث فان بركاته ستحل على الناس فيكون لهم ربيعاً ، وبذا كان في خصبه وكثرة مطره ما يغنيهم عن تكلف حذاء الابل في المسير إليه لأن الرعد قام لها مقام صوت الحادي ، وهكذا بدا لنا في شطر البيت الثاني وكأنه يرشح التشبيه (يقويه) فبعد ان جعله غيثاً فمن الطبيعي ان يكون الرعد مصاحباً له ، فجاء به كي يكون هو حادي الأبل إليه ، وهكذا صار الرعد الذي هو بشير الغيث ، بشيراً بالوصول الى الممدوح كذلك لأنه غيث أيضاً .  
ومن التشبيهات الخاصة المبنية على اسلوب النفي قوله راثياً:  
ما كنتُ أملُ قبلَ نعشِكَ أن أرى

رضوى على أيدي الرجال تسيّر<sup>(٦٨)</sup>  
فلو شبّه المتنبّي المرثي بالجبلي، بواحد من اساليب التشبيه المتداولة، كان تشبيهاً تقليدياً فجاً ، ولكن ابا الطيب أدخل اسلوب النفي كي يبني صورة جديدة من هذا التشبيه المألوف ، ذلك بأنه نفى ان يتوقع يوماً أو أن يخطر في باله أن يقوى الرجال على حمل (رضوى) الجبل ، ولكن خاب ظنه حين رأى مرثيه محمولاً على أيدي الرجال ، اعظماً له وتفخيماً لقدره .

ومن تشبيهاته الأخرى باسلوب النفي قوله :

١- لم نفتقد بك من مزن سوى لثقي

ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الا قبح منظره

ومن سواه ليس بالحسن<sup>(٦٩)</sup>

- ٢- يستعظمون أبيتاً نأمت بها  
لا تحسدون على ان ينأم الاسد<sup>(٧٠)</sup>
- ٣- يا ايها القمر المباهي وجهه  
لا تكذبين فلست من اشكاله<sup>(٧١)</sup>
- ٤- لها بشر الدر الذي قلدت به  
ولم أر بدرأً قبلها قلد الشهبأ<sup>(٧٢)</sup>
- ٥- فليس لشمس مذ أنرت إنارةً  
وليس لبدر مذ تمت تمام<sup>(٧٣)</sup>
- ٦- وأتيت معتزماً ولا أسدً  
ومضيت منزهماً ولا وعلً<sup>(٧٤)</sup>
- ٧- بلا سلاح سوى رجائكم  
ففاز بالنصر وانتني راشد<sup>(٧٥)</sup>
- ٨- عند من لا يقاس كسرى ابو سا  
سان ملكا به ولا اولاده<sup>(٧٦)</sup>

### ٥- اسلوب التساؤل أو التشكيك :

ويقوم هذا التشبيه على أسلوب الاستفهام القائم على عدم التثبت أو اليقين بين شيئين أو أمرين احدهما يمثل المشبه والآخر يمثل المشبه به ، والغاية الحقيقية من وراء هذا التساؤل أو التشكيك هو عقد المشابهة بين هذين الأمرين...

ومن ذلك قول أبي الطيب :

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر

بفي برود وهو في كبدي جمر<sup>(٧٧)</sup>

فبحسب اصطلاحات أهل البلاغة فان التشبيه

هنا تشبيه (الجمع) حيث المشبه واحد (ريقك) فيما

في ساحة المعركة إنما سجناء يقادون مكبلين الى حتفهم ، إنها صورة نفسية مجسدة للروع الذي يخلقه سيف الدولة في نفوس أعدائه ، وفيها كانت المشابهة بين السيوف والأغلال قائمة على اساس الاستفهام المتفجر من أعماق هذه النفوس التي بدأت تستشعر دنو أجلها عن ما هية هذا الذي يحملونه أهو السيف الذي يردُّ عنهم حتفهم أم أغلال تقودهم طائعين إليه. ومن لوحاته التشبيهية المتميزة القائمة على اسلوب الاستفهام قوله :

تُهَابُ سِيوْفُ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ

فكيف إذا كانت نزاريةً عُرباً

ويُرهبُ اللَّيْثُ وَاللَّيْثُ وَحَدَّهُ

فكيفَ اذا كان الليوث له صحبا

ويُخشى عبابُ البحر وهو مكانه

فكيف بمن يغشى البلاد اذا عبا (٨١)

إن سلسلة التشبيهات المتتابعة تعكس قدرة فنية خاصة في ايراد التشبيه بطريقة الاستفهام وبنحو خاص تميز به أبو الطيب ، فقد جعل مقاتلي سيف الدولة سيوفاً وزادها فضلاً على السيوف الحقيقية بأن جعلها منسوية الى أكرم العرب (نزار) فزادها رفعة ومكانه بكل ما تحمله العروبة من معاني النخوة والشجاعة والاقدام والتضحية ، ثم عاد ليجعل من ممدوحه (سيف الدولة) ليثاً يهاب لذاته ، فكيف إذا أحاط به صحبه من الليوث ، حيث تعظم المهابة ويشد الفرع عند رؤيتهم مجتمعين ، ثم يأتي التشبيه الثالث غاية في الجمال وفرادة التعبير عن الهيبة والعظمة ، فلم يكتف بأن جعل ممدوحه بحراً يخشاه

تعدد المشبه به (ماء الغمامة) و(خمر) و (جمر) ، ولكن الشاعر لم يصغ العلاقة بين المشبه والمشبه به على واحدة من طرق التشبيه المعروفة ، بل نهج في ذلك نهجاً خاصاً حيث جاء بالتشبيه بأسلوب الاستفهام القائم على التشكيك حيث لم يعد قادراً على التمييز بين المشبه به (الريق) وكل هذه المشبهات بها (ماء الغمامة والخمر والجمر) بعد استعمال (أم) المعادلة للدلالة على تساوي هذه العناصر الأربعة ، حتى تماهت صورة التشبيه في الظاهر ، فيما تأكدت العلاقة وترسخت في حقيقة الأمر ، بما منح التشبيه جدة وطرافة .

ومثل هذا قوله مادحاً

أمساورٌ أم قرنٌ شمسٍ هذا

أم ليثٌ غابٍ يقدم الاستاذ(٧٨)

وقوله :

يا ساقبيٍّ أخطرٌ في كؤوسكما

أم في كؤوسكما همٌ وتسهيذٌ (٧٩)

ومن جميل تشبيهاته على وفق هذا الاسلوب قوله :

ينفضُ الروعُ أيدياً ليس تدري

أسيوفاً حملنٌ أم أغلالاً (٨٠)

إذ البيت يرسم صورة نفسية معبرة عن فزع أعداء سيف الدولة وهلعهم من مواجهته ، فقد أدخل الرعب إلى قلوبهم وصار حلمهم الفرار من ملاقاته نجاة بأنفسهم ، ولكن هذه السيوف اللعينة التي لصقت بأيديهم صارت أغلالاً تشدهم الى الموت إذ جعلتهم في موقع المواجهة مع قدرهم المحتوم فأحسوا ثقلها على أرواحهم قبل أيديهم ، فما عادوا مقاتلين

الجميع وهو مستقر في مكانه إنما اردفه بسؤال مفعم بروح المبالغة وهو : كيف بهم إذا جاءتهم أمواجه المتلاطمة تجتاحهم في بلادهم ، إنها صورة تحمل من معاني الهيبة المفزعة والسطوة المرعبة مالم ترسمه صورة من داهمه الموت وهو يرى هيجان البحر وطغيان أمواجه وهو على ظهر السفينة ، إذ يظل لديه أمل في النجاة سواء في صمود سفينته أو سعيه للوصول الى البر حيث الأمان والراحة ، ولكن كيف هي حال من جاءه البحر إلى برّه ليغرقه في عقر داره..

إنها صورة نابضة بالحياة والحركة والجمال.

ومن تشبيهاته على وفق اسلوب التساؤل والتشكيك :

١- إذا الغصنُ أم ذا الدعصُ أم أنت فتنةٌ

وذيا الذي قبلته البرقُ أم الثغرُ(٨٢)

٢- أحلماً نرى أم زماناً جديداً

أم الخلق في شخص حيّ أعيدا (٨٣)

٣- أسيف الدولة استتجد بصبر

وكيف بمثل صبرك للجبال(٨٤)

٤- أمينا واخلافا وغدراً وخسة

وجبناً أشخصا لحت لي أم مخازيا(٨٥)

٥- وقد نسي الحسين بما يسمى

ردى الابطال أو غيث العطاش(٨٦)

#### ١- اسلوب المقايسة :

وفي هذا اللون من التشبيه يقيم المتنبي مقايسة أو مقارنة بين أمرين أو شيئين هي في حقيقتها علاقة

تشابه مقصودة وان بدت خفية تحتاج إلى إنعام النظر لإدراك طرفي التشبيه...ومن ذلك قوله :

وما الجمعُ بين الماء والنارِ في يدي

بأصعبَ من أن أجمع الجَدَّ والفهما(٨٧)

فالمتنبي الحائق المتبرم من زمانه دوماً لأنه لم ينل منه ما يستحقه فيما ينعم الأغبياء والجهلة بالجاه والسلطة والمال ، يسلي نفسه ويحاول أن يخفف عنها بأن الجمع بين الحظ والعلم ليس بمقدوره ومادام الله قد أنعم عليه بنعمة الفهم فمن المحال أن يجمع إليه الحظ ، ذلك ان الجمع بين الماء والنار في يد واحدة أيسر من جمع الحظ والفهم عنده ... وهكذا أقام المتنبي صورته التشبيهية على أساس المقايسة بين حالين خلاصتها تقرير معناه الذي يريده وتثبيته في نفس قارئه.

ومن لطيف تشبيهاته بهذا الاسلوب قوله :

مظلومة القَدِّ في تشبيهه غصناً

مظلومة الريق في تشبيهه ضرباً (٨٨)

فلو قال المتنبي : ان قَدَّها كالغصن وان ريقها كالضرب (العسل) لما جاء بجديد ، وكان تشبيهه بارداً ، ولكنه خلق مقايسة جميلة بين قَدِّ الحبيبة والغصن وريقها والعسل ليصل الى نتيجة أثبتتها من البداية هي ظلم هذه المقايسة وجورها ، فقَدُّ الحبيبة أهيف من الغصن ، وريقها أحلى من العسل ، وفي كل ذلك انما أتى التشبيه مأتى جديداً بث في تشبيهاته جمالاً وطرافة.

ومن مقايساته التشبيهية قوله مادحاً :



تزيد عطاياه على اللبث كثرةً

وتلبث أمواهُ السحاب فتتضب (٨٩)

لقد جرى الشعراء على تشبيه ممدوحهم بالسحاب  
عطاء وكرماً ولكن أبا الطيب له مدخله الخاص الى  
هذا التشبيه بأن خلق مقايسة ، بل مفاضلة بين عطايا  
الممدوح وعطايا السحاب ، فقد فضل جود الممدوح  
على جود السحاب ذلك ان عطايا الممدوح كلما طال  
مكثها عندك كثرت وزادت لأنه يمدّها بغيرها ، أما  
السحاب فإن ماءه يغور فينقص اذا ما لبث على  
الأرض...

وقد تأتي صورته التشبيهية بطريق التساوي لا  
التفاضل ، كقوله

مغاني الشعب طيبا في المغاني

بمنزلة الربيع من الزمان (٩٠)

وقوله :

لا يشهرون على مخالفهم

سيفاً يقوم مقامه العَدْلُ (٩١)

وقد تأتي بطريق الموافقة والمخالفة في الوقت نفسه  
كقوله :

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها

وخالفوها بتقويض وتظنيب (٩٢)

ومن لطيف هذا الباب قوله :

فَرُلْ يا بَعْدُ عن أيدي ركابٍ

لها وقعُ الأسنّةِ في حشاكا (٩٣)

أراد المتنبي ان يمتدح مطاياه لسرعتها وخفتها  
وهي تسير به نحو ديار الأحبة كي تطوي مسافة  
البعد عنهم ، فجعل وقع أيدي الركاب على البعد كوقع

الأسنة في حشاه ، فهي قاتلة له ، تمزق هذا البعد  
القاسي وتقضي عليه... إنها صورة معبرة عن ألم  
الشاعر من الفراق وفرحته بقرب اللقاء ، فجاءت  
صورته معبرة عن سعادته بهزيمة عدوه اللدود  
(البعد) وتمزيق أحشائه بقوائم ركابه التي صارت  
رماحاً تجهز عليه.

ومن تشبيهاته الأخرى بأسلوب المقايسة قوله :

١- يقصّر عن يمينك كلُّ بحر

وعما لم تلقه مما ألقا (٩٤)

٢- فأقعصها بحجن تحت صِفْر

لها فعلُ الأسنّة والصفاح (٩٥)

٣- ولا زال تجتاز البذور بوجهه

فتعجب من نقصانها وتمامه (٩٦)

٤- وكم من جبال جبّت تشهد انني الـ

جبال وبحرٍ شاهدٍ انني البحرُ (٩٧)

٥- فأجرك الآله على عليل

بعثت الى المسيح به طبيبا (٩٨)

٧- أسلوب المعاكسة :

وهذا الضرب من التشبيه وإن كان في حقيقته من  
التشبيه المقلوب أو المعكوس ، إلا أن للمتنبّي طريقتة  
الخاصة في ايراده ، فهو حين يقول :

نحن ركبٌ ملجن في زي ناسٍ

فوق طيرٍ لها شخوص الجمال (٩٩)

إنما عكس التشبيه ، فجعل الجن تشبههم ، وجعل  
الطير تشبه جمالهم ولكنه لم يورده هذا المورد ، وإنما

اثبت لنفسه ومن معه صورة الجن ولكنهم تخفوا في زي الناس ، ويمتطون طيوراً أخذت صورة الجمال ، إنها معاكسة في غاية الدقة والجمال. ومن هذا قوله المشهور هاجباً :  
أرانبُ غيرَ أنهم ملوكُ

مفتحةٌ عيونهم نيام(١٠٠)  
فقد أثبت لهؤلاء الملوك المهجوين صورة الارانب ، فيما أورد لهم صفة الملوك على سبيل الاستثناء ، فأجاد في ذلك غاية الإجادة ، وهو ما تنبه عليه العكبري في شرحه حين قال : "فمعهود في مثل هذا ان يقال هم ملوك الا انهم في صورة الارانب ، فزايد وعكس الكلام مبالغة ، فجعل الارانب حقيقة لهم ، والملوك مستعاراً فيهم ... هذه عادة له يختص بها"(١٠١).

ولم يكتف المتنبى بالمبالغة التشبيهية في صدر البيت حتى شفعا بمبالغة اخرى بطريق المفارقة حين جعل عيونهم مفتوحة ، ولكنهم نيام ، إمعانا في السخرية منهم والانتقاص من شأنهم. ومن أساليب المتنبى المتميزة في عكس التشبيه بطريقته الخاصة قوله :  
قُلْ فكم من جواهر بنظام

وُدّها انها بفيك كلام(١٠٢)  
فلم يقل لممدوحه ان كلامك كالجواهر ، بل عكس فجعل الجواهر تغبط هذا الكلام وتود ان تصبح هي الكلام في فمه ، انها قدرة متميزة في عكس التشبيه وخلقته بطريقة جديدة تبعث فيه الحياة دفاقة ثرة. ومن هذا الباب قوله :

كسائله من يسأل الغيث قطره

كعاذله من قال لفلك ارفق(١٠٣)  
فلم يجعل ممدوحه غيثاً في كرمه أو الفلك في سطوته وحتمية قدره ولو قال هذا ، ما كان للمتنبى هذه الخصوصية وهذا التفرد ، فكان لابد له من المبالغة والمعاكسة ، فجعل من يسأل الغيث قطره مثل سائل ممدوحه العطاء ، ومن يلوم الفلك في سطوته وجبروته كمن يلومه على مضاء أمره ، فهذه طباعه التي لا يستطيع لها تبديلاً.  
وقد تتخذ المعاكسة أسلوباً طريفاً في التشبيه على يد أبي الطيب كما في قوله :

فجئناك دون الشمس والبر في النوى

ودونك في أحوالك الشمس والبر(١٠٤)  
فهو يقول مخاطباً ممدوحه : جئناك وانت دون الشمس والبر في البعد أي أنت اقرب إلينا منهما وهما دونك في سائر أحوالك أي انك أشرف من الشمس والقمر في كل شيء إلا في خيرك والانتفاع منك فأنت أقرب منهما نفعاً وأدنى منهما خيراً...  
انها معاكسة تشبيهية اتخذت تأكيد المدح بما يشبه الذم اسلوباً لها ، وباسلوب المعاكسة ، فهي هو ممدوحه يقع مرة دون الشمس والبر ويقعان دونه مرة أخرى ، وفي كلا الحالين فان الأفضلية لممدوحه ... وهذا غاية التفرد والابداع.

#### ٨- اسلوب المقدمة والنتيجة :

ونعني به ان المتنبى يصنع من التشبيه معادلة منطقية ، طرفاها المشبه والمشبه به ، إذ يمهّد

شيء حتى يناله من طيبها وحلاوتها ، فحين تشرب اللبن وتترك منه شيئاً سيتحول هذا اللبن المتبقي الى مسك وعسل ذلك انه لامس شفتيها ، فصار بعضاً منها...انها مبالغة ممتعة تعبر عن انفعال شديد لهذا الجمال البدوي .

ومن معاني أبي الطيب التي صارت مادة لهذه اللعبة العقلية المخادعة التي يجريها المتنبى عبر تشبيهه الخاص قوله :

ناشوا الرماح وكانت غير ناطقة

فعلّموها صياح الطير في البهم<sup>(١٠٧)</sup>

إن هذه الرماح التي لا تعدو كونها قصبات خرساء ، ما ان تمتد إليها يد ممدوحيه ، ليدخلوا بها ساحات القتال ، حتى يعلموها صياحاً خاصاً بها ذلك هو صريرها في دروع اعدائهم الأشداء وضلوعهم فتسمع الناس هذا الصرير وكأنه صياح أحياء هالهم وقع الرماح في الأجساد...

ومن تشبيهات المتنبى المتميزة على وفق هذا الاسلوب من التشبيه قوله شاكياً :

لَمْ اللبالي التي أخذتْ على جدتي

برقة الحالِ واعذرتني ولا تلمّ

أرى أناساً ومحصولي على غنم

وذكرَ جودٍ ومحصولي على الكلم<sup>(١٠٨)</sup>

إنها معادلة موضوعية قائمة على أساس المقدمة أو السبب والنتيجة فما هذه الحال التي صار إليها المتنبى وما فيه من عوز وحاجة ، انما هي نتيجة طبيعية لسوء أهل زمانه وبخلهم ... فهو يرى أناسا في هيئتهم لكنهم اغنام في سلوكهم ، كما انه يسمع

المتنبى لمعانيه أو تشبيهاته بمقدمات أو افتراضات تكون مسوغات لما يجري على الأشياء من تغيير ، هي نتائج منطقية لهذه المقدمات ، وما ذلك كله إلا حيلة فنية لإيراد تشبيهاته بطريقة خاصة يكون فيها التشبيه أكثر رسوخاً في الذهن لكونه جاء بطريقة السبب والنتيجة ... ومن ذلك قوله مادحا :

وإذا حلّ ساعة بمكان

فأذاه على الزمان حرامٌ

والذي تنبت البلاد سرورٌ

والذي تمطر السحابُ مدام<sup>(١٠٩)</sup>

فممدوح أبي الطيب صار هنا رمزاً للخير والفرح ، فما ان يحل ساعة في أي مكان ، حتى يصبح هذا المكان مأموناً من ريب الزمان وقسوته بأن يناله سوء أو يحل به جذب ، حتى يستحيل ما تنبته البلاد سروراً وما تجود به السماء من مطر خمراً يسكر به أهل البلاد وينتشون كي يسعدوا بحياتهم في ظله مغنين فرحين ... انها (فرضية) صنعها المتنبى وأقام على اساسها تشبيهه السابقين (الذي تنبت البلاد سرور) (والذي تمطر السحاب مدام) هما نتيجة منطقية لفرضيته في بيته الأول.

ومن هذا الباب قوله متغزلاً :

وما أسأرتُ في القعب من لبن

تركته وهو المسك والعسل<sup>(١١٠)</sup>

إن محبوبه المتنبى لم تعد رمزاً للحسن والجمال فحسب بل ان جمالها هذا صار سبباً لجمال ما تمسه أو تمر عليه ، انها (معجزة) في اشاعة عناصر الجمال والحب فهذه الحسناء البدوية لا تكاد تمد يدها الى

اطراء للجود ومدحاً ولكن عند هذه الحدود فحسب ،  
اي كلام فقط ولا فعل يشفعه ، فلا غرابة ان تسوء حاله  
وحال زمانه ، بعد ان فقد أهل هذا الزمان عنصري  
صلاح كل زمان ، الا وهما الشجاعة والكرم.

#### ٩- اسلوب الايحاء بالتشبيه :

وفي هذا الضرب من التشبيه الخاص عند المتنبي  
لا نتبين المشبه والمشبه به الا بضرب من التأويل  
وانعام النظر ، ذلك ان التشبيه غير مصرح به ، بل  
نلمحه في سياق الكلام ومن خلال القرائن ...

فهو حين يقول متغزلاً :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء

إذ حيث أنت من الظلام ضياءً (١٠٩)

لم يصرح لنا بتشبيهه حبيبته بالبدر ، كما درج على  
ذلك الشعراء ، ولكن دخل الى هذا التشبيه مدخلاً  
خاصاً به ، حيث نفى اجتماع حبيبته والظلام ، ذلك  
انهما ضدان ، فهي بدر تنير حيثما تحل وبذلك لا  
ظلام حيث تكون ، وهكذا اطمأن الرقباء ان هذه  
الحبيبة لا يتأتى لها التخفي عن أعينهم بالزيارة ليلاً ،  
وذلك انها تنير حيثما تكون فليس في مقدورها التخفي  
أو الاستتار...

انها طريقة متميزة في اضمار التشبيه وعدم  
التصريح به بما يجعلنا ننعم النظر ونعمل الفكر حتى  
نلتمس طرفي التشبيه والعلاقة بينهما ثم ادراك معنى  
التشبيه.

ومثل هذا قوله :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها

في ليلة فأرت ليالي أربعا (١١٠)

فلم يصرح بتشبيهه ذوائب شعرها الثلاث بالليل ،  
وإنما جمعها الى الليلة التي رآها فيها ، فكانت النتيجة  
ان اجتمعت أربع ليال سوية فكان التشبيه بطريق  
الايحاء لا التصريح.

ومن صور أبي الطيب المتنبي الرائعة بهذا  
الأسلوب قوله في وصف ما أحدثه مسير سيف الدولة  
لقتال القبائل الخارجة عنه :

فهم جزق على الخابور صرعى

بهم من شرب غيرهم خمار (١١١)

فمع ان سيف الدولة لم يقصد بني نمير في  
حملته ، لأنهم لم يخرجوا عن طاعته ، انما بني  
القبائل لأنه توجه ناحيتهم جعلهم يهربون خوفاً  
فاصبحوا فرقاً متساقطة حول هذا النهر ، فهم  
كالسكارى مع ان الشارب غيرهم (اي بنو كعب) فهم  
من عصى (شرب) ولكن السكر (الفرع) كان من  
حصاة بني نمير...

انها صورة نادرة للتعبير عن الفرع الذي يحدثه غزو  
سيف الدولة في نفوس القبائل التي يقصدها.

ومن تشبيهاته غير المصرح بها قوله واصفاً فرساً :  
ما رآها مكذب الرسل إلا

صدق القول في صفات البراق (١١٢)

فقد أوحى بتشبيهه هذه الفرس بالبراق وهي الفرس  
التي عرج عليها نبينا محمد (ص) الى السماء في  
سرعتها وخفتها .

لم نعدم ان نجداً أبياتاً له جاء فيها التشبيه بأسلوب  
النداء ، كقوله

يا بدرُ يا بحر يا غمامة يا

ليث الشرى يا حمامُ يارجلُ (١١٤)

وقوله هاجباً :

أسامريُّ ضحكةً كل راء

فطننت وأنت أغبى الأغباء (١١٥)

وقوله مخاطباً سيف الدولة :

الا أيها السيف الذي ليس مغمدا

ولا فيه مراتبٌ ولا منه عاصمٌ (١١٦)

ومنه كذلك قوله :

حيث التقى خدها وتفتح لبـ

نان وثغري على حمياها (١١٣)

فقد جمع بين خدها وتفتح لبنان في تشبيه غير

مصرح به ، وبأسلوب خاص بأبي الطيب جعل فيه

المشبه والمشبه به يلتقيان عند ثغر الشاعر حين

يلتمهما فلا يجد فرقاً بينهما.

#### ١٠- أسلوب النداء

وهذا الأسلوب قليل الورد في شعر المتنبي ، ولكننا



## الهوامش

- ١- شرح التبيان : ٧٠/٤ .
- ٢- ينظر بحثنا (فاعلية التشبيه الضمني في الصورة الشعرية عند المتنبي) المنشور في مجلة المورد العراقية م ٣٩ العدد الاول ٢٠١٢ / ١١٧-١٣٦ .
- ٣- العرف الطيب / ٤٢ .
- ٤- م.ن / ٥٤ .
- ٥- م.ن / ١٦٥ .
- ٦- م.ن / ٤٣٨ .
- ٧- الايضاح : ٢ / ٢٦٠-٢٦٢ والبيت الاول للمتنبي ينظر العرف الطيب / ١٤٨ .
- ٨- ينظر معجم المصطلحات البلاغية : ٢ / ١٧٨ .
- ٩- حدائق السحر/ ١٤٧ .
- ١٠- حسن التوسل / ١١٨ .
- ١١- ينظر حدائق السحر / ١٤٧ وما بعدها وحسن التوسل / ١١٦ وما بعدها ونهاية الارب : ٧ / ٤٤ وما بعدها
- ١٢- الصورة الفنية في شعر ابي تمام / ١٦٥ .
- ١٣- ينظر المصدر نفسه / ١٦٦ .
- ١٤- الصورة المجازية في شعر المتنبي / ٦٤ .
- ١٥- العرف الطيب / ١٩١ .
- ١٦- المصدر نفسه / ٤٣٨ .
- ١٧- المصدر نفسه / ٢٢٣ .
- ١٨- المصدر نفسه / ٣٣٤ .
- ١٩- المصدر نفسه / ٩٧ .
- ٢٠- المصدر نفسه / ٣٠٤ .
- ٢١- المصدر نفسه / ٦٣ .
- ٢٢- المصدر نفسه / ٦٤ .
- ٢٣- المصدر نفسه / ١٧٩ .
- ٢٤- المصدر نفسه / ٥٣٠ .

- ٢٥- المصدر نفسه / ٤٩٥
- ٢٦- المصدر نفسه / ٣١٠
- ٢٧- المصدر نفسه / ١٤٤
- ٢٨- المصدر نفسه / ١٨٤
- ٢٩- المصدر نفسه / ٢٨٧
- ٣٠- الايضاح: ٢/٢٦٢
- ٣١- العرف الطيب / ٤٢
- ٣٢- المصدر نفسه / ١٠٩
- ٣٣- المصدر نفسه / ٢٤١
- ٣٤- المصدر نفسه / ٥٠٤
- ٣٥- المصدر نفسه / ١٣٩
- ٣٦- المصدر نفسه / ٤٩٨
- ٣٧- المصدر نفسه / ١٢٩
- ٣٨- المصدر نفسه / ١٤١
- ٣٩- المصدر نفسه / ١٧٢
- ٤٠- المصدر نفسه / ٢٦٢
- ٤١- المصدر نفسه / ٢٩٢
- ٤٢- المصدر نفسه / ٢٩١
- ٤٣- المصدر نفسه / ٤٣٨
- ٤٤- المصدر نفسه / ٣٩٥
- ٤٥- المصدر نفسه / ٣١٦
- ٤٦- المصدر نفسه / ١٤٤
- ٤٧- المثل السائر : ٢/١٥٩
- ٤٨- المصدر نفسه : ٢/١٦٤
- ٤٩- العرف الطيب / ٤٠٤
- ٥٠- المصدر نفسه / ٢٦١
- ٥١- المصدر نفسه / ٦٠٥

- ٥٢- المصدر نفسه / ٥٤٨
- ٥٣- المصدر نفسه / ٤٠٥
- ٥٤- المصدر نفسه / ٤١٠
- ٥٥- المصدر نفسه / ٦١٤
- ٥٦- المصدر نفسه / ٧٩
- ٥٧- المصدر نفسه / ٥٠٧
- ٥٨- المصدر نفسه / ٤٦٢
- ٥٩- المصدر نفسه / ٧٩
- ٦٠- المصدر نفسه / ٤٥٩
- ٦١- المصدر نفسه / ٤٦٩
- ٦٢- المصدر نفسه / ٥٥٥
- ٦٣- المصدر نفسه / ١٣٣
- ٦٤- المصدر نفسه / ١٣١
- ٦٥- المصدر نفسه / ٤٢٠
- ٦٦- المصدر نفسه / ١٤٨
- ٦٧- المصدر نفسه / ٥٩٠
- ٦٨- المصدر نفسه / ٨٩
- ٦٩- المصدر نفسه / ١٩٥
- ٧٠- المصدر نفسه / ٢٠٠
- ٧١- المصدر نفسه / ٣١٥
- ٧٢- المصدر نفسه / ٣٥٦
- ٧٣- المصدر نفسه / ٤٢٩
- ٧٤- المصدر نفسه / ٦٠٩
- ٧٥- المصدر نفسه / ٦١٣
- ٧٦- المصدر نفسه / ٥٨٢
- ٧٧- المصدر نفسه / ٧٩
- ٧٨- المصدر نفسه / ٨٦



- ٧٩- المصدر نفسه / ٥٦٠
- ٨٠- المصدر نفسه / ٤٥٢
- ٨١- المصدر نفسه / ٣٥٧
- ٨٢- المصدر نفسه / ٧٩
- ٨٣- المصدر نفسه / ١٥٣
- ٨٤- المصدر نفسه / ٢٩٨
- ٨٥- المصدر نفسه / ٥٥٤
- ٨٦- المصدر نفسه / ٢٦٨
- ٨٧- المصدر نفسه / ١٩٩
- ٨٨- المصدر نفسه / ١٤٤
- ٨٩- المصدر نفسه / ٥١٧
- ٩٠- المصدر نفسه / ٥٩٩
- ٩١- المصدر نفسه / ٦١٠
- ٩٢- المصدر نفسه / ٤٩٥
- ٩٣- المصدر نفسه / ٦٣١
- ٩٤- المصدر نفسه / ٣٢٣
- ٩٥- المصدر نفسه / ٢٧٢
- ٩٦- المصدر نفسه / ٤٤٤
- ٩٧- المصدر نفسه / ٢١٦
- ٩٨- المصدر نفسه / ٢٢٤
- ٩٩- المصدر نفسه / ١٤١
- ١٠٠- المصدر نفسه / ١١٨
- ١٠١- شرح التبيان : ٧٠/٤
- ١٠٢- العرف الطيب / ١٨٨
- ١٠٣- المصدر نفسه / ٣٨٠
- ١٠٤- المصدر نفسه / ٢١٨
- ١٠٥- المصدر نفسه / ٢٩٢

- ١٠٦- المصدر نفسه /٦٠٦
- ١٠٧- المصدر نفسه /٥٥٠
- ١٠٨- المصدر نفسه /٥٤
- ١٠٩- المصدر نفسه /١٤٣
- ١١٠- المصدر نفسه /١٣٦
- ١١١- المصدر نفسه /٤٤١
- ١١٢- المصدر نفسه /٢٦٤
- ١١٣- المصدر نفسه /٥٩٥
- ١١٤- المصدر نفسه /١٥٧
- ١١٥- المصدر نفسه /٣٦٦
- ١١٦- المصدر نفسه /٤٢٦ صص



## المصادر والمراجع

- ١- الايضاح في علوم البلاغة / جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني / تحقيق لجنة من الجامع الأزهر / طبعة بالأوفست / مكتبة المثنى ببغداد.
- ٢- حدائق السحر في دقائق الشعر / رشيد الدين الوطواط ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربي - القاهرة ١٣٦٤ - ١٩٤٥م.
- ٣- حسن التوسل الى صناعة الترسل / شهاب الدين محمود الحلبي / تحقيق د.أكرم عثمان / بغداد ١٩٨٠م.
- ٤- شرح التبيان على ديوان أبي الطيب احمد بن الحسين / عبد الله بن عبد الله البغدادي - ابو البقاء العكبري / ط١ المطبعة العامرية الشرقية ١٣٠٨هـ.
- ٥- الصورة الفنية في شعر أبي تمام/ الدكتور عبد القادر الرباعي / جامعة اليرموك الدراسات الادبية واللغوية (١) أربد - الاردن ١٩٨٠م
- ٦- الصورة المجازية في شعر المتنبي / جليل رشيد فالح / اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب / جامعة بغداد ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- ٧- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب / الشيخ نصيف اليازجي صوّب نصوصه وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع / شركة دار الارقم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
- ٨- فاعلية التشبيه الضمني في الصورة الشعرية عند المتنبي / أ.د عبد الهادي خضير نيشان / مجلة المورد العراقية المجلد ٣٩ العدد الاول ٢٠١٢م.
- ٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / ضياء الدين بن الأثير / تقديم وتحقيق د.احمد الحوفي و د.بدوي طبانة / دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- ١٠- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / د.احمد مطلوب / بغداد ، المجمع العلمي العراقي ج ٢ ١٩٨٦م.
- ١١- نهاية الأرب في فنون الأدب / شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري / دار الكتب المصرية - القاهرة.







## في إشكاليات القراءة والتلقي من القارئ النمطي الى المشارك

The problems of Reading and Understanding from the  
Typical Reader to the Participant

د. أثير محمد شهاب

كلية التربية للبنات/جامعة بغداد

قسم اللغة العربية

Dr Athir Muhammad Shiham  
College of Education for Women,  
University of Baghdad

## ملخص البحث

هذه الدراسة تتناول إشكالية مهمة من إشكاليات القراءة والتلقي التي تتعرض لها الثقافة العربية والعالمية في ضوء نمو تكنولوجيا الاتصال التي أثرت على مفهوم التلقي، وأسهمت هذه التحولات في ابتعاد النص عن الطريقة التقليدية في التلقي الى حالة جديدة يشترك فيها المتلقي في التعبير عن همومه وأحلامه، وربما وجدناه يصحح بعض النصوص او يعلق عليها، بعد غياب طويل بسبب وسائل الاتصال التقليدية، وما قدمته هذه الحداثة فرضت على المنتج والمؤلف أن يكون خفيف الظل في التعبير عن موضوعه، تماشياً مع روح العصر السريعة التي ترفض الإطناب والإسهاب في التعبير، وهذا هو امتياز العصر، ووجدنا من جهة أخرى أنّ النصوص أغلبها جاءت لتعبر عن راهنية اللحظة وإشكاليات المرحلة، من ذلك اقترنت هذه النصوص بلحظة تسجيلية للتعبير عن الوضع الحياتي العربي البائس الذي جعل من قلق الوجود في حضور دائم، لذلك جاءت التعليقات أغلبها على نحو يعبر عن صدمة الموضوع الذي قدمه الشاعر، ونحن بذلك نفقد الإمكانيات الفنية التي نطلبها من النص إلى حالة تسجيلية توثيقية للموضوع، ومع هذا وجدنا كمّاً كبيراً من النصوص، يحاول فيها الشاعر أن يتجاوز موضوع اللحظة إلى الاهتمام بما تملّيه حساسيته الشعرية في التعبير عن موضوع خارج الواقع. وسنحاول فيما يلي جلاء ما تقدم على أتم وجه.

## Abstract

The study deals with the problems of reading and receiving which are facing the Arabic and international Culture in the light of the growth of communication technology which has affected the concept of reception. These changes have contributed to the detachment of text from the traditional approach of reception to a new situation in which the recipient participate to express his concerns and dreams. We perhaps find him/her correcting some texts or commenting on them after a long absence because of the traditional way of communication. This modernity forces the writer to be witty in expressing his/her subject in accordance with the new age which rejects verbosity and redundancy of expression. This is the excellence of the age. We have found that the text expresses the present moment and the problems of the time. With reference to that , the texts are accompanied by a recording moment to express the Arabic miserable conditions of life which bring worry to the surface .

إلى يومنا هذا، وإنما نحاول البحث عن ذلك التفاعل الإيجابي الذي ينتج متلقيا عاديا ومتخصصا في الوقت ذاته في قراءة النص الإبداعي، لأنّ دافع القراءة هو الاكتشاف، فـ (جميعنا يقرأ نفسه والعالم المحيط بنا من أجل أن ندرك من نحن وأين نحن موجودون)<sup>(٤)</sup>. وكل هذا مرهون بوسائل الاتصال التي يقع على عاتقها شكل التلقي، واعتقد أنّ حداثة هذه الوسائل قد انفتحت على كل المتلقين على اختلافهم، وانتقل القارئ من حالة التلقي السلبي غير المشارك إلى ما يعرف بالاستذهان<sup>(٥)</sup> الذي يدل على مشاركة القارئ في النص، وإسهامه في إنتاج قراءة مختلفة عنه، أو نص مختلف.

إنّ واحدة من الاشكاليات في نظرية القراءة القديمة تغييب القارئ بشكل كبير ولا أقصد هنا تلك الدراسات التي تقدم نقدا انبطاعيا عن تلك القصيدة أو ذلك الشاعر، وإنما الابتعاد عن إصدار حكم نقدي مشترك في الإبداع، إذ اكتفى النقد بظاهرة السرقة، والمطبوع والمصنوع، والتكلف، والشعر المنحول، والسبب كما يبدو لي يعود إلى عدم حضور الثقافة التسجيلية الراصدة لفعل واستجابة القراءة التي نستطيع من خلالها تسجيل التصورات النقدية حول نص ما، وما قدم أو أنجز من كتب نقدية تمثيل لصورة الرؤية الأحادية التي تفترض قراءة واحدة لوجهة نظر شخصية، فلا وجود لمشاركات قرائية لنص ما. قدمت الدراسات النقدية القديمة، ابتداء من طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، والشعر والشعراء لابن قتيبة جملة من المصطلحات مثل الطبع،

تطرفت كثير من نظريات القراءة والتلقي إلى أهمية العنصر الثالث في نظرية التلقي، ألا وهو القارئ الذي سعت الدراسات أغلبها إلى التركيز حول وظيفته ودوره داخل العملية الإبداعية، ولعل جهود ايزر وياوس<sup>(٦)</sup>. قد أسهمت في تعزيز النظر حول هذا الطرف المهم في العملية الإبداعية مع تباين وجهات النظر بين صفات ذلك المتلقي والاسقاطات المتبادلة بينهما، وحجم التأويل الذي يقوم به المتلقي، مع الاختلاف في وجهة النظر بين قارئ وآخر، فحميد لحميداني يعتقد أنّ نظرية القراءة قد تنذر (بزيادة التباعد بين القراء العاديين والقراء الاستمولوجيين، على خلاف ما هو شائع من أن نظرية التلقي والتأويل جعلت النقد الأدبي ملكا مشاعا بين القراء)<sup>(٧)</sup>.

ومع هذا لا ننسى دور القارئ الذي انيط به اكمام الفراغات المتوفرة داخل النص، وبعضهم زاد على ذلك أنّ القارئ عنصر مكمل لسد النقص الحاصل في رؤية النص، فـ (القارئ هو الذي يتعرف في موضوع ما، أو مكان ما أو حدث ما، على القابلية المحتملة للقراءة، والقارئ أيضا هو الشخص الذي يستطيع أن يعطي معاني لمنظومة من العلامات من أجل فك رموزها فيما بعد)<sup>(٨)</sup>، واجتهد بعضهم في تنصيف القارئ من وجهات نظر متعددة بين القارئ الضمني، الفاعل والعضوي، والمشارك، والسلبي، والمؤدج، والعالم، ولا نقصد بالقارئ ذلك الكائن الخامل في ثقافة التلقي التقليدية، ولسنا بصدد الحديث عن التلقي الذي قام به كبار نقاد الإبداع العربي منذ نشوء الأدب

والتكلف، والتمكين، وهي مجموعة من التصورات التي وضعت الدرس في خانة الانطباع بإزاء تقديم الرؤية النقدية حول النصوص الشعرية التي كانت تمثل البؤرة الحقيقة للنص الابداعي القديم، ومع ما قدم، فوجهة نظر التلقي انطباعية وتمثيل لصورة النخبة في التلقي غير النموذجي الذي لا يخضع الى استجابة قرائية دقيقة في الفحص، بحيث صعب العثور على مقولات نقدية (نقد النقد) في رصد متغيرات القراءة اتجاه هذا النص، بسبب طبيعة انطباعية وأحادية الرؤية بين متلق وآخر، والاندفاع باتجاه الحديث عن الشاعر بدلا عن شعره، وبسبب قدم وسائل الاتصال بين الشفاهية والكتابية.

وحتى عصرنا الحاضر ثمة اشكاليات في رصد مقولات القارئ حول النص القديم والحديث، بسبب هذه الاشكالية الاتصالية في تسجيل التصورات حول نص ما، فحينما يسعى أحدهم إلى تقديم تصوره النقدي، فإنما يقدمها من خلال تلفاز أو جريدة أو مقالة نقدية، وهذه المقولات لا تمثل تعددية في وجهة نظر المتلقي حول نص ما، وربما يواجه الناقد الذي يبحث عن مقولات القارئ صعوبة كبرى في تكوين رؤية مشتركة اتجاه نص ما أو تجربة شعرية، فهو يجتهد في اقتطاع المقولات القرائية لنص ما من خلال التعليقات المنشورة في مجلة أو جريدة، وهذا يدل على أن النصوص الابداعية قد تعرضت إلى مناخ رسمي في القراءة، فلا وجود لقارئ عادي يقوم بتسجيل الملاحظات حول ذلك النص، ولعل الاختلاف حول نص ما بمثابة قراءة مغايرة ومختلفة وهي علامة

صحية حول النص والشاعر، من ذلك وجهات النظر المتعددة حول شعر المتنبي بين المعري وابن جني والبرقوي، ومع هذا التنوع في قراءة شعر المتنبي، إلا أننا لا نجد ذلك الضبط في وجود مشتركات قرائية حول شعره، لأن طبيعة القراءة قد انطلقت من شرح الأبيات على نحو انفرادي بمعزل عن صورة القصيدة ككيان تعبيرية كامل يحمل رؤية ابداعية.

إن ما قدم من قراءات حول شعر المتنبي تحتاج إلى ضبط، ويكون هذا الضبط من خلال الاتفاق على المشتركات من الأبيات التي اختلف حولها القراء في تقديم الدلالة المرشحة، فلو أن المعري وابن جني ذهبا إلى قراءة بيت من شعر المتنبي، فهذا يعني حضور التلقي الأنموذجي، ولكن عندما تكون هناك أحادية في قراءة بيت شعري، فلا نعتقد بحضور النظرية، لأن القراءة الأحادية لا تدل على التعددية والاختلاف في القراء حول نص معين، لذلك يبدو الحضور فاعلا حينما يختلف القراء حول بيت محدد، بشرط عدم الاتفاق في الرؤية مهما تعددت حول دلالة البيت، وهذا يعني تحول القراءة المتعددة إلى ذات واحدة، والحضور هو وجهة نظر واحدة.

وربما يسحبنا هذا الرأي إلى تصورات أخرى هي جدير بالدخول ضمن منطلق القراءة والتلقي، ألا وهي ما قدم في كتاب الانصاف في المسائل النحوية الذي سعى مؤلفه إلى تقديم اختلاف وجهات النظر النحوية حول ظاهرة وأمر معين من وجهة نظر نحوية، والأمر ذاته مع التفاسير القرآنية التي أضحت قراءة متعددة لوجهات نظر مختلفة.



على النص وثقافته والايديولوجيا التي يؤمن بها في نقد النص، ومع هذا فلا وجود لقارئ مثالي أو نموذجي كما يصرح كبار النقاد من ايزر ويوس وايكو، فإن قراءة دقيقة واحدة هي إعلان رسمي لموت النص، لذلك انتفى لديهم ما يعرف بالقارئ المثالي<sup>(٨)</sup> بحيث إنّ كثيراً من النصوص الابداعية التي لا تتفق مع ميول القارئ الرسمي، تكون وجهة نظره سلبية، تملئها عليه الايديولوجيا التي يؤمن بها، ولا أحتاج إلى نماذج من أجل التأسيس إلى هذا الظاهرة، وإنما سأقف عند حدود بعض الظاهرة، فقد كان القارئ المؤدلج الحزبي في الثقافة العراقية قبل عام ٢٠٠٣ ينظر إلى شعر مظفر النواب واحمد مطر ومحمد الماغوط نظرة سلبية نقدية، تملئها عليه ميوله، وهذا يعني أن القارئ الرسمي، هو قارئ مؤدلج سلبي، وبعيد عن الموضوعية، ومع ذلك فمنظومة الاتصال (جريدة، ومجلة) المتاحة له هي التي دفعته إلى الاشتراك، في حين تم اقضاء القارئ الحقيقي المتذوق عن تقديم رؤيته، بسبب ماكنة التلقي التقليدية التي وضعت مجموعة من القيود التي يصعب للقارئ العادي والحقيقي تجاوزها، فلم يكن القارئ البسيط بمقدوره تقديم وجهة نظره عن طريق صحيفة أو مجلة أو إذاعة أو تلفزيون، واكتفى الوسط الثقافي والنخب بالقارئ الرسمي الذي يتفق ويختلف مع النص.

إن درسا نقديا جديرا بالبحث في المتلقي وأشكاله ومعايير لم تكن حاضرة بقوة في الثقافة العربية، وإنما كانت هناك شذرات تمثل وجهة نظر فردية، ومع كل هذا فقد قدمت المدرسة الألمانية عن طريق ايزر ويوس درسا مهما في نظرية القراءة والتلقي عن طريق إشراك الآخر المتلقي في قراءة النصوص، إلا أن حجم القراءة اقتصر على المتون القديمة، وكأنا بأزاء مراجعة للتراث الإبداعي (و لكي تعثر على أشياء غير مدركة من قبل المؤلفات الماضية، وبهذه الطريقة يتم اللقاء بين أفق المؤلفات الماضية وأفق المتلقي الحاضر، حيث يفضي انصهار هذين الأفقين إلى تدوير المسافة بينهما، وإلى بناء فعل تواصل بين الإنتاج القديم والتلقي الراهن)<sup>(٦)</sup>.

وهذا يؤشر سلبية التصور في عدم مواكبة النصوص الحديثة وتعددية القراءة التي تنتج نسا مختلفا، وعدم تخلص من فكرة التاريخ وأشكالياته. ودافعية هذه المراجعة على ما يبدو تتجه صوب التعرف على التجارب الذاتية للانسان، والاختراق الذي حصل له، لنستطيع من خلال هذه المراجعة مواجهة الحاضر والمستقبل، ففي ( كل صفحة من صفحات كتاب نطالعه آثار حياتنا الذاتية)<sup>(٧)</sup>.

### القارئ الرسمي... وغياب القارئ الحقيقي

من أخطر المواجهات التي تعرض لها النص الابداعي استمرار القراءة من قبل القارئ الرسمي (الناقد)، الذي اعتقد أنه قارئ سلبي يفترض اشتراطاته

## قاعدة بيانات، وقارئ جدير

في ضوء ما قُدم من اشكاليات حول القارئ وتسجيل الملاحظات، أسهمت التكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديث في إشراك القارئ العادي والنموذجي في فعل القراءة ، ولسنا بصدد القارئ الضمني الذي تحدث عنه ايزر الذي هو عبارة عن ( شبكة من البنى المثيرة للاستجابة ، مما يدفع القارئ لفهم النص) ، الذي يتمظهر في داخل النص<sup>(٩)</sup> ، وإنّما القارئ الحقيقي الذي يحضر في تفاعل حقيقي مع النص من خلال اصدار جملة من المقولات المرافقة للنص في لحظة زمانية قريبة أو بعيدة ، تملئها عليه وسائل الاتصال الحديثة ، بعدما كان الأمر مقتصرًا على القارئ الرسمي في فعل القراءة ، حيث إن مواقع التفاعل الاجتماعية أسهمت في تقديم الرؤية المغاير حول نص ما ، وهذه التعددية في القراءة تمثل وجهة نظر مغايرة تضيف على النص خصوصية ، وتقدم له معلومات لم يكن النص بقادر على تقديمها ، بحيث يتحول النص إلى قاعدة بيانات ، تكون لكل قارئ آخر له الرغبة في الاشتراك، الاطلاع على قاعدة البيانات هذه بالتصحيح والمعالج والاختلاف والاتفاق، وإذ ننظر إلى قاعدة بيانات كل نص ، إنّما نرى وجهات نظر مختلفة حول النص في طبيعة التصور التي أسهمت في إضاءة النص ، وربما يترك النص جانبا ويكون الخيار القرائي ( التعليق) هو الأساس في الحديث حول القضية ما في النص أو قضية أخرى بعيدة كل البعد عن هذا النص، وربما

موقع إيلاف وموقع النور والمتقف وغير من المواقع قد أسهمت في تقديم ثقافة التعليق وحضور مفهوم الاختلاف اتجاه النص، والابتعاد عن النص لقضايا أخرى.

## النص التقليدي والاشتراك في القراءة

فيما تتواصل القراءة في فعلها الجديد الذي كان غائبا، بسبب قدم وسائل الاتصال وضعفها في إشراك كل القراء، وفي ظل هذا الصراع لم تكثف حداثة تكنولوجيا الاتصال بتقديم النص من خلال مساحة الكتابة التي تسمح بنشر النص إلى وضع ( لينك خاص أي عنوان المادة المنشورة في الصحف والمواقع الالكترونية) بنص تمّ نشره في وسائل اتصال تقليدية (صحيفة أو مجلة) مع النظر إلى قرّاء النص حول ما قدموه من تصورات حول النص، لذلك نرى كثيرا من الكتاب من يسعى إلى إعادة نشر ما تم نشره في وسائل الاتصال التقليدية عن طريق صفحته الشخصية على الفيس بوك ، ليتعرف على القراءات المتعددة والتعليقات والاعجاب حول هذا النص الذي لم يجد من يستمع إليه في تلك الوسائل القديمة.

فالشاعر صلاح حسن يشرع بنشر مقالة في جريدة الحياة، ويعيد نشرها على صفحته الشخصية (الفيس بوك) ليؤكد على نشرها ، وبذلك تتصارع وسائل الاتصال فيما بينها من أجل الحصول على القارئ الذي هو الهدف الأخير، ولم يكتف الشاعر صلاح حسن في صفحته على نشر المقالة، وإنما

لمنجزات ابداعية مختلفة عززت من قيمة الانتاج ورفعت من رصيد الوسائط التي أسهمت في تسليع المادة الابداعية بشكل لافت عن طريق جملة من القنوات البصرية ( دارنشر، و تلفزيون ، وصحيفة) ، والسمعية (الاذاعات)، وهذا ما دفع الوسطاء إلى المنافسة من أجل تسليع الابداع على النحو الذي يحقق قيمة ربحية ، وتساعد على نجاح المشروع، وبذلك فإنّ النصوص الابداعية قد تحولت إلى مشاريع قد تسهم في تعزيز سوق العمل ، وترفع من حركة الحياة الاجتماعية في ضوء اقتصاد السوق الذي يهتم في جانبه الأول بقيمة الربح والخسارة عن طريق المنافسة ، وبذلك وجدنا الاهتمام بالابداع وطريقة تسليعه عن طريق الانفتاح على جملة من الوسائل الترغيبية ، فوجدنا -على سبيل المثال- تحولا كبيرا عند دور النشر في طريق تصميم الكتاب بشكل لافت ، مما دفع دور النشر العالمي الى الاهتمام به على نحو خاص بوصفه الموجه الأول للقراءة ، فأخذ دور المصمم يزدهر ، لأنه المسؤول الأول في إخراج الكتاب على نحو مختلف، وبذلك سعى المصممون في دور النشر إلى تقديم اقتراحات عمل أخرى تساعد على دفع الكتاب الابداعي إلى القبول والاستهلاك من خلال الاهتمام بالقطع الخاص بالكتاب (قياساته)، فوجدنا اقبالا كبيرا على أن تكون دواوين الشعراء من القطع الصغير (كتاب الجيب) ، فيما الكتب النقدية صارت تتجه نحو القطع العادي الكبير، وزادت بعض دور النشر في قطع مختلف بحسب الموضوعات التي تقدم في متن ذلك الكتاب، فإذا ما كان الكتاب

راح يضع ملاحظة فوق هذه المقالة تشير إلى فعل التذكير، إذ يقول: ( للتذكير فقط)، وهذا يؤكد صراع وسائل الاتصال واشكاليتها في التعامل مع مناخ القراءة، ومن جهة أخرى تؤكد هذه الملاحظة أنّ هناك كمًا كبيرًا من سوء الذاكرة القرائية التي لم تستطع ملاحقة ما قدمه الشاعر من تصور حول قضايانا المستقبلية، وبذلك فإن مشاركة الصحف الورقية على صفحات الفيس، تأتي بصورة التذكير تارة، والاستنتاج تارة أخرى، أو البحث عن قراء جدد بما يمتلكونه من تعليقات قد تغني الموضوع المنشور أو تضيف عليه جملة من التساؤلات أو الاعجاب:

وفي بعض الاحيان أسهم الأدباء والكتاب والشعراء إلى الإفادة من ظاهرة النشر الالكتروني من أجل تسجيل يومياتهم عن طريق الصورة، ليؤكدوا على فعلهم الثقافي ونشاطهم، مع تذييل تلك الصور بجملة من الملاحظات التي تدل على طبيعة الامر:

ففي الصورة المنشورة على الصفحة الشخصية للروائي أحمد سعداوي الفائز بجائزة البوكر ٢٠١٤ يظهر بمعية الشاعر العراقي الستيني فاضل العزاوي، مع تذييل من قبل الروائي أحمد سعداوي بزم من الصورة ( مع فاضل العزاوي الليلة) ، ومكانها ( المانيا) في أثناء قراءة نصوص من روايته (فرنكشتاين في بغداد) باللغة الالمانية والعربية.

### وسطاء رابحون، وجماليات الانتاج

لم تكن القراءة في تاريخها الطويل سوى استهلاك

يتحدث عن الحب والرومانسية كان القطع على شكل قلب، وإذا ما كان الحديث عن فلسفة الموت أصبح الكتاب على شكل شهادة قبر، وبذلك فقد أسهم المصمم العامل في دور النشر في تعزيز قيمة الكتاب اخراجيا مما يؤثر على مزاج القارئ والمستهلك مما يساعد دور النشر على النهوض والتحول في التعامل مع مزاج القارئ المختلف، والمستهلك في ظل سوق مفتوحة على بعضها، ووجدنا في ظل هذه المنافسة اقبالا على الاختيار الدقيق للورق الذي اسهم هو الاخر في تعزيز قيمة التواصل، فمزاج القارئ جزء من أوليات دور النشر التي تسعى إلى اجتذابه، فكان التعامل والاتجاه نحو اختيار ورق خفيف، وسهل في التعامل، لذلك كان الاقبال نحو الورق المغربي الأسمر الخفيف، والابتعاد عن الورق الأبيض غير الخفيف الذي يتعب القارئ في وزنه غير المنطقي. هذه الطرق والأساليب أسهمت في تنافس كبير بين دور النشر في تقديم الأفضل من الأعمال، وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى وسائط الانتاج الأخرى من تلفزيون وإذاعة في اختيار برامج تمثل لحظة للكشف الجديد، من حيث الإخراج والاهتمام بالصورة بشكل لافت للنظر، فلكل مدرسة اخراجية طريقتها وأسلوبها في التعامل مع حيثيات الصورة المنتجة، لذلك كانت هناك توجهات مختلفة تسعى إلى جذب المشاهد إلى فضائها في ضوء التكنيك المستخدم، ونحن ندرك أنّ للصورة أدوات مختلفة من ( ماكياج إلى حوار إلى إضاءة إلى حركة )، إذ حاولت كل مدرسة أن تركز على جانب عن طريق المهارة فيه

على حساب الجوانب الأخرى، وربما من يطلع على تجارب اخراجية مختلفة، سيجد ذلك الفارق الكبير، ولو لاحظنا في عصرنا الراهن سجد اهتماما خاصا بجماليات الصورة على حساب قلة الكلام داخل فضاء دراما التلفزيون والبرامج ، والتركيز على احياء الكلمة، بدلا من لغة خطابية كبيرة تبعد المشاهد عن التركيز على معطيات وجماليات الصورة المنجزة بدقة، من حيث (الأزياء، والديكور، والماكياج، والاكسسوار)، لذلك وجدنا اقبالا كبيرا على البرامج التي تعطي إحساسا بالفخامة على حساب البرامج التي تقدم المعاناة الانسانية التي يقابلها سيلٌ من الكلمات للتعبير عن صدق اللحظة أو التجربة .

سوق العمل في ظل هذا الكم الكبير، وجدته نفسه أمام منافسة كبيرة من أجل البحث عن مستهلك مضمون يساعدها على الاستمرار من دون خسارة، من ذلك وجدنا أن كثيرا من دور النشر العربية قد اهتمت بالمادة الابداعية وطريقة الاخراج من أجل الاستمرار في دعم ماركتها التجارية وعدم هبوط مستوى الاقبال، على سبيل المثال المؤسسة العربية للدراسات والنشر، كما هو الأمر بالنسبة إلى دار رياض الريس، أو دار الجمل في ظل منافسة محمومة، ومع ذلك وجدنا هبوطا في رصيد دور نشر كبرى أسهمت في تعزيز الثقافة العربية خلال نصف قرن، بسبب ذلك الإهمال وعدم التواصل، مثل دار الأديب أو الآداب ، إذ يعدان من الدور الفاعلة في تقديم كثير من الاسماء الابداعية، إلى جانب ذلك وجدنا تحولا كبيرا في مركز دراسات الوحدة

إلى جانب ذلك وجدنا وسائل الاتصال الأخرى ( تلفاز، وإذاعة) مهددة هي الأخرى في ضوء هذا التحول التكنولوجي إلى مصير مجهول في عدم الحصول على ضمانات من ارتفاع عدد المشاهدين أو المستمعين، إذ إنّ ظهور الأقمار الصناعية وتحول استقبال الصورة من قدرتها المحلية ومشاهد وطني إلى فضائيات عبر الأقمار ومشاهد من جنسيات مختلفة إلى منافسة قوية ، جعلت من تلك الفضائيات شرسة وغير أخلاقية من أجل كسب ودّ المشاهد، وسحبه إلى منطقتها وقناعاتها، سواء كانت تلك القناة إخبارية أم برمجية أم متنوعة، وحاولت تلك القنوات البحث عن المختلف في موضوعها وبرامجها، ومع كل ذلك فإنّها تواجه مصيرا صعبا أمام رأسمال كبير تنفقه على إنتاجها، إذ إنّ تكاليف حجز القمر والكادر الإخراجي والإداري الذي يقوم بصناعة الصورة، لا يمكن أنّ تسدها الاعلانات المقدمة إلى تلك القناة.

أمام هذا المصير المجهول والتحول في وسائل الاتصال وتعددتها، صار من الصعوبة الامساك بالمشاهد واجباره على متابعة قناة بعينها من دون أخرى.

وظهرت خروقات أخرى جعلت المشاهد بمنأى عن الالتزام الوقتي لمتابعة البرامج، فلم يعد الأمر مقدسا بسبب ظهور ما يعرف بالتلفزيون غير الوقتي (اليوتوب) الذي ساعد على متابعة البرامج في غير وقتها المعلن للبت، مع وجود امكانية متابعة الموضوعات في حلقاتها الأخيرة من خلال تسريب

العربية في اختيار طريقة إخراجية مختلفة ، ولون ورق مختلف وموحد، ليعزز ويرفع من قيمة الدار التي أصبحت في راهننا من أكثر دور النشر مبيعا. هذا الأمر الذي نحن بصدد الحديث عنه أسهم في تحول الوسائط إلى مشاريع كبرى يقابل ذلك رغبة هذه الوسائط في البحث عن أرباح تساعد على الاستمرار وديمومة العمل.

### البحث عن المخلص أو المنقذ بين ستيف جوبز وعلي مولا :

بهذه المعركة الكبيرة التي تتطلب رأسمالا كبيرا ، من شراء ورق إلى مكائن طباعة عملاقة إلى مصممين إلى عمال طباعة وتنظيف ومخازن وإدارة، ظهرت وسائل اتصال جديدة من خلال التطور الهائل في تكنولوجيا الأقمار والاتصال، إذ شهدنا قفزة كبيرة ساعدت على إخراج المادة الابداعية بطريقة أخرى ومغايرة، مما سبب حرجا كبيرا لدور النشر العاملة وبقية وسائل الاتصال، فنحن بصدد الحديث عن مزاج قرائي مختلف رافق هذا التحول وأسهم في الابتعاد عن قرن كامل من النمطية في التعامل مع المادة المكتوبة وطرق اخراجها ، فمهما تنوعت تلك الطرق من اختيار ورق إلى طريقة تصميم واخراج ، فلن تنفع المراوغة من أجل سحب القارئ إلى استهلاك الثقافة الصادرة عن هذه الدار أو تلك المؤسسة، في صراع محموم بين البحث عن الربح بالنسبة إلى المؤسسة إلى رغبة المؤلف في إيصال مادته إلى القراء.

الحلقات الأخيرة لأي عمل، وهنا دخلنا في إشكالية أخرى تضاف إلى حقوق الملكية.

إنّ اليوتيوب الصادر عن القدرة التخزينية للشركة المنتجة في تقبل الآف المقاطع المصورة و تخزينها على استعادة المادة المصورة في الوقت الذي يرغب به المشاهد وفي المدة التي يراها مناسبة، وبذلك نحن أمام طرق وأساليب مختلفة في التعامل مع المادة الصورية، وربما نجد من خلال المؤشرات الموجودة داخل مقاطع اليوتيوب عدد المشاهدين لهذا المقطع، كما نجد عددا من التعليقات بالسلب والإيجاب، وبذلك نحن أمام مزاج قرائي مختلف ومتنوع في رصد تحولات المشاهدة وإسهام القارئ في بث تصوراته حول ذلك المقطع الصوري، فقيمة التعليق ربما تكون أكثر أهمية بالنسبة إلى المشاهد في تصحيح الكثير من المعلومات بالنسبة إلى المقطع الصوري، أو بيان مزاج المشاهد، أو الاصطاف الحزبي والطائفي والعرقى أو الإثني، أو بيان رأي حول قضية، وهذا ما لا يمكن أن نجده عند المشاهد التقليدي بالنسبة إلى التلفزيون، وهذه المؤشرات تساعد الكثير من مؤسسات الأبحاث إلى رصد مزاج الناس وميولهم وثقافتهم مع المادة الموجودة على اليوتيوب، وربما شكلت تلك المشاهدة أهمية بالنسبة إلى مراكز قرار دولية من خلال المشاهدة المليونية إلى التركيز حول ظاهرة ما، لذلك وجدنا بين مدة وأخرى إعلانا في كبريات وسائل الاعلام إلى أن المقطع الفلاني الذي نشر على اليوتيوب قد حصل على ملايين المشاهدات، وهذا الأمر أو الإعلان يسهم هو الآخر

في دفع ملايين الناس إلى مشاهدته من جديد، وبذلك نجحت تلك المؤسسات في إيصال رسالة سرية ضمن أفكارهم التي يرغبون بها..

وبذلك فقد أسهم هذا التحول في عزوف كبير عن وسائل الاتصال التقليدية والاتجاه نحو وسائل اتصال جديدة تمثل رغبة الأجيال الجديدة التي تشكلت ثقافتها على وسائل الاتصال الحديثة.

ولعل انجاز ستيف جوبز صاحب التفاحة المقضومة وشركة (ماكنتوش) في إظهار ( الايباد، وبوك، و، الماك، والاي فون ) ساعد على التفاعل مع تكنولوجيا الاتصال بشكل كبير ولافت :

وساعد على الابتعاد عن تلك الوسائل التقليدية التي هي عبارة عن قطعة الكترونية صغيرة تتضمن شاشة ذكية يمكن التعامل معها من خلال اللمس لاختيار المادة المرغوب بها، من صحيفة الكترونية أو كتاب بصيغة (بي دي اف) أو مقطع يوتيوب للمشاهدة من خلالها ، بحيث بدأ الضمور عند كثير من المؤسسات المعنية بالنشر والتوزيع ، فما عاد الأمر بالنسبة إلى كثير من القراء في حومة البحث عن الاصدار الأخير ما دام وسائل الاتصال الحديث تسهم في إيصال الآف الاصدارات بطريقة الكتاب الالكتروني.

والتساؤل المقدم أمام هذه التكنولوجيا، من يساعد على إيصال الاصدارات الحديثة من الكتب والافلام والموسيقى إلى هذه الوسائط لكي يشاركها المتلقي او يستمتع لها أو يطلع عليها ؟

وتأتي الاجابة عن طريق المثال الذي سوف نقدمه

عدم حصانة الكتاب وضياع حقوق الملكية الفكرية أمام تكنولوجيا لم تستطع حماية المؤلف ولا دار النشر، ووجدنا أن التعليقات أغلبها التي تتوافر على صفحة علي مولا تشيد بجهوده ( أحسنت، وبارك الله فيك، وأنت منقذ الثقافة العربية) وهكذا تعليقات تشيد بجهوده، لأنه يقوم بتقديم المعرفة مجاناً للقراءة ، وربما وجدنا من يعده الأنموذج الانساني الذي حاول تقديم المعرفة المحترمة من قبل دور النشر العربية، في ظل سوق يؤمن بالمادة على حساب العلم والمعرفة، وبذلك فقد أسهم علي مولا في تعطيل حركة النشر والطباعة، ودفع بالكتاب ومنتجي المعرفة إلى إيجاد صيغ أخرى للطباعة، بحيث ما عاد القارئ يقبل على شراء تلك الكتب من المؤسسات المعنية بطباعته ونشره، مما دفع بها إلى التفكير بطرق للحد من هذه الظاهرة التي جعلت ركوداً في صناعة الكتاب.

مما تقدم نحن أمام اشكالية جديدة تتعلق بحقوق الملكية الفكرية التي لم يعد لها من قيمة في زمن التحول الاتصالي والانفتاح على ثقافة تجعل من الصورة معياراً لها، وربما أصبحت السرقة فعلاً خلافاً يشترك الجميع في اشادتها وتبريرها، و(بحسب رأي الكاتب الاجتماعي من القرن السابع عشر تالمان دي ريو، لم تكن سرقة الكتب جريمة يعاقب عليها إن لم يقم السارق ببيع الكتب)<sup>(١٠)</sup>، وهذه المقولة تعيدنا إلى أصل نشوء فكرة بيع الكتاب وتسليعه والتي بدأت بزوجة (برسكوت مدير مشتريات في محلات وورث تم تسويق الكتاب مثل بقية السلع الأخرى مثل الشاي وعلبة التبغ)<sup>(١١)</sup>.

كحل بدائي لإشكالية الحصول على الاصدارات .  
فشخصية علي مولا جزء من الفرضية التي أنوي الحديث عنها ، وهو شخص سوري الجنسية، يسكن في هنغاريا ، بودبست بحسب ما أعلن في صفحته على الفيس بوك، والتأكد من صدق جنسيته من خلال الصورة الموجودة في وجهة صفحته ، وهي صورة تحيل إلى البيت الدمشقي القديم الذي يتضمن الحوش والباحة والنافورة، أضف إلى ذلك يضع في السيرة الذاتية تحت صورته الشخصية عنواناً ( باحث عن المعرفة) ، في إحساس معلن عن فقدان المعرفة في زمن غياب المعايير الأخلاقية، أو يمكن قراءة هذا التصريح على نحو آخر، وهي أن كل ما يقوم به لا يمكن وضعه في خانة المحرم والمدنس، وإنما من باب حماسة الانسان في تقديم المعرفة مهما كانت الطرق، وهو إشهار يقدم من خلاله تبريراً لكل ما يقوم به:

وهي أن هذا الشخص قد أسهم في خرق الضوابط المعنية بالنشر والتوزيع ، والدفع نحو تهشيم مؤسسات كبرى احتكرت الكتاب لصالحها لسنوات طويلة، من خلال تحويل العنوانات الجيدة أغلبها عن طريق (سكنر...والماسح الضوئي) إلى كتب إلكترونية ، إذ قام برصد الاصدارات الحديثة أغلبها والصادرة عن دور النشر المهمة إلى كتب إلكترونية، ورفعها على موقعه الشخصي.

والملاحظة الموجودة على صفحته الشخصية تشير إلى بعض الكتب التي قام برفعها والتي تجاوزت (٦٢٠) كتاباً ، مع أغلفة الكتب، هذا يؤكد فرضية

وسوف يجرننا هذا في قابل الأيام إلى أن تغلق كل دور النشر أبوابها، وبذلك نفقد حكمة رصانة الكتاب، والعلامة التجارية، ورقم الابداع، بحيث تصبح الثقافة تعبيراً عن حالة فردية غير منضبطة. من جهة أخرى هناك ملاحظة جديرة بالانتباه، وهي أن علي مولا لم يتوقف عند حدود نسخ الكتاب ضوئياً، بل تجاوز الأمر إلى وضع ( لوكو ) ايقونة خاصة بالكتب التي يمسخها ضوئياً ، وهو بذلك يشير إلى انجازاته أمام الكتب الأخرى التي لم يقم هو بمسخها، وربما هذا الامر يؤكد تحول هذا الاسم إلى ايقونة خاصة بالمعرفة المستلبة التي أسهم هو في تأصيلها وتحويلها إلى ثقافة مجانية بعد تسليعها من قبل دور النشر العربية والاجنبية، والقارئ يرى ذلك في أسفل كل ورقة كتاب من انجاز علي مولا. من يطلع على ملاحظة علي مولا في كتاب ( مئة قصة وقصة، وابداعات عالمية) سيجد إشارة ( إعداد وتنسيق واختيار) التي وضعها أسفل الكتاب لبيان ذلك في مستقبل هذا الكتاب على أنه جزء من انجازات هذا الباحث عن المعرفة، وهو أمر يدعونا إلى التفكير في أساليب القراءة التي لم تعد من اختيارات القارئ ، وإنما هي من املاءات الباحث عن المعرفة علي مولا، إذا نحن أمام تهديد خطير في ضياع خبرة القارئ وذائقته أمام تكنولوجيا مجانية تقدم ذائقة أخرى للقارئ، هذه الملاحظات وغيرها هي دلالات تقضي إلى رسوخ الأسم القائم على الأمر في تحديد الذائقة التي انفتحت على عصر التكنولوجيا، وتركت الكتاب الورقي فجأة، ولم تعد تحترم خيارات الورق

بما تمليه من ذائقة تقليدية نمطية، ولم تستطع هذه الثقافة أن تواكب حركة التطور الهائلة. فمن خلال (الايباد) وعلي مولا ، تحولت القراء إلى مزاج مختلف ، دفعت بالكثير من الكتاب بعد توقف دور النشر إلى التفكير ملياً في رفع الأعمال الابداعية إلى مواقع التواصل الاجتماعي، وهذه سمة أخرى تضاف إلى ما قدمه الفيس بوك والتويتز من تحول في رصيد الثقافة والوعي والنشر. ومن زاوية أخرى ،تقدم هذه التكنولوجيا مزيداً من سهولة المعرفة بالنسبة إلى القارئ والباحث عن المعرفة من خلال قدرة ( السيرج ) على حضور الآف العنوانات بلحظة واحدة، بعدما كان الأمر صعباً في تنقل المتلقي والمستهلك بين الآف الرفوف والمكتبات من أجل الحصول على كتاب ما، فبضغطة زر يمكن الحصول على ما تريده، وتطلع عليه بسهولة ويسر، مع ما كانت تقوم به المكتبات من اشكالية الحصول على بعض العنوانات، فكل مكتبة تصنف الكتاب بطريقة مغلوبة، وربما رواية يتم وضعها في خانة علم الاجتماع، فنملي عليها مزاجاً مختلفاً عن الصورة التي تريدها، وربما ننقلها إلى رف التاريخ فتتخذ صفة التدوين (إنّ كل مكتبة من المكتبات تمارس نوعاً من العنف على فعل القراءة، وتجبر القارئ - القارئ الفضولي ، القارئ النبیه - على تحرير الكتاب من التصنيف الذي قدر له أن يحشر فيه)<sup>(١٢)</sup>.



## حضور التقييم ، والتعليقات التي تتحول إلى متن

### نقدي:

في ظاهرة تكنولوجيا الاتصال وتقدم الفيس بوك والتويتر على كل وسائل الاتصال التقليدية، يحضر القارئ بقوة الاحساس بالتحول والتخلي عن الوسائط القديمة في القراءة والتلقي إلى أساليب جديدة تمثل امتياز العصر، فبعدما كان حديث المقاهي عن التجارب الابداعية الكبيرة يأتي عرضا وشفاهيا تنتهي بانتهاج الجلسة ويذهب الكلام النقدي والتصورات القرائية في الهواء، أصبح الأمر مختلفا مع وسائل الاتصال الحديثة ، إذ حضر التدوين في كل هذه الملاحظات التي ستشكل تجربة جديدة في نظريات القراءة والتلقي، وقد نجد حضورا لمراحل إبداعية مختلفة منذ عصر الخليفة الى يومنا هذا، بمعنى الحضور المتجدد للتجربة الإبداعية بغض النظر عن زمنية التجربة أو مكانيتها، إذ يمكن قراءة تجربة المتنبي من قبل قراء جدد عن طريق الاطلاع على الآراء المتناقضة حول تجربته من خلال التعليقات، وكذلك المعري وغيره من الشعراء ، والاختلاف الحاضر في هذه القراءة عن قراءات أخرى قديمة، إنّ شكل البحث يقدم القصيدة الواحدة، ومن ثمّ تنبثق القراءات على شكل متواليات في بيان وجهات النظر حول هذه القصيدة أو البيت الشعري، وقد يصل عدد القراء إلى المئات، وثمة امتياز آخر يضاف إلى ذلك هو الاعجاب بالقراءات التي تضيف على أسلوبية القراءة الجديدة صفة الامتياز على غيرها من التصورات النقدية، فهناك اعجاب لاختيار هذه القصيدة، وهناك

إعجاب للتصور القرائي والنقدي الذي جاء بعد قراءة القصيدة، وربما شكل التعليقات تتخذ صفة الاكاديمية أو صفة الكلام العام والعابر أو التخصصي، وربما نجد من يضع جملة من التصورات التي تكشف المختلف في تجربة الشاعر، وفيما يأتي سنعرض في بحثنا هذا تجربة مهمة من تجارب الشعرية العراقية، متمثلة في الشاعر العراقي السبعيني كاظم الحجاج، الذي يقدم في صفحته الشخصية نصا، تندرج في ضوئه جملة من القراءات والاعجابات التي تعزز من قيمة النص وقيمة الشاعر، بمعنى أنّ شكل القراءة تأتي مرة حول الشاعر ومرة أخرى حول النص:

فنجد في قوله :

في المرايا أرى كل شيء سواي!

فأنا - منذ ولت -

أفتش عن جسد

قد يليق بروحي

فالنص ينطلق من رثاء الجسد الذي يعد امتياز نصوص الهوية في التجربة الشعرية العراقية التي انفتحت على هذه الهوية في البحث عن الخلاص، والشاعر في هذا النص يسعى إلى وضع الشخصية الشعرية أمام المرايا التي تنفتح على جملة من الاسئلة، لما تتضمنه المرايا من بحث عن الشخصية القرينة التي تظهر أمام الشخصية المركزية، مع ذلك وجدنا عدم حضور القرين في المرايا مع وجود الشخصية ( أرى كل شيء سواي ) ، وقوله ( سواي ) هو تغييب قسري للشخصية أمام حتمية الحضور الطبيعي أمام المرايا، وهذا يؤشر فكرة الحضور / الغياب، ومع

ذلك يعلل الشاعر هذا الغياب بفكرة عدم وجود جسد يليق بروح الشاعر مع وجود التفتيش (أفتش عن جسد يليق بروحي) ، وربما يفضي هذا القول إلى تصورات سلبية عن شخصية البطل داخل هذا النص الذي يمثل نرجسية مبطنة.

ويفتح هذا النص على جملة من القراءات المختلفة، التي تندرج في ضوء المديح تارة ، مثل الكاتب صباح العاني الذي يجيب الشاعر بجملة ( لا تجد من يليق بروحك ، فروحك أسمى من كل الاجساد)، في حين تأتي قراءة القاص سعد محمد على نحو مختلف للتعبير عن أهمية تجربة الشاعر كاظم الحجاج في الشعرية العربية والعراقية: (كما كان كاظم الحجاج خفيف الوطاء على أرض العراق، كان ثقيلاً على قلوب الشعراء أن تتحمل نعومة اقدامه).

من هذه التصورات البسيطة عن إشكالية التلقي وحداثة التصورات المستحدثة في ضوء تكنولوجيا الاتصال، فنحن بصدد نظرية جديدة في التلقي تسهم بشكل أو بآخر في إضفاء ظاهرة جديدة على النقدية العربية بعد غياب التسجيل بالنسبة إلى الآراء النقدية. ومن زاوية أخرى وجدنا طابع الأشهار من امتيازات نص التفاعل الذي أنتج جملة من النصوص القصيرة التي تفتتح على قراءات واعيانات متعددة، تتجسم مع روح العصر في سرعته ، أي بمعنى إننا امام جيل أو عصر يؤمن بالسرعة ، ويستجيب للمقولات القصيرة التي تؤدي دورا اشهاريا أو علاميا من دون الاغراق في تفاصيل اللغة داخل أية لوحة اعلانية.

يقدم نص الشاعر عماد جبار الرثاء(رثاء الأم) كجزء من خيارات الشاعر ( أمي، ضيوفا من ظلام الخلق جئناك) في الحديث عن فضاء الندم، والبكاء عند قبور الأحبة ، ليقابل هذا الحضور ( للعائلة / أنا ، أخوتي ، أبي) بغياب مادي ( للام) ، ومع هذا الغياب يسهم الشاعر في استرداد هذا الغياب عن طريق الفعل ( انتزعنا) ، أي بمعنى أن وجودهم تمثل عن طريق الحصول على ( خضرة الأوراق ) من الغياب، لذلك جاءت الجملة الاخيرة لتؤكد هذا الفعل في قوله ( لكي نحيا )، ونحن في تصورنا النقدي عن هذه القصيدة نحاول أن نستنتج الحضور الغياب، وكيف تحول الحضور إلى غياب ، والغياب إلى حضور، ليقابل النص بعدد من المعجبين، واذ تجاوز العدد ٦٠ معجبا ، ومشاركة واحدة ، وأكثر من ستة تعليقات، ولعل تعليق الشاعرة الأردنية مريم الصيفي جاء بمثابة إخراج الشاعر من مأزق الحضور الغياب، عن طريق قولها ( لكم الحياة الخضراء الحرة الأبية الهائلة) ، وهي محاولة من الشاعرة تؤكد فيها عمق الأحساس الذي رافق الشاعر.

وقدرة نصوص الفيس بوك الاشهارية لا تتوقف عند حدود استعادة الماضي، وإنما استدراك اللحظة والتعبير عنها، ففي نص آخر للشاعر عماد جبار ، نجد حضورا لمأزق اللحظة العراقية أمام التفجيرات التي تحدث في عراق اليوم .

إذ تتخذ القصيدة صفة تفجير، وكأننا بازاء لحظة كان فيها الشاعر حاضرا ، ليقدم نصا يمثل مأساة

الواقع ومخلفاتها:

وبعد نهاية التفجير

تنسى الناس كيف تسير

والاطيار كيف تطير

وقلب الشارع المصدوع

يستعصي على التأطير

إنّ قراءة نقدية متفحصه لهذا النص ، تفضي إلى البحث عن النهايات المرسومة لمشهد التفجير ( بعد نهاية التفجير) لتكون محصلة القصيدة ونتائجها في ظل هذه الفوضى محصورة بجملة ( يستعصي على التأطير ) ليثبت الشاعر من خلال هذه الجملة الأشهارية السريعة وحشية اللحظة وفضاعتها.

وتقابل صدمة هذه القصيدة بتعليقات تمثل لحظة انطباع سريعة لفاجرة اللحظة ، وكأن التعليقات هي عبارة عن ردود فعل سريعة لكارثة اللحظة، فقد جاءت التعليقات الكثير على نحو(يا الله ، لا حول ولا قوة الا بالله ، الرحمة للشهداء ، استغفر الله )، هذه الجمل القصيرة بمثابة اعتذار غير معلن مكارثية اللحظة وهول الصدمة ، وهذا يدل على أن الاهتمام بالنص بما يحمله من قيمة ابداعية يتم التغافل عنها للاهتمام بقيمة الاخبار الموجودة في النص ، فنص عماد جبار تحول إلى إعلان إخباري منه إلى نص إبداعي، وتم مقابلة هذا النص على أنه إعلان، وليس نصا ابداعيا.

وقصيدة الشاعر عماد كاظم عبد الله تصطف إلى هذا التصور، حينما تؤكد على تحول القصيدة إلى سجل إخباري من مشهد حياتي غير مبرك إلى واقع

كله اغتياالات وقسوة .

إذ تأخذ جُمَل الشاعر عماد كاظم عبد الله ( من قصيدة لي عام ١٩٩٢، في عام ٢٠١٤ ) في مطلع القصيدة ووسطها بعدا اخباريا ، لارتباطهما بوضع سياسي عراقي مبرك، إذ ترتبط السعادة عام ١٩٩٢ التي في القصيدة بـ (وطن ، أم ، حبيبة ، أصدقاء ، وعافية). لتتحول عام ٢٠١٤ إلى فقدان، ويأخذ الفقدان بالندرج ، إذ لم يبق من السعادة سوى ( لم يبق غيركم أصدقائي ما تبقى من سعادتني)، لذلك جاءت التعليقات لتجيب الشاعر الذي يسعى من خلال هذا المقطع الاشهاري الاخباري إلى انتظار جملة من الاجابات الصادرة عن الاصدقاء الذين تبقوا له، إذ جاءت(نحن معك ، أنت في القلب ، نحن اخوة) لتؤكد تداخل المتون بين منتج النص والقارئ على نحو خلّاق ، انتج حوارية من نوع خاص بين المؤلف والقارئ ، وهذه الاسلوبية لم تكن حاضر في نصوص القراءة القديمة التي اعتمدت على الأساليب التقليدية في القراءة.

ويأتي النداء في نصوص الفيس بوك بصورة تعبر عن راهنية اللحظة وإشكالية المرحلة، لتتشارك الاصوات القرآنية الأخرى في التعبير عن هواجس الشاعر واحلامه ومخاوفه ، فقد جاءت ورد ابنة الشاعر العراقي حميد قاسم في نصه على نحو لافت يعبر من خلالها عن قلق المرحلة وغياب الامن.

إذ ياخذ النداء بعدا آخر ( يا ورد )، وهو لا يبحث عن إجابة ، لان الشاعر يجيب عن ذلك النداء بجملة من المخاوف والهواجس التي تعبر عن فقدان الأمن

وقلق الوضع العراقي ، لذلك تقدمت جملة بادوات النفي والنهي والجزم ( لم يعد ، لا تفكري ، لا تظني ، لا تفتحي) التي ترسل مجموعة من التوصيات الى ابنته ورد.

وتأخذ القصيدة بعدا جديدا ، حينما ينمو الشك على نحو تصاعدي في بنية القصيدة إلى درجة التحذير ومنع (ورد) من فتح الباب إليه ( لا تفتحي لي الباب يا ورد) ، وهذا يدل على حالة القلق الكبيرة التي تترسب في داخل الشاعر من وضع أمني خطير يتجاوز على كل الناس، لذلك جاءت الاجابات من خلال التعليقات لتعبر عن راهن اللحظة التي هي مخاوف وهواجس اشترك فيها الشعراء أغلبهم ممن أسهم في التعليق(سلامات ، ستكون بخير، سوف يفرجها الله)، وهكذا هي نصوص المرحلة التي اتخذت من الواقع عنوانا للكتابة والتجربة.

ومن جهة أخرى تشترك نصوص الشاعر وسام هاشم في الاتجاه ذاته ، حينما تعبر عن مأزق المرحلة واشكالياتها ، لتعبر عن خطورة الوضع:

فقول الشاعر وسام هاشم : ( يا فأس الخطاب... غابات الموصل ليست للقطع) تعبير عن مأزق الوضع الذي تعرضت له محافظة الموصل بعد استيلاء الجماعات المسلحة عليها، وليحاول الشاعر التعبير عن ذلك من خلال إدانة الخطاب بوصفه تعبيراً رمزياً عن الخراب الذي يسعى إلى قطع الغابات الموجودة في محافظة الموصل / العراق، وهي إشارة إلى العراق بمجمله ، فليس الخطاب هو خطاب غابات محافظة عراقية ، وإنما محافظات

العراق كله ، حينما ساد الخطاب المتشدد والذي يسعى إلى فرض إرادته على الناس وهيمنته على مجريات الحياة، والإدانة تأخذ بعدا آخر في التعبير عن تسجيلية اللحظة ، حينما تشترك التعليقات القرائية للتعبير عن الامتعاض مما يحصل ، إذ تشترك الشاعرة تهامة بقولها ( ليته حطاب يا وسام...هو فحّام ) للاجابة عن صورة أكثر سوداوية من الشاعر ، إذ يتحول الحطاب إلى فحّام يحرق الاشجار ، وتشترك التعليقات الأخرى للتعبير عن صدمة المرحلة من خلال (جميل يا صديقي الجريح ، أو جميل جدا)، فهذه العبارات تأتي للإشادة بقدرة الشاعر ، وليس بما تحمله القصيدة من مضمون ، وهي في الوقت ذاته تشير إلى صدق إحساس الشاعر في التعبير عن المأساة ، فجاءت كلمة (جميل) ، لأنّ تعبير الشاعر في هذا الموضوع هو تعبيرنا نحن جميعا.

فيما تنهض مجموعة أخرى من النصوص الشعرية من خلال الاعتماد على الطاقة الاعلانية التي تمتاز بها نصوص الفيس بوك، وهذا يدل على سمة العلامة، أو أنّ اللغة المستخدمة داخل فضاء النشر الحديثة تقوم على تحويل اللغة من بعدها التواصلية المباشرة إلى بعد علامي، يقدم الأشهار وسيلة من وسائل الاتصال، لذلك تتخذ هذه النصوص (صفة القصر، والصدمة، والومضة) على النحو الذي يميزها عن نصوص أخرى لا تستجيب الى هذه المعطيات، لأنّ اختيار الشاعر لهذا المقطع مبني على أساس ما سوف يوفره هذا النص من لفت انتباه المتلقي والمشارك في الفيس، وما يقدمه من

ووجدنا بعض النصوص الأخرى التي تستدرج القارئ ، إذ تنهض عن طريق استحضار فعل الحركة التي تجعل القارئ حاضرا ومشاركا وفاعلا، لأن وضع الحركة داخل معطيات النص، هي بالنتيجة تقديم الاحساس بالحركة إلى القارئ الذي يطلع على النص ، على النحو الذي يجد القارئ نفسه مندفعاً في المشاركة والتفاعل مع هذا النص، وهذا يؤشر قدرة النصوص التي تتضمن جملة من الأفعال والحركة وعدم السكون على التفاعل على نصوص تؤمن بالصورة الساكنة والصفة الثابتة دخل معطيات بناء الصورة، ولعل تجربة الشاعر العراقي وسام هاشم، والشاعر عماد كاظم عبد الله قد تحركت في هذا الاتجاه، مع ما اعتمدته هذه النصوص من القصر بوصفها نصوصاً تفاعلية، إلا أننا نجد أنّ هذه النصوص تنطلق من فعل الحركة للتعبير عن قلق الوجود والحياة.

فحضور الرقص في نص الشاعر عماد كاظم عبد الله ، والـ(هرول) في نص الشاعر وسام هاشم يثبت صدق التصور النقدي الذي قدمته ، في قدرة هذه النصوص على استدراج القارئ ، وإشراكه في التعبير عن فاعلية الصورة المتحركة التي أسهمت في عدم ثبات الأمر، والنصان تعبيران عن قلق وجودي صارخ، إذ يتشكل نص الشاعر وسام هاشم عن طريق ضخه بجملة (هرولة) من بداية النص إلى نهايته، إلى أن يصل إلى نهايته ، ليشير إلى ( ما زلنا نهرول) ، وهي إشارة إلى التحول من الحالة الفردية للهزيمة إلى الحالة الجماعية التي استدعت

حالات اعجاب ومشاركة وتعليق، وهذا يدل على أن الاختيار الذي يقبل عليه الشاعر، هو اختيار مدروس بدقة وعناية فائقة على النحو الذي يسهم في تعزيز ظاهرة نصوص الفيس بوك الاعلانية الاشهاري، ولو جننا بتجربتين من تجارب نصوص الفيس، لكل من الشاعر علي عطوان الكعبي والشاعر نوفل الحمداني ، لوجدنا ذلك الحضور في تحول النص إلى (سبوتات اعلانية) تجتذب القارئ وتلفت انتباهه وعنايته بحيث يسهم في الاعجاب والتعليق .

فنص الشاعر علي عطوان ينهض على جملة (لي غفران الفراشات) ليضع القارئ بصورة تعبر عن ذلك الغفران النبيل والشفيف ، ومن ثمّ ينتقل إلى اقتران هذا الفعل بطفولة البحث عن ذلك الغفران من خلال مطاردة الفراشات، هذه الجملة على بساطتها فإنها استقطبت عدداً من القراء ليسهموا في التعليق والاعجاب والمشاركة، وفي نصه الآخر يربط امزجة النساء بالبحر في ارتفاعه وانخافظه، وصبر الرجال بالشواطئ، وهذه الجدلية القصيرة تفضي إلى حالة من عدم السكون ما بين السكون والحركة ، فيما نجد (اللجنة) حاضرة في نص الشاعر نوفل الحمداني وهو يستدرجها للحديث عن الحب والهيام (حين اهواك) ، ولا يتوقف هذا النص عند هذه الحدود، وإنما يذهب ليعبر عن تلك اللجنة بابتعاد الحبيبة، بهذه الجمل القصيرة ، وبهذه الطاقة المكثفة تنهض نصوص شعراء كثر من أجل التعبير عن إحساس داخلي أو تجربة ذاتية بحيث تتحول تلك العبارات إلى طاقة إشهارية تستدعي المشاركة والتفاعل.

هزيمة شعب بكامله خلال نصف قرن من عمره. والرقص في نص الشاعر عماد كاظم عبد الله يتخذ صفة التحول بين الفرح والبكاء ، إذ يرتبط هذا الفعل الدال على الحركة بالسعادة ، وإذ يريد الشاعر تأكيد ذلك، فانه يوظفه للتعبير عن عرس في منطقة ما، ولا يتوقف ذلك التعبير عند حدود معينة، وإنما يذهب إلى اكتمال مشهد العرس للتعبير في نهاية القصيدة لما ستفضي إليه الأمور من نتيجة الزواج (ابكي لاطفالها القادمين).

من كل ما تقدم ، اثبتت هذه الدراسة اشكالية مهمة من اشكاليات القراءة والتلقي التي تتعرض لها الثقافة العربية والعالمية في ضوء نمو تكنولوجيا الاتصال التي اثرت على مفهوم التلقي ، وأسهمت هذه التحولات في ابتعاد النص عن الطريقة التقليدية في التلقي إلى حالة جديدة يشترك فيها المتلقي في التعبير عن همومه واحلامه، وربما وجدناه يصحح بعض النصوص او يعلق عليها، بعد غياب طويل بسبب وسائل الاتصال التقليدية، وما قدمته هذه الحداثة فرضت على المنتج والمؤلف أن يكون خفيف الظل في التعبير عن موضوعه، تماشياً مع روح العصر السريعة التي ترفض الاطناب والاسهاب

في التعبير، وهذا هو امتياز العصر، ووجدنا من جهة أخرى أنّ النصوص أغلبها جاءت لتعبر عن راهنية اللحظة واشكاليات المرحلة ،من ذلك اقترنت هذه النصوص بلحظة تسجيلية للتعبير عن الوضع الحياتي العربي البائس الذي جعل من قلق الوجود في حضور دائم، لذلك جاءت التعليقات أغلبها على نحو يعبر عن صدمة الموضوع الذي قدمه الشاعر، ونحن بذلك نفقد الامكانيات الفنية التي نطلبها من النص الى حالة تسجيلية توثيقية للموضوع، ومع هذا وجدنا كما كبيرا من النصوص ، يحاول فيه الشاعر أن يتجاوز موضوع اللحظة إلى الاهتمام بما تمليه حساسيته الشعرية في التعبير عن موضوع خارج الواقع.

ما قدمه ستيف جوبز وعلي مولا قد أسهما بشكل فاعل في كسر احتكار الثقافة والمعرفة، ولكننا في ضوء ذلك نحتاج إلى إعادة صياغة السؤال المركزي في حقوق الملكية الفكرية التي تتعرض إلى انتهاك مستمر، وفي نهاية الأمر تبقى اشكالية التلقي من الاشكاليات الحاضرة دوماً، وأعتقد أن ما قدمته وسائل الاتصال يجعل الحضور للقارئ حقيقياً ويستدعي تفحصه وإعادة النظر في التحولات الكبرى.



## الهوامش

- (\*) سنجد في البحث جملة من الصفحات الشخصية لعدد من الشعراء والكتاب العراقيين وغيرهم، ومصدرها الفيس بوك.
- ١- ينظر: جمالية التلقي ، من أجل تأويل جديد للنص الادبي ، ت.رشيد بنحدو، منشورات المجلس الاعلى للثقافة ، مصر، ط١ ، ١٩٩٤، و ف.أيزر: فعل القراءة ، نظرية الوقع الجمالي ، ترجمة: حميد لحمداني والجيلالي الكدية ، مكتبة المناهل ، فاس، ط١ ، ٢٠٠٤.
- ٢- من قضايا التلقي والتأويل ، المملكة المغربية ، جامعة محمد الخامس ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٩٩٥، ٣٦: ١٠.
- ٣- تاريخ القراءة ألبرتو مانغويل ، ت.سامي شمعون ، دار الساقى ، ط٣ ، ٢٠١١: ١٨.
- ٤- م.نفسه ، الصفحة نفسها.
- ٥- قراءة النص وجماليات التلقي ، بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي ، دراسة مقارنة ، د.محمود عباس عبد الواحد ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٩٩٦: ٢٢-٢٣.
- ٦- التاريخ الأدبي بين الإبداع والتلقي ، التفاعلية بين القارئ والنص ، د.المصطفى عمراني ، م.الرافد ، موقع على الانترنت.
- ٧- تاريخ القراءة ألبرتو مانغويل ، ت.سامي شمعون ، دار الساقى ، ط٣ ، ٢٠١١ : ٢٠.
- ٨- ينظر: إشكالية التلقي في اعمال كاتب ياسين ، كريمة بلخامسة ، كلية الاداب واللغات ، جامعة مولود معمري تيزي وزو، اطروحة دكتوراه : ١١.
- ٩- فعل القراءة ، فولفجانج ايزر ، ت.عبد الوهاب علوب ، المجلس الاعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ : ٤٠.
- ١٠- تاريخ القراءة ألبرتو مانغويل ، ت.سامي شمعون ، دار الساقى ، ط٣ ، ٢٠١١ : ٢٦٩.
- ١١- المصدر نفسه : ١٦٨.
- ١٢- المصدر نفسه : ٢٢٧.



## المصادر والمراجع

- ١- إشكالية التلقي في اعمال كاتب ياسين ، كريمة بلخامسة ، كلية الاداب واللغات ، جامعة مولود معمري تيزي وزو، اطروحة دكتوراه
- ٢- التاريخ الأدبي بين الإبداع والتلقي ، التفاعلية بين القارئ والنص ، د.المصطفى عمراني ، م.الرافد ، موقع على الانترنت.
- ٣- تاريخ القراءة ألبرتو مانغويل ، ت.سامي شمعون ، دار الساقي ، ط٣ ، ٢٠١١م
- ٤- جمالية التلقي ، من أجل تأويل جديد للنص الادبي ، ت.رشيد بنحدو، منشورات المجلس الاعلى للثقافة ، مصر، ط١ ، ١٩٩٤ ، و ف.أيزر: فعل القراءة ، نظرية الوقع الجمالي ، ترجمة: حميد لحمداني
- والجيلالي الكدية ، مكتبة المناهل ، فاس، ط١ ، ٢٠٠٤.
- ٥-فعل القراءة ، فولفجانج ايزر ، ت.عبد الوهاب علوب ، المجلس الاعلى للثقافة ، ٢٠٠٠م
- ٦- قراءة النص وجماليات التلقي ، بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي ، دراسة مقارنة ، د.محمود عباس عبد الواحد ، دار الفكر العربي ، ط١، ١٩٩٦
- ٧- من قضايا التلقي والتأويل ، المملكة المغربية ، جامعة محمد الخامس ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٩٩٥، ٣٦







دَوْلَةُ الْجَلِيلِ وَالْأَكْرَامِ

وَأَمَّا الْفِتْيَانُ  
الَّذِينَ أُخْلِجُوا  
مِنَ الْكَلْبَةِ  
فَرَأَوْهُ  
وَاجْتَمَعُوا  
عَلَيْهِ  
فَوَضَعُوا  
أَعْيُنَهُمْ  
عَلَيْهِ  
فَلَمَّا  
وَضَعُوا  
أَعْيُنَهُمْ  
عَلَيْهِ  
فَلَمَّا  
وَضَعُوا  
أَعْيُنَهُمْ  
عَلَيْهِ



التغليظ في قراءة ورش تفسير ورأي  
Thickening in Warch's Recitation:  
Interpretation and Opinion

د. عبدالجبار عبدالأمير هاني  
Dr.Abduljabar Abdulameer Hadi

## ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة التخليط في قراءة ورش ، وأعني بها هنا تخليط فونيم اللام - على نحو خاص - في بعض السياقات التركيبية ، وكان منهج البحث قائماً على أساس التحليل التركيبي للسياق الصوتي الذي ترد فيه اللام . وقد توصل البحث إلى أنّ التخليط في قراءة ورش هو حالةٌ وسطى بين التليين والتخليط اعتماداً على استقراء أنواع الصور النطقية لفونيم اللام في العربية .



## Abstract

The study deals with the phenomenon of thickening in Warch's recitation , which means the thickening in the // ( ل ) "lām" phoneme, in particular, in some structural context .The study is based on structural analysis of the phonological context in which "lām" occurs. It is found out , the thickening of "lām" in Warch's recitation is a mid state between softening and magnifying, depending on through examination of some pronouncing examples of the "lām" phoneme in Arabic.



## المقدمة

إليهم من مباحث القدماء ، وفيما انتهوا إليه من نتائج صائبة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة .  
وعلى كلّ حال فإنّ ما بُدّل من جهود - قديمة أو مُعاصرة - في مجال الدرس الصوتي وفي تفسير الظواهر الصوتية في القراءات على نحو خاص، إنّما كان يهدف إلى جملة من الأغراض ، لعلّ من أبرزها كما أرى هو وصف اللغة العربية على المستوى الصوتي ، من جهة ما يطرأ للصوت من تغيير في البنية التركيبية على نحو خاص وهو وصف لا يخرج عمّا اطّرد في اللسان العربيّ الفصيح ولا يصطدم مع قداسة النصّ القرآني الذي أنزل بلسان عربيّ مبين ، وثمة غرض آخر هو بمنزلة لا تقلّ أهمية عمّا سبق ذكره ألا وهو رعاية النصّ القرآنيّ من جهة النطق ، فقد أولى علماء التجويد والقراءة هذه الغاية الكثير من عنايتهم فيما يتّصل بتجويد القراءة فقد ذكر المرادي (ت ٧٤٩ هـ) أنّ من بين الأمور التي يتوقّف عليها التجويد : معرفة ما يطرأ من تغير في نطق الصوت بسبب التركيب ، وضبط أحكام هذا النطق أو ذلك في ضوء السياق الذي يردّ فيه الصوت<sup>(١)</sup> ، ولهذا كانت أحكام التركيب من بين المباحث الصوتية التي حظيت باهتمام كبير عند علماء التجويد فيما صنّفوا من كتب وشروح ورسائل ومنظومات تعليمية .  
وفي إطار ذلك كلّه تأتي هذه المحاولة المتواضعة في دراسة ظاهرة التخليط خاصّة في قراءة شيخ الإقراء في الديار المصرية ، في زمانه ، عثمان بن سعيد المعروف بورش (ت ١٩٦ هـ) ، وهي محاولة سعيت إليها بعد علمي بمكانة هذا الرجل الذي تفرّد في قراءته

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد وعلى آله وبعد :  
فلا يخفى أثر القراءات القرآنية في الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً فيما توصلت إليه من نتائج في تفسير كثير من الظواهر اللغوية لا سيّما ما تعلق منها بالجوانب الصوتية ، ولعلّ هذا المستوى كان الأكثر وضوحاً من بين المستويات اللغوية الأخرى في مثل هذه الدراسات وكان من أشدها عنايةً بملاحظات علماء القراءة والتجويد الذين يرجع الفضل إليهم في بيان مذاهب القراء وتفسير ما اختلفوا فيه من جهة النص ، وتعليل ما تفرّد به بعضهم من ظواهر صوتية في :

الإدغام والهمز والإمالة والوقف والتخيم والترقيق ، وغير ذلك من الظواهر التي نجدها ماثورة في العادة في مقدّمة كتب القراءات ، والتي اتفق على تسميتها بالأصول ، فضلاً عن هذا كلّه ما وجدناه من ميل واضح لدى هؤلاء العلماء من تفسير وتحليل لمثل هذه الظواهر ، وهو في الغالب تحليل ينم عن معرفة دقيقة بخصائص اللغة و( القوانين ) الصوتية التي تتحكم في هذا الصوت أو ذلك في إطار ما يُسمّى بالتغيّر التركيبيّ على نحو خاص ، وهو مسلك يدلّ على فهم دقيق لصفات الأصوات العربيّة وأثر التنوع السياقي أو المجاورة الصوتية في صوت مُعيّن في السلسلة الكلامية ، وهو أمرٌ دالّ على سبق علمائنا القدماء في هذا المجال ، فلهم الفضل فيما قدّموه من مادّة دراسية صوتية للباحثين المعاصرين الذين لهم فضل التجديد في مناهج البحث اللغوي فيما انتهى

باختيار ظواهر صوتية - من بينها ما نحن بصدد دراسته - استأثرت بملاحظات طائفة من العلماء من أمثال ابن غلبون المتوفى في سنة ٣٩٩ للهجرة ، في كتابه ( التذكرة في القراءات)، وابن البادش المتوفى في سنة ٥٤٠ للهجرة، في كتابه ( الإقناع في القراءات السبع )، والأمام الشاطبي المتوفى في سنة ٥٩٠ للهجرة ، في قصيدته اللامية المشهورة ، وأبي شامة المتوفى في سنة ٦٦٥ للهجرة ، في شرحه للقصيدة المذكورة في كتابه: (إبراز المعاني) وابن الجزري المتوفى في سنة ٨٣٣ للهجرة ، في كتابه: ( النشر في القراءات العشر ) وغيرهم ، ممن لم تخلُ مقدمات كتبهم - في تناول الأصول - من إشارات إلى ظواهر صوتية تفرّد بها ورش في قراءته حتى عدت مذهباً له يُشار إليه بين مذاهب القراء المُجيدين .

وقد رأيت أن يكون منطلق هذا البحث من توطئة أتناول فيها سيرة الرجل ومصادر قراءته، ومدخل يُعنى بتحديد مصطلح (التغليظ) عند القدماء . أما الدراسة فقد اقتضى إطار البحث أن تكون في مبحثين الأول منهما في دراسة صوت اللام عند سيبويه والمحدثين ، من حيث مخرجه وصفته وطريقة

إنتاجه، وتحدّثت فيه كذلك عن أنواع اللام في العربية . والآخر في ظاهرة التغليظ في قراءة ورش وموضعها، وكلّ ذلك على أساس ما ينتاب الحرف من الصفات النُطقيّة التي تعرض له في التركيب .

وأودّ أن أنبه هنا على أنّي اقتصر في دراسة هذه الظاهرة في سياق الوصل دون الوقف ، باعتبار أنّ الوقف يُشكّل أصلاً قائماً برأسه من بين أصول القراءات وظاهرة صوتية مستقلة لها ظروفها الخاصة ، وكان سبيلنا في ذلك كلّهُ أن نذكر مواضع هذه الظاهرة وأن نفسّر كلّ موضع بما ورد من ملاحظات صوتية قديمة حوله مع أخذنا بما ورد من ملاحظات الباحثين المعاصرين التي لا يجد البحث غنى عنها . ووقفنا - بعد ذلك كلّهُ - على أهمّ النتائج التي انتهى إليها البحث في إطار المدخل والدراسة .

وبعد فإنّ هذا البحث محاولة في طريق الوصول إلى الحقيقة ، فإن أصبت فهو الغاية ، وإن لم يكن ذاك فحسبي أنّي بذلت جهداً فيها . نسأل الله سبحانه أن يوفّقنا في خدمة كتابه المجيد ، وأن يُلهمنا تلاوته والعمل بما دلّنا عليه من العمل الصالح ، إنّه سميعٌ مُجيب .



## توطئة في سيرة ورش ومصادر قراءته

على الرغم من الاختلاف الواقع في نسب ورش إلا أنّ هناك اتفاقاً في اسمه واسم أبيه ، فهو عثمان بن سعيد ، وأمّا أبوه سعيد فهو :ابن عديّ بن غزوان بن داود بن سابق ، ويقال هو ابن عبد الله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم (٢) ، وكذلك اختلف في أصله فهو من القيروان وقيل من أفريقيا ، وقال ياقوت : والأوّل أشهر (٣) ، وممّا شكّ فيه أنّه ولد في مصر سنة ١١٠ للهجرة ، ومن الراجح أنّه ولد في (قفط) ، وهي بلدة بالصعيد الأعلى حولها مزارع وبساتين كثيرة كما وصفها ياقوت (٤) ومن هنا نُسب إليها فقيل: القفطي (٥) مع ما يتردّد في بعض مصادر ترجمته من كونه من الأقباط ، فقيل : القبطي (٦) ولست أدري إذا كانت هذه الكلمة محرّفة أو لا ؟ فليس بين يديّ نصّ يوثق نسبته الأخيرة هذه سوى ما وجدناه من الاختلاف في نسبه كما مرّ في أوّل هذا الكلام ، فالرواية الثانية في نسبه تشير إلى أنّ جدّه الثالث إبراهيم كان من الموالي ، فقد كان مولىً لآل الزبير بن العوّام ، وبسبب ذلك لُقّب ورش بالقرشي (٧) أمّا ورش فهو لقب له ، وكان ورش يقول : أستاذي نافع سمّاني به (٨) واختلف في سبب هذه التسمية فقيل : إنّ الورش شيء يُصنع من اللبن وهو (الإقط) ، فلُقّب به بذلك لبياضه ، وقيل : إنّ كلمة ورش مُختزلة من (الورشان) - على زنة الكروان - وهو طائر يُشبه الحمامة ، لأنّ ورشاً كان - مع قصره - يلبس ثياباً قصاراً فتبدو رجلاه إذا مشى (٩) وعلى كلّ حال فإنّ هذا اللقب غدا علماً

له واسماً لزمه إلى يومنا هذا .

والظاهر أنّ حياة ورش في مصر وفي بلده على نحوٍ خاص ، قبل اتصاله بنافع ، كان يغلب عليها طابع البساطة ، حتى قيل إنّ : كان في شبابه رأساً (١٠) ، ثمّ انصرف إلى دراسة علوم العربية والقرآن فمهر فيهما ولعلّ ذلك - كما أرى - من بين الأسباب التي هيأت له أن يُغادر مصر مُتوجهاً إلى مدينة الرسول (ص) في حدود سنة ١٥٥ للهجرة وهو في سنّ الخامسة والأربعين ، لملاقاة إمام القراءة فيها نافع المدني ، رحمه الله . ومن الثابت أنّ نافعاً المتوفى في سنة ١٦٩ للهجرة آخر من عرض عليه ورش في حياته ، فقرأ عليه القرآن أربع ختمات في شهر واحد قبل أن يعود إلى مصر ، ولا شكّ في أنّ اختيار ورش نافعاً ليقراً عليه لم يكن مُصادفةً ، فقد قال أحد الجعفريين - وهو وسيلة ورش إلى نافع- مخاطباً نافعاً: ((إنّ هذا .. جاءك من مصر ليقراً عليك ليس معه تجارة ولا جاء لحجّ إنّما جاء للقراءة خاصّة)) (١١) ، أمّا سبب اختياره لنافع ؛ فلأنّ قراءة نافع (وعاصم أيضاً) (( من أوثق القراءات وأصحّها سنداً وأفصحها في العربيّة )) (١٢) فضلاً عمّا عُرف عن نافع بين معاصريه من القراء أنّ له طريفته الخاصّة فيمن يقرأ عليه من تلاميذه ، ولعلّ هذه الطريقة كانت تنجح إلى التيسير والتسهيل ، فقد قيل : إنّ نافعاً كان يُسهّل القرآن على من يقرأ عليه (١٣) والمراد بالتسهيل هنا كما يظهر لي أنّ يقرأ التلميذ على شيخه من القرآن عدداً قليلاً من الآيات لا تزيد في كل جلسة على الخمسين ، وهو ما يُفهم من

كلام ورش الذي قال : فما زلت أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة<sup>(١٤)</sup>.

وإذا كان ذلك ثابتاً في أخبار ورش، فإنّ في بعضها ما يُشير إلى أنه قد قرأ على أساتذة له في مصر من قبل أن يقرأ على نافع ، فقد ذكر مكّي بن أبي طالب ((أنّ ورشاً قرأ على نافع بما تعلّم في بلده ، فوافق ذلك رواية قرأها نافع عن بعض أئمّته فتركه على ذلك))<sup>(١٥)</sup>.

ويُفهم من هذا أمران :

**أحدهما** : أن ما قرأه ورش على نافع ليس إلا قراءة أخذها من أحد شيوخه في مصر، وهو أمرٌ يصعب التعامل معه لأمر بسيط وهو أنّنا لا نعرفُ - الآن - شيئاً عن شيوخه الذين قرأ عليهم في مصر، كما لا نعلم شيئاً عن خصائص هذه القراءة التي ذُكر أنّها وافقت إحدى قراءات نافع التي رواها عن أحد شيوخه ! .

**أمّا الأمر الآخر** وهو المهمّ فيكمن في تنوّع قراءة ورش، وهو تنوّع يُنسب إلى تعدّد في الرواية، كما يعود إلى اختيار ورش نفسه وجوهاً من القراءة ارتضاها لنفسه وحملها عنه بعض تلاميذه كما سيظهر في مكان لاحق .

وعلى هذا فقراءة ورش لا تخرج عن ثلاثة أنواع : **الأوّل** ما رواه عن شيوخه في مصر وقرأه على شيخه نافع ولم يعترض عليه ، وهذا النوع لا معرفة لنا به ، وهو بحاجة إلى بحث واستقراء لعلّ أحدًا غيرنا في قابل الأيام ينهض به .

**والثاني** ما رواه عن نافع خاصّة وهو الأشهر ، وهو ممّا نقله عنه طائفة من تلاميذه في مصر ، من أمثال: الحافظ أحمد بن صالح المتوفى في سنة ٢٤٨ للهجرة، وهو الذي قرأ ابن مجاهد<sup>(١٦)</sup> بسنده من طريقه عن ورش عن نافع ، ومنهم : داود ابن أبي طيبة العدويّ المتوفى في سنة ٢٢٣ للهجرة ، ويونس بن عبد الأعلى الصّدفي المتوفى في سنة ٢٦٤ للهجرة، وهما اللذان رويا ترك التخليط - كقراءة الجماعة - عن ورش، وغيرهما<sup>(١٧)</sup> ، وهذا النوع هو ما عليه المصحف المطبوع في بلاد المغرب العربيّ وفي نواكشوط برواية ورش عن نافع .

**أمّا النوع الثالث** من قراءته فهو ما خالف فيه شيخه نافعاً خاصّة وهو ما اختاره من وجوه في القراءة ، حملها عنه تلميذه أبو يعقوب الأزرق المتوفى في حدود سنة ٢٤٠ للهجرة، ولعلّ الأزرق هو وحده من تفرد برواية التخليط عن ورش ، للزومه له ومصاحبته إيّاه مدّة طويلة<sup>(١٨)</sup> ، ويظهر أنّ رواية الأزرق كانت شائعة في مصر وبلاد المغرب في القرن الخامس الهجريّ ، فقد نقل الذهبيّ عن أبي الفضل الخزاعي المتوفى في سنة ٤٠٨ للهجرة قوله: (( أدركتُ أهل مصر والمغرب على رواية أبي يعقوب عن ورش لا يعرفون غيرها))<sup>(١٩)</sup> وقد كان لشيوخ هذه الرواية حينذاك ما يبرر عناية أبي عمرو الداني المتوفى في سنة ٤٤٤ للهجرة - بها ، فصنّف كتابا في اللامات والراءات في قراءة ورش<sup>(٢٠)</sup>.

توفّي ورش رحمه الله - في مصر في سنة ١٩٦ للهجرة بعد أن قضى أربعين سنة - منذ عودته من



هؤلاء حملتها الأجيال اللاحقة من قرّاء مصر وبلاد  
المغرب العربيّ وبعض بلاد أفريقيا .

والذي يتحصّل من هذا أنّ (التغليظ) كمفهوم له دلالاته  
الخاصّة إنّما عُرف في بيئة القراء وفي مصر بشكل  
خاص ، ولستُ أستبعد أن يكون ورشٌ - رحمه الله -  
قد بيّنه لتلميذه الأزرق الذي صحبه طويلاً ففسّر له  
عله وبسط له صورته حتّى استقرّ مصطلحا شائعاً  
وبأباً من أبواب القراءة في كتب علماء القراءة  
والتجويد .

والتغليظ - مصطلحاً - له دالتان عند هؤلاء،  
فهو عند طائفة : تسمين صوت اللام خاصّة ،  
وذلك بإشباع فتحها<sup>(٢٤)</sup> ، وهو بهذا المعنى يرادف  
التفخيم ، قال ابن الجزريّ متحدّثاً عن التفخيم :  
(فهو والتغليظ واحد ، إلا أنّ المستعمل في الرء ضدّ  
الترقيق هو التفخيم وفي اللام التغليظ)<sup>(٢٥)</sup> ، ومع هذا  
التمييز في الاستعمال إلا أنه لم يمنع من استعمال  
أحدهما مكان الآخر ، وهو ما وجدناه عند طائفة من  
الباحثين المعاصرين أيضاً<sup>(٢٦)</sup> ، ونحن نميل إلى ما  
ذهب إليه ابن الجزريّ ، فنقصر التغليظ على صوت  
اللام خاصّة ، لأنّ التفخيم مصطلح تدرج تحته عدّة  
ظواهر صوتية مثل تفخيم الرء كما مرّ ، وتفخيم  
صائت الألف في لهجة الحجاز واليمن قديماً<sup>(٢٧)</sup> ،  
وهو ما عُرف بإمالة الألف نحو الواو كما هو ثابت  
في كتب اللغة ، وكذلك تفخيمه إذا وقع بعد صوت  
طبيقيّ أو مُطبق ، هذا وقد حرص علماء التجويد  
على ضرورة التفرقة بين ترقيق الصوت اللغوي -  
صامتاً كان أو صائتاً - وتفخيمه من خلال موضعه

المدينة إلى مصر - في خدمة كتاب الله العزيز تلاوة  
وتجويداً وتعليماً، وقد خَلّف بعده أجيالاً من القراء ما  
زالوا يحملون عنه قراءته إلى يومنا هذا .

## مدخل : تحديد المصطلح

### التغليظ عند القدماء

لا يخرج المعنى اللغويّ لمادة ( غلظ ) كيفما تصرّفت  
في وجوها عن الشدّة والصلابة والاستطالة<sup>(٢٨)</sup> ،  
سواء كان ذلك في الفعل أو الطبع أو النطق ، أو  
غير ذلك من الأمور المحسوسة غالباً . ومع محاولة  
استقرائي لموضع الكلمة في عدد من معاجم اللغة<sup>(٢٩)</sup>  
التي يرقى تأليفها إلى نهاية القرن الرابع الهجريّ ،  
فلم أجد فيها هذه المفردة ( التغليظ ) ، كما لم أجد  
في لسان العرب لابن منظور المصري المتوفى في  
سنة ٧١١ للهجرة ، ولا غرابة في ذلك لأنّ ما نقله  
صاحب اللسان - تحت مادة غلظ - لا يخرج عمّا  
ورد في التهذيب للأزهري ، والصاحح للجوهري  
والمحكم لابن سيده ، وبعض كتب غريب الحديث  
، وهي كلّها قد أخذت بذكر هذه الكلمة.

والظاهر أنّ هذه الكلمة إنّما اقتضرت على استعمالها  
طائفة مُعيّنة ، وهي طائفة علماء القراءات والتجويد،  
من المغاربة والمصريين بشكلٍ خاص ، وذلك فيما  
تعارفوا عليه من ( باب التغليظ ) ، قال أبو شامة :  
(وهذا باب لم يذكره أكثر المُصنّفين في القراءات،  
إنّما اعتنى به المغاربة والمصريون)<sup>(٣٠)</sup> ولا شكّ  
في أنّ عناية هؤلاء بهذا الباب - أعني التغليظ -  
إنّما كان بسبب انتشار رواية الأزرق عن ورش في  
هذا الجانب فهو من حملها عنه إلى تلاميذه وعن

في التركيب<sup>(٢٨)</sup> ، ممّا يعني أنّ مصطلح التفخيم أوسع دلالة حتّى أنّه كما يظهر يشتمل على تغليظ اللام عندهم .

وذهبت طائفة أخرى إلى أنّ التغليظ : ((زيادة عمل في اللام إلى جهة الارتفاع))<sup>(٢٩)</sup> ، وهو ملحظ جيّد يرى أنّ التغليظ نطق خاص للام مُعَيّنة في الكلام ، وهذا النطق نتيجة لحركة عضوية مخصوصة تؤدّيها طائفة من أعضاء النطق ، وبناءً على هذا فالتغليظ عند القدماء لا يخرج عن كونه :

١ - صورة من صور نطق فونيم اللام .

٢ - حركة عضوية مسؤولة عن إنتاج هذه الصورة النطقية .

وسوف نتناول هاتين النقطتين بالبيان في الصفحات الآتية .

### المبحث الأول

#### صوت اللام - المخرج والصفة

وأشهر ما ورد في هذا المجال قديماً قول سيبويه في تحديد مخرج اللام إذ قال : ((ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك ، والناب الرباعية والثنية مخرج اللام))<sup>(٣٠)</sup> ، ويركّز هذا الوصف كما يبدو على ذلك الجزء الذي سمّاه سيبويه حافة اللسان ، بدليل عود الضمير إليها في (أدناها وبينها ويلها) ، والذي يقصده سيبويه بالحافة هنا هو مُقدّم اللسان بدليل قوله : وبين ما يليها من

الحنك الأعلى ممّا فوق الضاحك(الأضراس) ، وينبني على ذلك أيضاً أنّ الحنك الأعلى في سياق قوله هذا لا يعدو أن يكون مُقدّم الحنك ، وهو ما عبّر عنه المعاصرون باللثة تارة<sup>(٣١)</sup> وبأصول الثنايا تارة أخرى<sup>(٣٢)</sup> أمّا صفتة عنده فهو صوت مجهور<sup>(٣٣)</sup> ، ويفهم من عبارة سيبويه في قوله : ((وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة... وإن شئت مددت فيها الصوت وليس كالرخوة لأنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه))<sup>(٣٤)</sup> ، إنّ مُقدّم اللسان في حال النطق بصوت اللام يتصل باللثة فينحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع الاتّصال ، غير أنّ انحباسه لا يُشبه حالة انحباسه مع نطق الأصوات الشديدة كالطاء وغيره بل إنّ الهواء يجد له منفذاً من جانبي اللسان أو (من ناحيتي مستدقّ اللسان) كما عبّر سيبويه في آخر كلامه ، ويستفاد من هذا :

١- أنّ اللام عند سيبويه صوت شديد باعتبار ما يحدث حال إنتاجه من اتصال طرف اللسان باللثة اتّصلاً محكماً<sup>(٣٥)</sup> وهو فحوى عبارة سيبويه (لا يتجافى عن موضعه) ، ومعنى ذلك أنّه ليس رخواً .

٢- أنّه لا يُشبه الأصوات الشديدة من جهة منع النفس حال نطقها ، وإذا كان الصوت الشديد عنده هو الذي يمنع الصوت (النفس) أن يجري فيه<sup>(٣٦)</sup> ، فإنّ اللام باعتبار جري الصوت فيه ليس صوتاً شديداً ، ولهذا السبب لم يُدرجه في قائمة الأصوات الشديدة<sup>(٣٧)</sup> .

يتبين من ذلك أنّ صوت اللام عند سيبويه :

عملية إنتاج صوت اللام ما يتعارض مع وصف سيبويه لها ، وإن كان كلامهم أكثر تفصيلاً لذكر الحنجرة والوترين ، قال الدكتور إبراهيم أنيس: ((ويتكوّن هذا الصوت بأن يمرّ الهواء بالحنجرة ، فيحرّك الوترين الصوتيين ثمّ يتّخذ مجراه في الحلق وعلى جانبيّ الفم في مجرىّ ضيق يحدث فيه الهواء نوعاً ضعيفاً من الحفيف ، وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبيّ الفم أو من كليهما يتّصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، وبذلك يُحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرّب من جانبيه))<sup>(٤١)</sup> وقال الدكتور محمود السعران: (( يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم ، مع ترك منفذ للهواء عن إحدى حافتي اللسان أو عن حافتيه ، يُرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف))<sup>(٤٢)</sup> ، وقال الدكتور تمام حسّان : (( يتمّ النطق بالصوت برفع طرف اللسان حتى يتّصل بالثة ورفع الطبقة حتّى يتصل بالجدار الخلفي للحلق فيسدّ المجرى الأنفيّ ... ))<sup>(٤٣)</sup> وما يلاحظ على كلامي الدكتور السعران والدكتور تمام أنّهما جعلتا عملية سدّ المجرى الأنفيّ تالية لعملية الغلق في مقدّم الفم ، والظاهر أنّها مُصاحبة لها لذا ينطلق الهواء - في الوقت نفسه - من جانبيه كما سبق .

ونصل بعد ذلك ، من وصف إنتاج صوت اللام عند سيبويه وبعض الباحثين المعاصرين ، إلى مسألة مهمّة وهي أنّ ذلك الوصف إنّما يصدق على اللام المُرققة دون غيرها ، وهي التي سمّاها ( ماريو باي ) باللام المائعة ، وهذا النوع من اللام سواء كان في

لثويّ منحرف مجهور ليس شديداً بسبب جري النفس معه ، ولا رخواً بسبب انحباس عُضوي النطق انحباساً مُحكمًا لا يدع مجالاً لجري النفس من مقدّمة الفم وإنّما يمرّ النفس من بين جانبيّ الفم وبين سقف الحنك ومن هنا عُدّ الصوت مُتوسطاً بين الشدّة والرخاوة<sup>(٣٨)</sup> .

أمّا مخرج اللام وصفته عند المعاصرين ، فلا يكاد كلامهم عنهما يختلف عمّا ذكره سيبويه ، وإذا كان ثمة اختلاف فلا يعدو أن يكون اختلافاً في الصياغة والتعبير ، قال الدكتور محمود السعران -رحمه الله- ((فاللام العربيّ صامت مجهور سنّي منحرف))<sup>(٣٩)</sup> ومعنى ( سني ) أنه من أصول الثنايا ، وهو عند الدكتور تمام حسّان : ((صوت لثويّ جانبيّ مجهور)) وعدّه من الأصوات المتوسطة<sup>(٤٠)</sup> أي ليس بالشديد ولا الرخو ، وهو ما أوضحناه فيما مرّ من الكلام عن صفة اللام عند سيبويه .

### إنتاج صوت اللام

لقد مرّ في كلام سيبويه عن مخرج اللام وصفته ما يشير إلى العملية العضوية التي يتكوّن بها الصوت ، وخالصة ذلك أنّ الهواء المارّ من الرئتين إلى الفم يُصادف عقبة في مقدّم الفم ، وهذه العقبة ناتجة من اتصال طرف اللسان بالثة اتّصالاً مُحكمًا يمتنع معه أن يمرّ الهواء من مقدّم الفم فينطلق من جانبيه إلى الخارج واللسان ما يزال في موضعه ، حتى يزول الاتصال فينقطع الصوت .

أمّا الباحثون العرب ، فليس في كلامهم في وصف

العربية أم الإنكليزية إنما يتكوّن إذا كانت نقطة الغلق أو الانحباس في مُقدّمة الفم وهي ذلك العضو الذي عبّر عنه باللثة ، وأما عبارة الدكتور السعران في قوله السابق ( حيث تنشأ عقبة في وسط الفم ) ، بسبب اعتماد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا ، فإنّها تصدق على نوع آخر من اللام.

### أنواع اللام في العربية

وهنا أودّ الإشارة إلى مسألة أخرى ، وهي أنّ اللام العربية كما وصفت لنا في كتب اللغة والتجويد لا تخرج عن نوعين اثنين هما: اللام اللينة أو المرققة وهي الأصل، وهي التي وصفت لنا في كتب اللغة والقراءة والتجويد ، واللام المغلّظة التي وصفت لنا في كتب القراءة والتجويد بشكل خاص، وقد كان هذا التمييز في الغالب مبنياً على أساس فكرة الأصل ، فاللام اللينة أصل عند هؤلاء وهؤلاء لا يختلفون في هذا والمغلّظة فرعٌ منها أي أنّها صفة صوتية عارضة على الأصل لسبب طارئ ، بزواله تعود إلى سيرتها الأولى فيما كانت عليه من ترقيق أو تليين . والحقّ أنّ فكرة الأصلية والفرعية ، لا تصلح أساساً للتمييز بين هذين النوعين من اللام ، والأجدى في دراسة ذلك دراسةً صوتيةً موضوعية أن يُعتمد على أساسٍ آخر ، وهو ما تبنته هذه الدراسة في هذا المجال ، وهذا الأساس يتمثّل في اعتماد مواضع عمليّة الغلق في إنتاج الصور النطقية المختلفة لفونيم اللام مائراً فيما بينها ، وهو الأساس الذي اعتمده اللغوي الإيطالي ( ماريو باي ) في وصف

اللام الإنكليزية ، وخلاصة ما جاء به هذا اللغوي أنّ موضع نقطة اتّصال عُضوي النطق باللام هو المسؤول عن إنتاج هذه الصورة النطقية أو تلك ، فإذا كانت نقطة الاتصال ( أو الغلق ) في مُقدّمة الفم خرجت اللام المائعة في مثل million وإذا تأخرت إلى وسطه خرجت اللام المتوسطة في مثل love وإذا تأخرت نقطة الاتصال أكثر إلى الخلف خرجت اللام التي في مثل milk ، فاللام في اللغة الانكليزية : مائعة ومتوسطة وخلفية(٤٤) .

وإذا كان إنتاج اللام العربية كما وصفه سيبويه والمحدثون يتمّ باتّصال مُقدّم اللسان بمُقدّمة الفم أو اللثة ، فإن الصوت الناتج هنا هو اللام اللينة ( المرققة ) وهي كثيرة الدوران في الكلام .

أمّا إذا عُدنا إلى عبارة أبي شامة التي ذكرناها في كلامنا عن تحديد المصطلح وهي أنّ التعليل ( زيادة عمل في اللام إلى جهة الارتفاع ) ، فالذي يُفهم من كلمة (الارتفاع ) في هذا الموضع أنّ مُقدّم اللسان حين النطق باللام المغلّظة – إمّا :

١- أن يتأخر إلى مُقدّمة الحنك الصلب مما يلي اللثة وهو موضع الاتّصال ، فتخرج اللام هنا شبيهة باللام التي في لفظ الجلالة: الله .

٢- أو يتأخّر إلى الورا إلى وسط الحنك الصلب، وهو موضع الاتّصال ، فتخرج اللام التي في نحو: عَطَلْ وخَالَةٌ وصَخَلْ ودَعَلْ وغيرها، مما نسمعه في اللهجة العراقية والكويتية . وإذا كان علماء القراءة والتجويد يُقرّرون أنّ اللام التي في لفظ الجلالة ( الله ) مُغلّظة ، أمكننا أن نُميّز - في ضوء ما شرحناه - بين

منهما عملاً في اللسان ، ففي أثناء النطق بها يصل أقصى اللسان إلى موضع الطبق اللين، ولعلّ هذا ما قصده إليه أبو شامة - أيضاً - فيما سبق من كلامه .

## المبحث الثاني

### التغليظ في قراءة ورش

على الرغم من أنّ ظاهرة التغليظ في قراءة ورش لا تقتصر على الصوت الساكن ( اللام ) ، وإنّما تشمل بعض الصوائت على نحو ما نسب إليه من تغليظ صائت الألف في بعض السياقات<sup>(٤٨)</sup>، إلا أنّ تغليظ اللام هو المشهور عنه في اختياره .

والتغليظ في بعض الأصوات اللغوية لا يعدو أن يكون صفة فيها، وهذه الصفة إمّا أن تكون ذاتية طبيعية في الصوت كما في أصوات الإطباق التي حافظت على صفتها هذه بسبب موضعها من النطق ، وقوتها التي جعلتها عصيّة على التأثر بما يجاورها من أصوات . وإمّا أن تكون تلك الصفة مكتسبة في الصوت من صوت آخر يجاوره في التركيب . ويتفق علماء القراءة والتجويد على أنّ اللام في اسم ( الله ) تعالى مغلّظة في موضعين : أن يُبتدأ بها الكلام ، أو تكون تالية لصائتي الفتحة والضمّة القصيرين أو الطويلين ، وترقّق فيما عدا ذلك أي أن تكون تالية لكسرة قصيرة أو طويلة ، ويشير الموضع الأول إلى أنّ التغليظ يكاد يكون ذاتياً لعدم وجود مؤثّر سابق ، بينما يشير الموضع الثاني إلى

ثلاثة أنواع من فونيم اللام في العربية ، هذه الأنواع هي : اللام اللينة واللام الغليظة ، واللام المتوسطة وهي اللام التي يمكن أن توصف بأنّها بين اللام اللينة وبين اللام الغليظة لا من حيث مخرجها فقط وإنّما من جهة درجة الصوت كذلك . ودرجة الصوت ملمح آخر يُمكن في ضوئه التفريق بين هذه الأنواع الثلاثة لفونيم اللام ، والمراد به من جهة اللغة ما ذكره المرعشي في تفريقه بين الترقيق والتغليظ ، حين قال : (( والتغليظ عبارة عن سبمن يدخل جسم الحرف ، فيمتلئ الفم بصداه ، والتفخيم عبارة عنه والترقيق عبارة عن ضدّ التغليظ وهو نحول يدخل على جسم الحرف فلا يملأ صداه الفم))<sup>(٤٥)</sup> وقد عرفها الدكتور تمام حسان بسمك الصوت ودقته<sup>(٤٦)</sup> وهو فحوى كلام المرعشي ، وأياً كان ( حجم ) الصوت فإنّ ذلك يتوقّف على ((عدد الذبذبات في وقت مُعين يُحدد عادة بالثانية فإذا كثر عدد الذبذبات في الثانية كان الصوت دقيقاً ، وإذا قلّ كان الصوت سميكاً))<sup>(٤٧)</sup> وكثرة تردد ذبذبة الأوتار الصوتية في الحنجرة أو قلته يتوقّف كلّ منهما - فيما أحسب - ليس على وضع مؤخرة اللسان فقط وإنّما يتوقّف كذلك على موضع نقطة الغلق ، فإذا كان الغلق أمامياً في حال نطق اللام اللينة كان التردد كثيراً ، وإذا كان الغلق في وسط الفم كان التردد قليلاً أمّا إذا كان الغلق خلفياً فإنّ التردد سيكون لا محالة أقلّ ، وما ذلك - كما يظهر - إلا لقصر المسافة بين موضع الاتّصال وبين أقصى اللسان ، ولهذا السبب ندرك أنّ اللام الخلفية أكثر وضوحاً في السمع من أختيها ، كما أنّها أكثر

أثر التركيب أو السياق . وتفسير الموضع الأول كما يبدو أنّ التعليل فيه يرجع إلى أنه عادة نطقية مألوفة في كلام العرب ينقلها خالف عن سالف وجيل عن آخروهما عليه القراء في البلاد العربية والإسلامية وهو الشائع في اللهجات العربية الحديثة .

أما اللام في غير اسم الله تعالى ، فلا خلاف بين القراء من جهة اللفظ بها أنّها مفتوحة غير مغلظة<sup>(٤٩)</sup> ويبدو أنّ السبب في ذلك يعود إلى مراعاة الأصل عندهم ، فاللام من الأصوات المستقلة أي التي ينحدر في نطقها اللسان إلى قاع الفم ، وهذه الأصوات يغلب عليها أن تنطق مرقة ، قال ابن الجزري :

(( وقولهم : الأصل في اللام الترقيق أبين من قولهم في الراء إنّ أصلها التفتيح ، وذلك أنّ اللام لا تُغَلِّظُ إلا لسبب.. وليس تغليظها إذ ذاك بلازم..))<sup>(٥٠)</sup>

وعلى كلّ حال فإنّ تغليظها منقول عن ورش برواية الأزرق عنه ، وهو ما قرره علماء القراءة والتجويد، قال ابن الجزري : (( وقد اختصّ المصريون بمذهب

عن ورش في اللام لم يشاركهم فيها سواهم ورووا عن طريق الأزرق وغيره عن ورش تغليظ اللام إذا جاورها حرف تفتيح ))<sup>(٥١)</sup>، ويفهم من هذا أنّ

تغليظ اللام عند ورش ظاهرة تركيبية محدّدة ، وذلك عندما يجاورها صوت من أصوات التفتيح والمراد بها أصوات الإطباق وهي الطاء والصاد والظاء

والضاد، ويشير ابن الجزري كذلك إلى أنّ بعض المغاربة والمصريين (( رووا تغليظها إذا وقعت بين حرفي استعلاء ))<sup>(٥٢)</sup>، والمقصود بحرفي الاستعلاء

هنا: الغين والحاء ، وسأتناول هذين الموضعين كلّاً

على حدة .

**أولاً :** مع أصوات الأطباق : غلظ ورش اللام في هذا الموضع في مسلكين ، هما:

١ - وقوعها بعد صوت مُطبّق

٢ - أو بين صوتين مُطبّقين .

والمسلك الأول يحدث في سياقات مُعيّنة ، وهي كما نبّه عليها علماء القراءة :

١ - أن تكون اللام وصوت الإطباق مُحَرِّكين بالفتحة ، ومنه : ( وانطلقوا ) و ( وما صلّبوه ) و ( وما ظلّمناهم ) ونحوها ، ولم يرد لديهم مثال على تغليظها مع الضاد في هذا السياق .

٢ - أن تكون اللام مفتوحة وحرف الأطباق ساكنًا، ومنه: ( مطّلع الفجر ) و ( فيصلّب ) و ( ولا يُظلمون ) و ( أضلّتم ) ونحوها .

٣ - أن تكون اللام مفتوحة وحرف الإطباق مُضعفًا، ومنه : ( وبنرّ مُعطلّة ) و ( كتاباً مُفصّلاً ) و ( على الصلّاة ) ، وأمثالها .

٤- أن تكون اللام مُضعفًا ويكون حرف الأطباق مفتوحًا، ومنه: ( إذا طلّتم ) و ( إذا صلّي ) و ( يصلّبوا ) و ( بظلام ) وغيرها .

أما المسلك الآخر فقد ورد في موضع واحد وهو وقوع اللام الساكنة بين حرفين مطبّقين متماثلين ، على نحو ما ورد في : ( صلّصال ) .

**ثانياً :** مع حرفي الاستعلاء، روي عن ورش أنّه كان يُغلّظ اللام المفتوحة إذا وقعت بين حرفي استعلاء من نحو : ( خلّطوا ) و ( أخلّصوا ) و ( استغلّظ )

ونحو ذلك<sup>(٥٣)</sup> .

الأصوات يرجع إلى تلك الظاهرة الصوتية التي أطلق عليها القدماء بالمجاورة بين الأصوات<sup>(٥٥)</sup> وأطلق عليها المعاصرون بالموقعية قال الدكتور تمام حسان: ((...ويعدّ تفخيم اللام أو تغليظها ظاهرة موقعية أو سياقية ، بسبب مجاورتها لحروف الإطباق التي تحتفظ بتفخيمها في كلّ موضع ))<sup>(٥٦)</sup> ، ولبعض القدماء في تحليل ظاهرة تغليظ اللام عند ورش ما يكاد يقترّب من وجهة نظر المحدثين ، فقد قال مكّي: (( وعلة من فحّم هذا النوع أنّه لما تقدّم اللام حرف مُفحّم مُطبق مُستعلٍ أراد أن يُقرّب اللام نحو لفظه، فيعمل اللسان في التفخيم عملاً واحداً ، وهذا هو معظم مذاهب العرب في مثل هذا يُقرّبون الحرف من الحرف ليعمل اللسان عملاً واحداً..وعلى هذا أبدلوا من السين صادًا إذا أتى بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء ، ليعمل اللسان في الإطباق عملاً واحداً ، فذلك أخفّ عليهم من أن يتسفل اللسان بالحرف ثمّ يتصعدّ إلى ما بعده ))<sup>(٥٧)</sup> ، ويفهم من هذا أنّ تغليظ اللام إنّما حصل بسبب موقعه بجوار صوت مفحّم في بنية الكلمة ، وإذا كان إنتاج أصوات التفخيم (المطبقة) يتمّ بارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبقة اللين وتحركه إلى الخلف في اتجاه الجدار الخلفي للحلق<sup>(٥٨)</sup> ، فإنّ المتوقّع - بعد ذلك - في طريقة نطق هذه (اللام) أن تكون مماثلة لكيفية نطق الصوت المُطبق لغرض إحداث نوع من الانسجام الصوتي في بنية الكلمة ، فضلاً عن الاقتصاد في عملية النطق. والتغليظ هنا لا يقتصر على اللام دون حركتها ، فهذا ليس ممكناً، ففتحة اللام من بنية الكلمة وهي بلا شكّ عرضة

وهذا الذي وقفنا عليه من تغليظ اللام فيما روي عن ورش ، ولا سيّما مع حروف الإطباق هو المتفق عليه عند أغلب علماء القراءة والتجويد ، أمّا المسلك الآخر فقد نقله بعض المغاربة والمصريين كما صرّح بذلك ابن الجزري في كلام سابق، وعلى كلّ حال فإنّ له وجهًا في العربية سنذكره .

ويلاحظ على ما ورد من تغليظ اللام مع حروف الإطباق في قراءة ورش ، أنّ نسبة شيوعها مع الطاء والصاد والظاء أكثر من الضاد ، ولهذا سببان : أحدهما يتعلّق باختلاف عدد هذه الحروف في مصادر قراءته هذه، فهي ثلاثة في أكثرها وهو المشهور<sup>(٥٩)</sup> ، وهي الطاء والصاد والظاء ، وقال الشاطبي في ( حرز الأمانى) :

وغلظ ورش فتح لامٍ لصادها

أو الطاء أو للظاء ، قبل تنزلاً  
أمّا السبب الآخر فيمكن في السياق الصوتي نفسه، وذلك أنّ تغليظ اللام - وهي منحرفة - يعني الجمع بين صوتين منحرفين في سياق نُطقيّ واحد، وفي ذلك من الكلفة في بذل الجهد العضليّ المضاعف في إنتاج كلّ منهما ، فذلك يعني نطق صوتين مُطبقين نُطقًا متوالياً يرتفع فيه مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى مرتين في آنٍ معًا وهو ممّا لم يُسمع من الناطقين بالعربية الفصحى .

ولهذا السبب أميل إلى أنّ ورشًا قد استثنى اللام الواقعة بعد الضاد المنحرفة من مذهبه في التغليظ مكتفيًا بما تيسر له من أصوات الإطباق الأخرى ولا شكّ في أنّ تفسير تغليظ اللام مع هذه الطائفة من

للتفخيم أمّا قول أبي شامة الذي مرّ بنا وهو أنّ تغليظ اللام يكون بإشباع حركتها أي تفخيمها ، فليس معناه أنّ الإشباع علّة له وإنّما يريد أنّ تغليظ اللام يستدعي تفخيم حركتها ، ولا شكّ في أنّ الحركة تتأثر بما يكتنفها من صوامت تفخيمًا أو ترقيقًا ، وهو ملمح بارز في العربية الفصحى خاصة ، قال بروكلمان : (( تتأثر الحركات الثلاث الأصلية : الفتحه والكسرة والضمة في كل اللغات السامية وعلى الأخص في العربية بما حولها من الأصوات الصامتة ))<sup>(٥٩)</sup> ولهذا فالتغليظ هنا واقع على المقطع كلّه (ل) ، وهو مقطع قصير : صامت + حركة ، ومن المعلوم أنّه لا يوجد في العربية مقطع خالٍ من الحركة<sup>(٦٠)</sup> أما تغليظ اللام في المسلك الآخر وهو وقوعها ساكنة بين صوتين مُطبقين ، فتفسيره لا يكاد يختلف عن التفسير السابق بل إنّ السياق هنا ممّا يقوّي التغليظ كما صرّح مكّي بن أبي طالب<sup>(٦١)</sup> وذلك في (من صلّصال) ومثلها وهو موضع لا نظير له في القرآن ، والذي روي عن ورش فيه تغليظ اللام الأولى وحدها ، ولا أظنّ ذلك لأنّ الألف هنا مفخّمة لوقوعها بعد الصاد المُطبقة، ومذهب ورش في الألف تفخيمها إذا وقعت بين حرفين مُغلّظين كما صرّح بذلك ابن بصخان في ردّه على من أنكر تفخيمها ، قال : (( والدليل على جهله أنّه يدّعي أنّ الألف في قراءة ورش (طال، فصّال) وما أشبهها مرقّفة، وترقيقها غير ممكن لوقوعها بين حرفين مغلّظين ، والدليل على غلط طبعه أنّه لا يُفرّق في لفظه بين ألف (قال) وألف (حال) حالة التجويد ))<sup>(٦٢)</sup> ، وهذا يعني أنّ ورشًا كان يُغلّظ اللام

الأخرى كذلك ، بالرغم من كسرها - لغرض الانسجام الصوتي في مقاطع الكلمة ، والتقريب بين أصواتها في صفة صوتية واحدة .

أمّا تغليظها مع حرفي الاستعلاء ( الخاء و الغين ) ، فيعود إلى أنّ هذين الصوتين حين النطق بهما يرتفع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى (الطبق) حتى يتّصل به اتّصالاً يسمح بمرور الهواء فيحنك في نقطة الاتّصال<sup>(٦٣)</sup> ، وبسبب هذه الحركة العضوية المتمثلة بارتفاع أقصى اللسان عرفت بالمستعلية، كما عُرفت بالطبقية نسبة إلى دور الطبق اللين في عملية إنتاجهما .

ويستنتج من ارتفاع مؤخر اللسان في حين نطقهما أنّهما من أصوات التفخيم ، وإذا وقع بعدهما فتحة قصيرة أو طويلة كان تفخيمهما أبلغ<sup>(٦٤)</sup> ، أي أنّ الحركة لها دور في زيادة درجة الصوت ، غير أنّه يمكن النظر إلى هذين الصوتين على أنّهما:

١- شبه مُفخّمين قياساً إلى أصوات الإطباق الأربعة لأنّ تفخيم هذه الأخيرة أقوى من تفخيم بقية الأصوات المستعلية وهي القاف والحاء والغين ، كما ذهب إلى ذلك بعض القدماء<sup>(٦٥)</sup> .

٢ - مُفخّمان في سياقات مُعينة ، حين يتلوها فتخ أو ضمّ قصير أو طويل<sup>(٦٦)</sup> وكذلك حين يقعان بعد صوت مطبق كما في (طعى) و (أضغاث) وليس في القرآن خاء مفتوحة أو مضمومة بعد مُطبق .

ولذلك ، فإنّ تغليظ اللام بعدهما لا يدعو أن يكون مطلبًا سياقيًا يكمن في تأثير الصوت القويّ في الصوت اللين الذي يجاوره في سلسلة الكلام ، ومن



يقول فندريس<sup>(٦٨)</sup> فإنّ التخليط بوصفه صورة نطقية ( ل حرف ) اللام في العربية لا يُعدّ ظاهرة نطقية جديدة في كلام العرب ، فقد رويت لنا بعض صورها في كتب اللغة وإن لم يُصرّح باسمها ، ولعلّ أقدم مثال لها - كما أرى - ما ذكره سيبويه من قول بعض العرب : الطَجَع في : اضْطَجَع ، وفسّره بقوله : (( أبدال اللام مكان الضاد كراهية النقاء المطبقين فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف ))<sup>(٦٩)</sup> وما يُفهم من كلام سيبويه أنّ مخرج الضاد القديمة ( الجانبية ) وهو ( من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس ) حسب ما ذكر سيبويه - قد انتقل إلى أقرب مخرج له وهو مخرج اللام ، وإذا علمنا أنّ الضاد من بين الأصوات المستعلية والمفخّمة في آن واحد نستطيع أن نتصوّر أنّ هذه اللام المُبدلة في ( الطَجَع ) لم تكن لتتطوّر لينة ، بل الراجح أنّها نُطقت كما تُنطق اللام في اسم الله في حالة الابتداء به ، ويُرجّح هذه الصورة لدينا هو مجاورتها لصوت الطاء وهو صوت مُفخم انفجاري ، فلا يبعد تأثيره في اللام من خلال اكتساب هذا الأخير شيئاً من صفات الصوت الذي يليه في التركيب ، فضلاً عن رغبة المتكلم في زيادة رنين الصوت ليكون أوضح في السمع ، ولا يتحقق له ذلك إلا بإبداله بصوت آخر يحمل مثل هذه الطاقة التصويتية التي يوقّرها له عنصر التفخيم .

ومن الغريب أنّ سيبويه لم يُشر إلى هذه الصورة النطقية للّام في كلامه عن الأصوات الفروع المستحسنة وغير المستحسنة في القراءة

المقرّر في النظام المقطعي في اللغة العربية أنّه إذا تجاوز صوتان الأول مفخّم والتالي مرّقق فإنّ التالي يجذب إلى الأول ولا سيّما إذا كان الصوت المفخّم في بداية مقطع ، فإذا وقعت اللام بين مفخّمين فذلك أقوى وأدعى لانجذابها إلى بيئة تسود فيها عناصر مُفخّمة، وعلى هذا يُمكن لورش أن يغلظ اللام في مثل: ( خَلَصُوا نجياً ) و ( خَلَطُوا ) و ( إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ ) و ( الخُلطاء ) و ( فاستغلظ ) ، وله أن يغلظ اللام في ( خَلَقَ ) وتصاريفها الواردة في القرآن ، لأنّ القاف من أصوات الطباق التي يتم نطقها برفع مؤخّر الطباق وهو كالحاء والغين شبه مفخّم ، قال الدكتور تمام حسّان: (( له بعض القيمة التفخيمية ، ولكنه لا يوصف بأنه مفخّم ))<sup>(٧٠)</sup> ولا شكّ في أنّ تفخيمه يرجع إلى موقعه في السياق وذلك إذا وليه فتحة طويلة كما في ( القارعة ) ، أو صوت مطبق في مثل ( القَصَصُ الحَقِّ ) و ( فَفَضَاهُنَّ ) ونحو ذلك .

## رأي

وبعد ، فذلك هو تفسير لظاهرة تخليط اللام في قراءة ورش وتبقى لنا رأيٌ فيها ، وهو رأي لا يخرج عن تصوّر لمخرج هذه الصفة الصوتية التي تلوّن فونيم اللام في اللغة العربية الفصحى ، وقبل ذلك أودّ أن أُشير إلى أنّه : إذا كان من المقرّر في الدرس الصوتي الحديث أنّ التغيّر التركيبي في بنية الكلمة يقتصر دوره على إنتاج صور صوتية لفونيم معين ولا ينتج صوتاً جديداً غير معروف في اللغة كما

وإنشاد الشعر ( في باب الإدغام ) ، وليس من تفسير لذلك سوى أنّ هذه اللام لم تكن مروية عن قراء الأمصار في العراق والحجاز على وجه الخصوص ، ولعلّها - كذلك - لم تكن ظاهرة نطقية مسموعة من العرب في بيئة البصرة في أيامه ولعلّ هذه الصورة النطقية الناشئة بإبدال الضاد كانت مسموعة في أيام ابن الجزري فقد ذكر أنّ هناك طائفة من الناس تُخرجها لاماً مُفخّمة وذكّر أنّهم (الزيالغ) (٧٠)، وعلى كلّ حال فإنّ هذه الصورة النطقية ما زالت مسموعة في بلدان الخليج العربيّ وفي بعض محافظات العراق، فنسمع مثلاً: وكُت الصلّا ، أي :وقت الصلّاة، وطلّال ، والغلّا أي الغلاء ، وبطلّ، وغيرها من الكلمات التي ترد فيها اللام متأثرة بصوت أو أكثر من أصوات الاستعلاء .

والذي يظهر لي أنّ نطق اللام في مثل هذه المفردات إنّما يتمّ باتصال مُقدم اللسان بمقدّمة الطبق ممّا يلي اللثة ، وهو نطق شبيه بنطق اللام في لفظ الجلالة بحسب نطق القراء المجوّدين المصريين من أمثال الشيخ عبد الباسط عبد الصمد - رحمه الله - وقد أظهرت لي قراءة الشيخ عبد الباسط لبعض السور (٧١) أنّ اللام في لفظ الجلالة (الله) كانت تنطق طبقيّة - لثوية، أمّا بقية اللامات فكانت لثوية أو أسنانية لثوية ، كما في (خالدين فيها - إنّ في ذلك لَعبرة - الذين أوتوا العلم - إلى بني إسرائيل - ربّ اجعل لي آيةً - بالقسط - ) وهو ممّا ورد في سورة آل عمران .

وبسبب من هذا جاء اختلاف المحدثين في تحديد

مخرج اللام اللينة فهي عند بعضهم لثوية (٧٢) وعند آخرين أسنانية لثوية (٧٣) وهو تحديداً مبني على أنّ طائفة من اللامات اللينة تنطق باعتماد مقدّمة اللسان على اللثة وأخرى منها تنطق باعتماد مقدّمة اللسان على الأسنان العليا واللثة معاً ، وإن كان النطق الأول هو الغالب .

وأصلُ بعد ذلك إلى القول : بأنّ اللام التي تقع بعد صوتٍ مطبق في قراءة ورش لم تكن لاماً خلفية خالصة ، أي أنّها لم تكن تنطق باتصال مقدّمة اللسان بالطبق الصلب وإنما كانت تنطق باعتمادها على مقدّمة الطبق الصلب مع اللثة ، وهذا النطق هو الذي قرأ به أبو عمرو الداني (٧٤) وهو ظاهرة لهجية كما مرّ بنا ، أمّا نطقها باعتماد مقدّمة اللسان على الطبق الصلب ممّا يلي اللثة فهو ممكن وذلك برفع مقدّمة اللسان إلى الأعلى حتى يتصل بمقدّمة جدار الطبق ، وهذه الحركة العضوية قد تُصاحب نطق اللام في لفظ الجلالة ، وهو واردٌ على كلّ حال في بعض المواقف الانفعالية على نحو خاص ، وهو نطقٌ تستسيغه الأذن العربية ، أمّا نطق اللام التي يجاورها أحد حروف الإطباق في إطار هذه العملية العضوية فلا يعدو أن يكون صورة نطقية غير مألوفة في كلام العرب وأحسب أنّ ابن شامة قد عناها في قوله : (( ولا شكّ أنّه إن ثبت لغةً فهو لغةٌ ضعيفة مُستثقلة فإنّ العرب عُرِف من فصيح لغتها الفرار من الأثقل إلى الأخف )) (٧٥)، ولهذا فإنّنا نتصوّر أنّ اللام التي كان ينطقها ورش - مع حروف الإطباق خاصة - هي أشبه باللام التي ينطقها القراء في كلمة

ترجيح تداوله في بيئة مخصوصة هي بيئة القراء- وفي مصر خاصة - وكان لورشِ الفضل في بيان مواضعه وتقريب صورته لتلاميذه الذين أشاعوا من بعده قراءة التخليط روايةً عنه حتى استقرّ مصطلحاً عند علماء القراءة والتجويد ، وأصلاً من أصول القراءة لديهم .

**ثانياً :** كشف المبحث الأول أنّ اللام العربية - عند

أغلب علماء القراءة والتجويد - لا تخرج عن نوعين اثنين هما: اللام المرققة واللام المغلظة ، وكان المعيار الذي اعتمده في التمييز بين هذين النوعين قائماً على فكرة الأصل والفرع ، وهي فكرة كانت سائدة في الدرس النحوي على وجه خاص وفي الدرس اللغويّ بوجه عام ، وقد رأى الباحث أنّ التمييز بين الصور النطقية لفونيم اللام إنّما يعتمد على كيفية عملية النطق لهذه الصورة أو تلك ، وهذه الكيفية تكمن في أنّ موضع الاتصال بين عضوي النطق هو المسؤول عن ذلك كلّ . وقد أفضى بنا هذا الأساس إلى التمييز بين ثلاث صور نطقية لفونيم اللام ، هي : اللام الأمامية التي تتكوّن باتصال مقدّم اللسان باللسان وهي اللام المائعة أو المرققة ، واللام الخلفية التي تتكوّن باتصال مقدّمة اللسان بسقف الحنك الصلب وهي اللام المغلظة ، واللام المتوسطة التي تتكوّن باتصال مقدّمة اللسان بمقدمة الحنك الصلب . ولا يبعد أن تكون هذه الصور النطقية متداولة في بعض اللهجات العربية القديمة ثم انحدرت إلى بعض لهجاتنا الحديثة التي تُعد امتداداً لها ، بالرغم من أنّ القدماء من اللغويين وعلماء القراءة لم يسجلوا لنا هذه

( الله ) ، وعندني أنّ هذه اللام ليست أمامية ولا خلفية من حيث المخرج ، وإنّما مخرجها بين اللثة وبين مقدّمة الطبق الصلب أي أنّ مقدّم اللسان يعتمد عليهما لإنتاجها ، وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن أيوب أنّ السقف الصلب يشترك مع طرف اللسان ووسطه ومقدّمته في إنتاج عدد من الأصوات من بينها نوع من اللام<sup>(٧٦)</sup> وما هذا النوع إلا تلك الصورة النطقية التي نسمعها في نطق لفظ الجلالة ( الله ) . ومع ذلك ، فإنّ هذه الصورة النطقية - نطق اللام في سياق مجاورتها لأصوات الاستعلاء - ممّا تفرّد بها ورش في مصر خاصة ، ولم تعرفها بلاد الشام والعراق والحجاز بحسب علمي ، وقد ذكر أبو علي الأهوازي مقرئ الشام أنّ: (( أهل العراق ومدينة السلام وأصبهان وخراسان ما يعرفون ذلك عن ورش ولا يأخذون به ))<sup>(٧٧)</sup>

## الخاتمة

وبعد ، فإنّ الذي استقرّ عليه البحث جملةً من النتائج أشير إليها في هذا الموضع وهي :

**أولاً :** أبان المدخل أنّ مصطلح التخليط عند القدماء ذو دلالة مركّبة من صورة نطقية لفونيم اللام ، ومن عملية عضوية معيّنة مسؤولة عن إنتاج هذه الصورة النطقية ، والتخليط بهذا المفهوم لم يرد له ذكر في المعاجم العربية التي يرقى تصنيفها إلى القرن الرابع الهجريّ ، كما لم يرد له ذكر في لسان العرب لابن منظور المصريّ ، الأمر الذي أفضى إلى

بأنها شبه مُغلّظة بمعنى أنّ فيها شيئاً من صفة اللين، كما أنّ فيها شيئاً من صفة الغلظة وهذه البينية هي موضع الغلق الذي ينتج لنا هذا النوع من اللام الذي نسمعه في لفظ الجلالة ، ولا شكّ - بعد ذلك - في أنّ هذه اللام من بين الصور النطقية المستساغة في النطق والسمع على حدّ سواء ، بالرغم من ذهاب علماء التجويد إلى مراعاة الأصل في نطق اللام التي تقع في حيّز حروف الاستعلاء، وذلك الأصل هو التليين .

الصور الثلاث ، مكتفين بالإشارة إلى صورتين منها لا غير وهما : اللام اللينة ، واللام المتوسطة التي وصفت من قبل علماء القراءة والتجويد بالتغليظ .  
**ثالثاً:** ينبني على ما قرّره علماء القراءة والتجويد في أنّ اللام التي في لفظ الجلالة هي لام مغلّظة ، من جانب ، وعلى ما ذهبنا إليه من القول بوجود ثلاثة أنواع من اللام في العربية - في ضوء اللهجات العربية- على أساس نقطة الاتصال من جانب آخر ، أنّ صورة تلك اللام التي وردت في سياق أصوات الاستعلاء في قراءة ورشما هي إلا اللام المتوسطة بين التليين والتغليظ ، وهي التي يمكن أن توصف



## الهوامش

- ١- ينظر : المفيد في شرح عمدة المُجيد ٣٩
- ٢ - ينظر معجم الأدباء ١٢ / ١١٦ ومعرفة القراء ١ / ٣٢٣
- ٣ - المصدر السابق ( معجم الأدباء )
- ٤ - في معجم البلدان ٤ / ٣٨٣
- ٥ - معجم الأدباء ( موضع سابق ) وغاية النهاية ١ / ٥٠٢
- ٦ - معرفة القراء ١ / ٣٢٣
- ٧- معجم الأدباء / موضع سابق
- ٨ - معرفة القراء ١ / ٣٢٤
- ٩ - معجم الأدباء ١٢ / ١١٧
- ١٠ - الرأس هو بائع الرؤوس من النعاج والبقر ونحوهما . وذكر الجوهري أنّ العامة تقول : رؤّاس ( الصحاح : رأس ٢ / ٩٣٢ ) ، وهو ما ذكره الذهبي في قوله : ويعرف ورش بالرؤّاس . معرفة القراء ١ / ٣٢٣
- ١١- معجم الأدباء ١٢ / ١١٩
- ١٢- الإبانة عن معاني القراءات ٨٩
- ١٣ - ينظر معرفة القراء ١ / ٢٤٣
- ١٤ - معجم الأدباء ١٢ / ١٢١
- ١٥ - الإبانة عن معاني القراءات ٨٤ - ٨٥
- ١٦ - السبعة في القراءات ٨٩
- ١٧ - ينظر إبراز المعاني ٢٦١
- ١٨ - ينظر معرفة القراء ١ / ٣٧٣
- ١٩ - المصدر السابق ١ / ٣٧٤
- ٢٠ - نفسه ٢ / ٧٧٦
- ٢١- ينظر : اللسان ( غلظ ) ١١ / ٧١
- ٢٢ - كالعين والجمهرة وتهذيب اللغة ومقاييس اللغة والصحاح .
- ٢٣ - إبراز المعاني ٢٦١

- ٢٤ - ينظر : النشر ١١١ / ٢ وإبراز المعاني ٢٦١
- ٢٥ - النشر ٩٠ / ١
- ٢٦ - الدكتور إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية ٥٩ والدكتور تمام حسان في مناهج البحث في اللغة ١٥٤
- ٢٧ - ينظر : في الأصوات اللغوية ١٦٨ - ١٦٩
- ٢٨ - ينظر : النشر ٢١٥ - ٢٢١
- ٢٩ - إبراز المعاني ٢٦١
- ٣٠ - الكتاب ( بولاق ) ٤٠٥ / ٢ وفي طبعة عبد السلام هارون سقط في النصّ .
- ٣١ - ينظر : علم اللغة ( مقدمة للقارئ العربي ) ١٢٣ والمدخل إلى علم اللغة ٢٥
- ٣٢ - ينظر : الأصوات اللغوية ١٨ ، ٢٠
- ٣٣ - ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣ ، ٤٣٥
- ٣٤ - المصدر السابق ٤ / ٤٣٥
- ٣٥ - ينظر الأصوات اللغوية ١٠٢
- ٣٦ - الكتاب ٤ / ٤٣٤
- ٣٧ - المصدر السابق
- ٣٨ - ينظر : مناهج البحث في اللغة ١٠٤
- ٣٩ - علم اللغة ( مقدمة للقارئ العربي ) ١٧٠
- ٤٠ - مناهج البحث في اللغة ١٠٤ و ٣٠٥
- ٤١ - الأصوات اللغوية ٥٩
- ٤٢ - علم اللغة ( مقدمة للقارئ العربي ) ١٥٩
- ٤٣ - مناهج البحث في اللغة ١٠٥ وينظر : المدخل إلى علم اللغة ٤٧
- ٤٤ - ينظر : أسس علم اللغة ٨٦
- ٤٥ - مرشد القارئ ٥٥ - ٥٦
- ٤٦ - مناهج البحث في اللغة ٦٠
- ٤٧ - المصدر نفسه
- ٤٨ - النشر ٢ / ٢١٥ - ٢١٦
- ٤٩ - ينظر : الإقناع ٣٣٨ وجمال القراء ٦٥٨
- ٥٠ - النشر ١١١ / ٢

- ٥١ - السابق . وينظر : الكشف / ١ / ٢٢٠
- ٥٢ - النشر / ٢ / ١١٥
- ٥٣ - ينظر في تغليظ اللام عند ورش : التذكرة ١٨١ والكشف / ١ / ٢١٩ - ٢٢١ والتحديد في الاتقان ١٦٠ والكافي ٧٠ والإقناع ٣٣٩ وشواذ القراءات ٣٣ وسراج القارئ ١٢٣ وإبراز المعاني ٢٦١ والنشر ١١٢ / ٢
- ٥٤ - ينظر الكشف / ١ / ٢١٩ وسراج القارئ ١٢٣
- ٥٥ - ينظر النشر / ٢ / ١١٢
- ٥٦ - مناهج البحث في اللغة ١٥٤
- ٥٧ - الكشف / ٢ / ٢١٦
- ٥٨ - ينظر : دراسة الصوت اللغوي ١٢٥
- ٥٩ - فقه اللغات السامية ٥٣
- ٦٠ - علم الأصوات ٥٠٩
- ٦١ - في : الكشف / ١ / ٢٢١
- ٦٢ - النشر / ١ / ٢١٥ - ٢١٦ . وابن بصخان هو محمد بن أحمد أبر عبد الله المقرئ النحوي الدمشقي توفي سنة ٧٣٤ للهجرة ( بغية الوعاة / ١ / ٢٠ )
- ٦٣ - ينظر التحديد ١٠٦ - ١٠٧
- ٦٤ - ينظر النشر / ١ / ٢١٨
- ٦٥ - المصدر السابق / ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣ ودراسات في علم اللغة ٢٠٨
- ٦٦ - ينظر : علم الأصوات ٤٠٢
- ٦٧ - مناهج البحث في اللغة ٩٦
- ٦٨ - اللغة ٩٥
- ٦٩ - الكتاب / ٤ / ٤٨٣
- ٧٠ - ينظر : التمهيد ١٤١ والنشر / ١ / ٢٩١ . والزياح طائفة من السودان في أرض الحبشة وهم مسلمون كما في معجم البلدان / ٣ / ١٦٤
- ٧١ - سورة البقرة وآل عمران والنساء التي استمعت إليها عصر يوم السبت ١٠ / ٨ / ٢٠١٣ من قناة القرآن الليلية .
- ٧٢ - ينظر : الأصوات اللغوية ٥٩ وعلم اللغة ١٦٩ ومناهج البحث في اللغة ١٠٥ والمدخل إلى علم اللغة ٤٧

ودراسة الصوت اللغوي ٣١٧

٧٣ - علم الأصوات ٣٤٧

٧٤ - ينظر الإقناع ٣٤٠

٧٥ - إبراز المعاني ٢٦١

٧٦ - ينظر : محاضرات في اللغة ٩٣

٧٧ - الإقناع ٣٤٣



### المصادر والمراجع

- \*القرآن الكريم
- ١- الإبانة عن معاني القراءات ، مكي بن أبي طالب،  
تقديم وتحقيق د . عبد الفتاح اسماعيل  
شلبي ، طبعة دار نهضة مصر .
- ٢- إبراز المعاني من حرز الأمانى ، أبو شامة  
الدمشقي ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، دار  
الكتب العلمية ، بيروت .
- ٣- أسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة وتعليق د .  
أحمد مختار عمر ، ط ٨ مصر ١٩٩٨م
- ٤- الأصوات اللغوية ، د . إبراهيم أنيس ، مكتبة  
الأنجلو المصرية .
- ٥- الإقناع في القراءات السبع ، ابن الباذش ، تحقيق  
وتقديم د . عبد المجيد قطامش ، دار  
الفكر ، دمشق ١٤٠٣ هـ
- ٦- بغية الوعاة ، السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل  
إبراهيم ، ط ٢ دار الفكر ١٩٧٩م .
- ٧- التحديد في الاتقان والتجويد ، أبو عمرو الداني ،  
تحقيق د . غانم قدوري الحمد ، دار  
عمّان ، عمّان ٢٠٠٠م .
- ٨- التذكرة في القراءات ، ابن غلبون ، تحقيق د.  
سعيد صالح زعيمة ، دار ابن خلدون ،  
الاسكندرية ٢٠٠١ م .
- ٩- التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري ، تحقيق  
د. غانم قدوري الحمد ، بيروت ١٩٨٦م
- ١٠- جمال القراء وكمال الإقراء ، تحقيق مروان  
العطية ومحسن خواجه ، دمشق ١٩٩٧
- ١١- دراسات في علم اللغة ، د. كمال بشر ، دار  
غريب ، القاهرة ١٩٩٨



- ١٢- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ١٩٩٧م .
- ١٣- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، ط٣ دار المعارف، مصر
- ١٤- سراج القارئ المبتدئ، أبو القاسم العذري البغدادي، ط٣ مطبعة الحلبي ١٩٥٤م .
- ١٥- شواذ القراءات، الكرمانلي، تحقيق د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت
- ١٦- الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت .
- ١٧- علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م .
- ١٨- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت
- ١٩- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، تحقيق برجشتراسر، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٣٢م .
- ٢٠- فقه اللغات السامية، بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، الرياض ١٩٧٧م
- ٢١- الكافي في القراءات السبع، ابن شريح الرعيني، تحقيق أحمد محمود عبد السميع شافي، بيروت ٢٠٠٠م
- ٢٢- الكتاب، سيبويه، طبعة بولاق، وطبعة عبد السلام هارون، ط١ دار الجيل، بيروت
- ٢٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكّي بن أبي طالب، تحقيق د. محي الدين رمضان ط٣ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م
- ٢٤- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت ٢٠٠٥م
- ٢٥- اللغة، فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية
- ٢٦- محاضرات في اللغة (القسم الأول)، د. عبد الرحمن أيوب، بغداد ١٩٦٦م
- ٢٧- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ط٣ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٧م
- ٢٨- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، ابن الطحان، تحقيق د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٩م
- ٢٩- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تقديم مرجليوث، ط٣ دار الفكر ١٩٨٠م
- ٣٠- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م
- ٣١- معرفة القراء الكبار، شمس الدين الذهبي، تحقيق فولاج، استانبول ١٩٩٥م
- ٣٢- المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، ابن قاسم المرادي، تحقيق د. علي حسين البواب، الأردن ١٩٨٧م
- ٣٣- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٩٠م
- ٣٤- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت .





# العلامات والأشياء مدخل ظاهراتي ( فينومينولوجي) لدراسة العلامة

Signs and Objects : an Entry to the  
Phenomenon of Phenomenology to the  
Study of Signs

د. عبد الفتاح يوسف

قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

Dr.Abdulfatah Yusef,  
Department of Arabic ,College of  
Arts ,University of King Saud

## ملخص البحث

إن العلامات قد تستعصي على التحديد، وتثير كثيراً من علامات الاستفهام أحياناً، والدهشة والاستغراب أحياناً أخرى، وذلك نتيجة عدم ربط كل شرط من شروط إنتاجها بالشروط والسياقات الحضارية التي انبثقت عنها، وبالمحصلة الإستمولوجية للمبدع الذي اعتمد عليها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، وعي المؤول بمقصديّة العلامة. وهذا ما ينزل العلامة منزلتها من الفينومينولوجيا، لأن تأويل العلامة في المنطق الفينومينولوجي، ربما يمنحنا صورة كاملة عن كل مرحلة حضارية انتسب إليها الخطاب.



## Abstract

Sign is difficult to identify. It sometimes raises a lot of question marks , on one side , and surprise and amazement on the other side , as a result of untying any one of its condition with the civilized conditions and context which are caused by it , also with epistemology on the other human and also that gives sign its place in phenomenology because the interpretation of sign in the logic of Phenomenology might give a complete picture about each civilized stage that the writer belongs to.



## المقدمة

لأن استدعائه يعني تقديم تحليل ووصف لماهيات موضوعات العلامة، والمفاهيم التي تستتر خلفها. تُمثّل الإجابة عن الأسئلة السابقة رهاناً نقدياً لهذه الدراسة، فالعلامات في الخطاب، مجال معرفي تتحرّك فيه الأفكار وتفاعل، تحمي الأشياء والآثار الفنية من فقدان، ومن ثمة يمكننا الوعي بالعلامة بوصفها دليلاً على حدث في تاريخ الكون، وبتغيّر أحداث الكون تتألق العلامات في الخطاب، فالآثار الفنية والأشياء في العالم، تتشكّل منطلقاً لتجربة العلامات في الخطاب، ويمكننا بهذه المقاربة تقليص الفجوة بين الخطاب والعالم، فالأشياء تجعل العالم مفتوحاً على الوعي بالعلامات. فالعلامتان اللغويتان ( اللّيل) و ( القيد) في بيت أبي القاسم الشابي:

فلا بُدّ للّيل أن ينجلي

ولا بُدّ للقيد أن ينكسر

تجعلان العالم أكثر انفتاحاً على الوعي بالحرية في عهد الاستقلال، بعد أن كان أسير العبودية في عالم الاستعمار والاستبداد. إن العلامات تمنح الأشياء في الخطاب معنى متعالياً، غير المعنى المستقل/الصامت التي هي عليه في الواقع، إنها تجربة إستيطيّة تنزع المادية عن الأشياء، فتجعلها متعالية في الوعي الإنساني، لأن الأشياء والأحداث تتضمن جوانب فنية إلى جانب جوانبها المادية، وتمتلك العلامة القدرة على استيعاب الجانب المادي مع الجوانب الفنيّة والجمالية والمعرفيّة للأشياء، وتمثيلها في الخطاب باللغة، مع الوضع في الاعتبار أن الشيء المادي يمثّل بناءً تحتياً للجوانب الأخرى، فجملة ( سحابة

كيف يتشكّل المعنى داخل العلامة؟. لماذا تُفصح علامة ما عن معنى ما بعينه؟. ما دور الخبرة المعرفيّة والجمالية في عملية التأويل؟. ما دور أفعال الوعي في إدراك المعنى وفهم تشكّل موضوعات الخطاب؟ ما المشترك بين العلامة والأشياء والخطاب؟. أخيراً هل يكمن المعنى في وجود الأشياء نفسها، أم في طرائق ظهورها في علامات أمام الوعي وخبرته المعرفي؟. إن عدم إدراكنا للأشياء لا يعني عدمها، بل يؤكده، ورصد حركة المعنى لا ينفي وجود أخرى، بل يؤكده وجودها في صيغ مختلفة ومتنوعة، فالأشياء موجودة موجودة قبل الوعي بها، واكتشاف معانيها مرتبط بفاعلية الوعي والإدراك، فما لم يدركه العقل والوعي، لا يعني غيابه، بل قد يحضر في حضور وعي آخر مختلف.

تهتم الدراسة بتقديم إجابات عن هذه الأسئلة، فالسؤال جوهر الفلسفة، وتقديم الإجابة رهان النقد. دراستنا تمزج بين الفلسفة والنقد في قرن إبستمولوجي مشترك؛ لتقديم إجابات جديدة عن علاقة الوعي بتشكّل الموضوعات في الخطاب بالاعتماد على المنجز المعرفي في الفينومينولوجيا، وذلك لأن الفينومينولوجيا تبحث في علاقة الخبرة الإنسانية بالأشياء والعالم، أي الوصول إلى معنى الأشياء كما تبدو للوعي الإنساني، وليس بوصفها وقائع أو أحداثاً مستقلة، أي ربط الخبرة الإنسانية بتفسير الحدث، مما يعني تقديم وصف لخبرتنا القصدية تجاه الأشياء بالتأمل وإعمال الوعي، ومن ثمة فإن استدعاء المجال المعرفي للفينومينولوجيا أمر ضروري،

(الصيف) - مثلاً في جانبها المادي - تبدو كشيء مادي ( شيء في ذاته)، ولكنها عندما تتحوّل إلى ملفوظ داخل الخطاب ( المشكلة كسحابة صيف) فإن الأمر يختلف تماماً، إذ تنفتح ( سحابة صيف) علامة لغوية في الخطاب على معاني الاطمئنان وعدم القلق أو الخوف من أثر المشكلة، وهي تختلف بطبيعة الحال عن علامة ( سحابة الشتاء) التي قد تحضر في الخطاب علامة على معنيين ضدّين: الأمل في نزول المطر، أو الخوف من الهلاك. فالسحابة كشيء مادي (كعلامة مادية مستقلة عن الوعي الإنساني)، هي كتلة من المياه المتجمعة بفعل ظاهرة طبيعية معروفة (التكثيف)، حيث تتبخّر كميات كبيرة من مياه البحار والمحيطات بفعل حرارة الشمس في طبقات الجو العليا، وتتجمّع في صورة سحب لها ألوان مختلفة، فالسحابة في جانبها المادي تحضر في الخطاب العلمي كمجموعة من الخصائص الفيزيائية العلمية المستقلة، وتكون نتاجاً لتجربة عملية، أما في الخطاب الإبداعي، فتحضربوصفها علامة تشير إلى معنى يخضع لعمليات ذهنية من قبل المبدع والمؤوّل، أي تخضع للخبرة المعرفية للمؤوّل، وتكون نتاجاً لقدرة الوعي الإنساني على التمثّل وإنتاج المعرفة، ومن ثمّة يتسم المعنى بأعراض تنفق و وعينا المتعالي عن الأشياء في الخطاب، فالبنية المادية للشيء/ المادة، تختلف في العلوم الطبيعية، عن البنية الفنيّة للشيء - الأشياء في الفن تخضع للخبرة المعرفية للوعي- رغم أنهما يشتركان في كثير من الخصائص، من حيث طبيعتهما وعلاقتهما المتبادلة ومنبعهما المشترك،

ولذا فمن المهم أن يتعامل الوعي مع الأشياء - التي تبدو له في شكل علامات - بوصفها حاملة لمميزاتها المادية والفنية معاً. إن البحث في دور العلامة مهم جداً في هذا السياق، لأنها تستوعب جميع المميزات والخصائص والمعاني الإيجابية والسلبية لهذه الأشياء، فالعلامة اللغوية (سحابة الصيف) تتضمن مميزات وخصائص تختلف عن (سحابة الشتاء) بفعل الخصائص المادية ووظائف كل منهما، ويتم تحديد اتجاه معنى العلامة بواسطة مقصدية الخطاب. إن العلامة هي نتاج عملية ذهنية واعية لانخراط الأشياء في وعينا الإنساني، ومن ثمّة تُفسح المجال أمام الوعي ليمنح الأشياء أبعاداً معرفية جديدة غير التي هي عليها في الواقع. إن العلامة تعبير عن قدرة الوعي الإنساني على الانفتاح على العالم، إنها تُقرّب الأشياء من الوعي الإنساني، إن استعمال الأشياء يتم عبر العلامات لنقلها من طبيعتها المادية إلى طبيعتها الفنية، لأن الأشياء تحضر في الخطاب وهي محمّلة بخصائص تضيفها عليها العلامة بفعل الوعي الإنساني - وعي المبدع - ويتم تأويل هذه العلامات في الخطاب ودراستها بفعل الوعي النقدي، إننا في عالم العلامات أمام وعيين مختلفين، وعي المبدع، ووعي الناقد. إن حركة الوعي تبدو مهمة في عالم العلامات، لأنها جسر المعرفة الذي يربط بين الأشياء والوعي الإنساني، فالأشياء موجودة في ذاتها، وحاضرة في الوعي على نحو ما، غير مرئية، وتأتي العلامة فتحولها من خاصيتها غير المرئية إلى خاصية جديدة مرئية، وهنا تحدث الإشكالية، أنسيء

عليه في الوقت نفسه ؛ ومن ثمة يسهم الوعي في وجود الأفكار المتضمنة في العلامة دون امتلاكها، ومن هنا يجب أن تتجاوز فلسفة العلامة فكرة المعنى في ذاته، والمعنى لذاته؛ فإذا كانت العلامة تقوم بعدد من الوظائف في الخطاب: التعبير، والتواصل، والإحالة .. فإنها تصبح وسيطاً بين المبدع والوجود، بل هي أداة مهمة من أدوات حضور المبدع في العالم، ووسيلة من وسائل حضور العالم في الوعي الإنساني، العلاقة إشكالية بين العلامة والعالم، فإذا كانت اللغة تعبيراً عن الفكر، فإن العلامة تعبير عن وعي هذا الفكر بالعالم، إذاً، هي النافذة التي نُطلّ منها على العالم، ولعلّ المطلع على الخطاب الإشهاري يعي ذلك جيّداً.

فهم المرئي نتيجة عدم الوعي به ؟ أم نفهمة فهماً صحيحاً بالوعي والمقاصد؟. هذا ماينزل العلامة منزلتها المهمة من الفينومينولوجيا. إن الأشياء موجودة في ذاتها، وحاضرة في الوعي على نحو ما، غير مرئية ومُدركة بواسطة العقل فقط، لكن العلامة تجعلها مرئية ومُدركة بالعقل والحواس معاً؛ ومن ثمة تعد العلامة أداة اتصال بين الوعي الإنساني والأشياء.

لعل التركيز على بُعد الوعي في العلامة بالعالم/ الأشياء، يمكن أن يُحدث نُقلة نوعية في فلسفة العلامة؛ لأن هناك فرقاً بين إدراك العلامة بوصفها موضوعاً، وإدراكها بوصفها مجالاً معرفياً تتحرّك فيه أفكار الإنسان، وما دامت الأفكار ممثلة في العلامة، فإن الوعي يتعرّف عليها باعتبارها جزءاً منه وعلامة



## السيمائية والفيونولوجيا: لماذا؟!

تُعدّ السيمائية ممارسة معرفية لاستنتاج الصامت/ العلامة في الخطاب، عبر عملية القصدية، ومن المعروف أن القصدية في الفيونولوجيا تقوم بدور فاعل لإدراك المعنى؛ وذلك لأنها تمثل ركناً رئيساً من أركان البحث في العلاقة بين اللغة والدلالة، فسؤال السيمائية يجلو صمت ملفوظات الخطاب؛ وذلك بالبحث في القدرة التمثيلية للعلامة عبر آليات تشكّلها، وإعادة تأويلها في سياق إبستمولوجي يُفسح المجال أمام مفاهيم القصدية، والوعي، والإحالة، والحُدس؛ لممارسة دورها الفاعل في تشكّل المعنى، ومن المعروف أن العلامة مستقلة عن الشيء الذي تدل عليه، وتُعدّ وسيلة الوعي لفهم تشكّل المعنى في الخطاب؛ لأن استعمال الملفوظ داخل الخطاب يمر عبر تجربة وعي، وترتبط هذه التجربة ارتباطاً وثيقاً بمقصدية الخطاب؛ لذا يصعب فهم العلامة التلفظية خارج مقصدية الخطاب، فإن تفهم ملفوظاً دالاً، يعني أنك تعرف مقصدية الخطاب، وأن تعرف مقصدية الخطاب، يعني أنك تعي إشكالياته التي يطرحها؛ لأن القصدية تهتم بالبحث في العلاقة التي تربط فعل الإدراك بموضوعه، وأن تعي إشكالياته التي يطرحها، يعني أنك ستكشف عن أبعاد جديدة للامتدادات المعرفية للأشياء في الخطاب بالتأويل؛ ومن ثمة يمكننا الحديث فتح آفاق القراءة والتأويل للنصوص والخطابات المدروسة أمام السيمائية ومجالاتها الثقافية، وهذا يعني تجاوز البحث السيميائي

مأزق البنيوية حين اعتمدت على البنيات في وصفها للمعنى مأخوذة بالصياغة الشكلية للنصوص، وثنائية الشكل والمضمون، الأمر الذي جعلها غير قادرة على الإحاطة بالمكوّنات الخطابية للنصوص؛ لأنها انحسرت في الأفق المعرفي للنصوص، والأمر سيبدو مختلفاً في علاقتها بالخطاب ومجالاته، وهذا ما تسعى إليه الدراسة الحالية، محاولة تجاوز العلامة مفهوم النص إلى مجال الخطاب، وتتوسّل الدراسة بطروحات الفيونولوجيا لإخراج الدرس السيميائي من أفقه المنغلق داخل النص إلى انفتاحه على فلسفة الفيونولوجيا ومفاهيمها الأساسية المتمثلة في: الظاهرة، والوعي، والقصدية، والماهية. فالظاهرة هي الأشياء أو الحقائق القابلة للإدراك والملاحظة عبر العقل الإنساني. والوعي: هو المجال العقلي الذي يتم فيه عملية تشكّل المعنى عبر التفاعل مع الموضوعات والأحداث، أي كيفية ظهور الأشياء الخارجية والموضوعات في الوعي، ويعتمد الوعي في الفيونولوجيا على مجموعة من الأفعال، تسمى أفعال الوعي الإنساني وهي: الإدراك، والحُدس، والشعور، والتخييل، والانتباه، والاستدلال، والاستنباط والاستنتاج..

**والقصدية:** هي عملية الإحالات المتبادلة بين الوعي وموضوعات الوجود، وهو ما يمنح الوعي خصوصيته. والماهية: هي ذلك العنصر الثابت الذي يمثّل الشيء ويمنحه ملامحه الخاصة التي تميّزه من غيره.

إن إحداث النقطة في الدرس السيميائي من أفق



( ظاهرة طبيعية أو إنسانية). وتحليلية. ترمي إلى تفسير الأشياء كما تظهر للوعي مقابلاً موضوعياً، وهذا التوجه مهم جداً في دراسة العلامة في السيميائية. فسؤال السيميائية يبحث في فلسفة العلاقة بين العلامات والأشياء في المكونات الخطابية. فالعلاقة بين العلامات والأشياء، تتحلّى بقيمة برهانية وحجاجية حتى تتمكن من الإجابة بالقدر الكافي والمقنع عن قيمة الأشياء، وإبراز فاعلية العلامة في التعبير عن هذه القيمة؛ لأن وجود العلامة في الخطاب يرتبط بالعثور على معنى متعالٍ للأشياء، فدراسة العلامة تركز على تحليل ما هو موجود (الملفوظ) تحليلاً يكشف عن فاعليته في استحضار الأشياء من العالم إلى الخطاب؛ ومن ثمة تصير وصفاً نقدياً وتحليلاً إبستمولوجياً للملفوظ، ويؤدي الاختلاف بين الشيء والعلامة إلى فسح المجال أمام سلسلة غير متناهية من الاكتشافات عن الأشياء عبر أفعال الوعي التي تُعطي الملفوظ المعنى المناسب حسب خبرة الشخص المدرك، فالعلامة تمنح الأشياء قبلة الحياة بإعادة طرحها في سياق خطابي جديد بفعل القصدية؛ ومن ثمة تنتوع القيم الثقافية للأشياء نتيجة ارتحالها من سياق خطابي إلى آخر؛ لأن العلامة تكشف عن القصد اللامرئي للملفوظ، فالمعاني المختلفة للأشياء خارج الخطاب ( الشرف، والحرية، والعدل، والكرم ..) تكتسي حُلاها المتجددة باستعمالها داخل الخطاب باعتبارها علامات دالة على معنى ما، وبتطور الوعي الإنساني، يتطور معنى الملفوظ الذي يُحيل على سلسلة لا نهائية من الدلالات المصاحبة

النص إلى مجال الخطاب، يتطلب الاستعانة بالفينومينولوجيا وما تُقدّمه من مفاهيم فلسفية لها قدرتها الخاصة في الانفتاح على العالم لا سيما مفهومي: القصدية، والوعي. فعملية الإحالة القصدية للعلامة في الخطاب، تُشير ضمناً إلى موضوعات أخرى مستقلة عن الخطاب، وبمجرد استيعاب الخطاب لها، تصبح جزءاً منه، وما يمكن أن تضيفه الفينومينولوجيا للدرس السيميائي الحديث، هو أنها تمنح التأويل السيميائي أبعاداً إبستمولوجية تكشف عن قدرة الوعي الإنساني على تمثّل العلاقة بين ملفوظات الخطاب وموضوعات العالم، بما يمكن وعي السيميائي من تجاوز الطبيعة الإحالية التقليديّة للعلامة، إلى كونها تشكّلت داخل الخطاب بفعل وعي الذات الفردية بموضوعات العالم؛ ومن ثمة يمكن للدارس السيميائي إدراك الوجود في الخطاب كأفعال واعية قصدية عبر ملفوظات الخطاب، فالظواهر في الخطاب، ليست أشياء نعرفها كما هي في العالم المادي، وإنما هي أشياء تبطن في الذات المتكلمة، وتكونت داخلها بفعل الوعي والإدراك.

وما يسوّغ أهمية البحث في العلاقة بين الفينومينولوجيا والسيميائية يمكن أن يتمثّل في الإجابة عن السؤال الآتي: هل تظهر العلامة في الشيء نفسه مثل النومين؟ أم تظهر كتجلّ في الوعي العارف مثل الفينومين؟ ( النومين: الأشياء كما تبدو في ذاتها. أما الفينومين: الأشياء كما تبدو لنا) فالفينومينولوجيا فلسفة وصفية تحليلية. وصفية: ترمي إلى إظهار الأشكال والمجالات التي تتجلّى فيها الظاهرة الموصوفة

للملفوظ، ويبقى أن نعرف: كيف يمكن أن نضع نَتَفُ الأشياء في مقابل النسيج المتماسك للعلامات في عالم الخطاب؟ وكيف يمكن قراءة لاوعي المبدع عبر وعي السيميائي؟ وإذا كانت العلامات تحضر كمدرجات في الخطاب، والأشياء بتفريعاتها المختلفة تسكن عالم الوعي أو اللاوعي، فكيف تنجح العلامة المدركة في استدعاء الأشياء غير المدركة لتسكن عالم العقل أو الوعي؟. فالشاعر يؤسس للمعنى من خلال الإحالة على ما هو خارج النص عبر استعمال خاص للملفوظات، سواء أكان سابقاً عليه أم معاصراً له، ثم يتطور المعنى عبر السياق الجديد التي تمنح الأشياء معانها الجديدة.

تُمثّل العمليات المصاحبة لامتداد الخطاب الشعري المعرفية وفعالياته الإبداعية مثل: الإنتاج، والحضور، والتجليات على ساحة التاريخ والأحداث، إشكالاتاً سيميائية يُقارب مسألة المعنى، ويكشف عن الدلالة والتمثيل؛ ليسمح بعملية التأويل، التي يُعدّها أمبرتو إيكو الملمح الأساس للتطبيق السيميائي<sup>(١)</sup>. فالسيميائية، تُنظّم العلاقة بين فكر المؤلّ ومعارف الخطاب في سياق معرفي/جمالي؛ وذلك من خلال البحث في خصوصية استعمال المبدع للملفوظات، فعلى سبيل المثال عندما يرد ملفوظ ( الشرف) أو ( الحرية) في الخطاب الشعري، فإن المقاربة السيميائية تطرح عدداً من التساؤلات حول ما إذا كان مفهوم ( الشرف) مثلاً يمكن أن يكون علامة تلفظية على الانتماء للماضي، أو علامة على صوت القيم الثقافية التي تمارس فعلها في ممارسات الحاضر، أو علامة على قوة

الفكرة النسقية، أو علامة على التراجع الحضاري، أو علامة على ضغط القيم الاجتماعية على الذات الفردية، أو علامة على الإرغام فرضتها المنظومة الأخلاقية على سلوك الذات الفردية وأفعالها، ويمكننا من خلال مفهوم القصدية تحديد المعنى الذي يُحيل إليه الملفوظ، ومن هنا تأتي أهمية الاستعانة بالفينومينولوجيا في الدراسة السيميائية للخطاب، لا سيما ما يتعلّق بمفهومي: الوعي، والقصدية ودورهما في الكشف عن معنى العلامة.

والسؤال الثاني، يدور حول كيفية الدلالة على الملفوظ ( الشرف). والسؤال الثالث، يدور حول كيفية تمثيله للمعنى داخل الخطاب. والسؤال الرابع، يدور حول عملية التأويل، وهي عملية معقّدة تتطلب وعياً بالمرجعيات، وإدراكاً لواقع الخطاب وموضوعية يتحلّى بها المؤلّ.

وتنطلق هذه التساؤلات من منطلق أن كل خطاب ينطوي على ثلاثة مكونات أساسية:

- ١ - كل خطاب يتضمن عدداً من العلامات.
- ٢ - كل خطاب يتضمن قضايا تنطوي على دلالات.
- ٣ - كل خطاب يتشكّل في الوعي في ضوء علاقات داخلية وخارجية؛ ومن ثمة فهو ذو طابع إحالي.

وبناء على ذلك يمكننا افتراض أن مفهوم الوعي بفلسفة العلامة، يؤدي دوراً مهماً في تقديم معرفة سيميائية جديدة حول الخطاب؛ لأنه يبحث في:

- أ- كيفية تشكّل العلامة في الخطاب عبر الوعي.
- ب- طبيعة العلاقة بين العلامة في الخطاب، والأشياء بتنوّعاتها وتفريعاتها خارج الخطاب، ودور عملية

القصدية في التعرّف على المعنى.

ج- كيفية تفاعل الأنساق الخطابية مع الأنساق الثقافية لإنتاج المعنى، ودور مفهوم الماهية في تحديد الثابت من المتحوّل.

د- قدرة الذات الفردية في الخطاب على تجاوز الأنساق الجمعية ووعياها باللاوعي الجمعي.

هـ- الخلفيات الثقافية والمعرفية للمفاهيم في مجالاتها غير الأدبية، ودور مفهوم الظاهرة في جعلها قابلة للملاحظة والإدراك.

فالعلاقة تتوقّف على ظواهر ثقافية، وطبيعية، وإنسانية .. تسمح بتعايش ما هو داخل الخطاب مع ما هو خارج الخطاب. إن مبدأ التفاعل بين عناصر الخطاب والعالم الخارجي، كفيل بإنتاج نظام علاماتي يستوعب تداخل الأنساق والمعارف، وإعادة إنتاجها داخل الخطاب بما يضمن عدم تعارضها بناء على اتساع أفق المؤوّل.

إن عملية الدلالة، تدل العلامات على الأشياء، والأشياء « لا تشفّ عن ماهيتها ما لم يتوصّل الوعي إلى عنيها هي ذاتها، وما لم يستطع العقل استشفاف فعل عنيها بالذات، استشفاف قوام هذا الفعل بمتضائياته الذاتية - الموضوعية، أو بمتضائياته النمطية» (٢) فالعقل يدرك الأشياء انطلاقاً من مقصد السياق الذي استدعاها من محضنها الثقافي العام، إلى نظامها الخطابي الخاص/ العام، يتم إدراك الأشياء بما هي موجودة عليه خارج نطاق الوعي، فهل تُدخلها العلامات أو تكون سبباً في إدخالها الوعي؟! فالأشياء تقع خارج الذهن البشري، فالحب، والأنانية، والندم،

والشرف، والكراهية، والحرية، والعفة .. هي أشياء تقع خارج الذهن، والعلامة في الخطاب تُحيل عليها، وعملية استدعائها داخل الخطاب تُدخلها في نطاق الوعي عبر إدراكها في معنى خاص بسياق الخطاب، وهو معنى متغيّر ومتحوّل بتحوّلات طرائق استعمال المبدعين للمفوضات.

كيف يمكننا النظر إلى المفوض بوصفه علامة، والأشياء كدلائل؟ وكيف يمكن تمثّلها في الخطاب؟ العلاقة بين العلامة اللغوية، والسيمائية قديمة قدم الإنسان، فالصراخ في اللغات البدائية علامة على معنى، والطفل عندما يشعر بالجوع أو الألم، يُصدر صراخاً ( علامة لغوية) تؤوّلها الأم في سياق ما لتفهم ماذا يقصد، فالعلامة لها مقاصدها التي يحددها سياق الخطاب، وكذا العلامة اللغوية في الخطاب؛ حيث يُرسل المبدع إشارات لغوية للتعبير عن إشكالية ما للمتلقّي، وهذا ينحو بنا إلى التعامل مع السيميائية بوصفها ممارسة إبستمولوجية تنطوي على معارف متنوّعة، منها ما يتعلّق بالمرجعيات، ومنها ما يتعلّق بواقع الخطاب وسياقاته المعرفية، ومنها ما يتعلّق بتأويل العلامات داخل الخطاب ( المؤوّل) « فكل علامة في النص تقوم بالتعبير عن التعديل المتواصل لمبدأ المحاكاة فهي مهمة لقيمة النص الشعرية، وبهذا وحده يمكن اكتشاف الوحدة الكامنة وراء الصور المتعددة، وليس من الضروري تكرار العلامة المعدّلة لمبدأ المحاكاة، فيكفي أن نميزها من غيرها بوصفها صيغة لمثال أو بوصفها هيئة لأصل لا متغيّر وعلى كل حال فتمييز العلامة يأتي من لا

نحويتها»<sup>(٣)</sup>؛ ومن ثمّة فإنّ النتائج التي تترتب على هذه الممارسات هي نتائج غير تقليدية، وغير آليّة، وغير متوقّعة، وربما تكون صادمة للعقل التقليدي في بعض الأحيان؛ وذلك لأنّ المعنى في السيميائية ليس معطى مسبقاً، أي لا يمكن العثور عليه فيما وراء النص فحسب- كما هو المعنى في البنيوية والأسلوبية مثلاً- بل يُمكن الحصول على المعنى في السيميائية عبر انخراط المؤلّ في تأويل البناء الدلالي للخطاب بفضل الاستعانة بشبكة من المعارف النظرية والفلسفيّة، وأدوات نقديّة يمكن أن تُساعد المؤلّ في بناء موضوع يقع في حيّز الدلالة، ويكون هذا الموضوع قابلاً للفهم، فالمعنى في السيميائية يكون قادراً على وصف المبنى (البناء) ممّا ينزل السيميائية منزلتها النقدية من اتجاهات النقد الحديث. فالبنويّة مثلاً تعتمد على بنية النص في وصف المعنى، والأسلوبية تعتمد على دراسة أساليب النص في وصف المعنى، عكس السيميائية التي تعتمد المعنى في وصف البنية أو الأسلوب، وهذا تحوّل نوعي في دراسة المعنى في النقد الحديث؛ لأنّ السيميائية تهتم بطريقة توظيف الخطاب للدلائل، وما يُصاحب هذه العملية من آثار ثقافية وتداولية. فكلمة الشرف - على سبيل المثال- تشير لغويّاً إلى العلوّ والمكان العالي<sup>(٤)</sup> ولكنها تُستخدم بدلالات مختلفة في سياقات متنوّعة، فعلى سبيل المثال يرتبط الشرف بالدم في بيت المتنبي الذي يقول فيه:<sup>(٥)</sup>

لا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَدَى

حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

فالشرف، قيمة أخلاقية، يتم فرضها على سلوك الفرد وإرغامه على الفعل؛ وذلك بهدف المحافظة على استمرارية العالم القيمي. والسؤال الآن: لماذا ارتبط (الشرف) بالدم في الثقافة العربية؟ لعل الإجابة عن هذا السؤال تمكنا من تقديم تفسير لقدرة الخطاب على توظيف الدلائل، وهو أساس اهتمام السيميائية. من المعروف أن (الشرف) قيمة اجتماعية وأدبية، تتسم بالنسبية، وهذا ما يمنحها دلالات مختلفة بما يمنحها خاصية التعدد الدلالي، والفهم الخاص للشرف - وهو متنوّع بتنوّع الثقافات- في سياق ثقافي مغلق، أصبح يمثّل ظاهرة اجتماعية وإنسانية، مما أسهم في خلق مجالٍ دلاليٍّ يبرر ارتكاب جرائم باسم الشرف خارج الخطاب، وهو ما تنطوي عليه الدلالة في البيت السابق (القتل). أي: لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحاسدين حتى يقتل حساده وأعداءه، فإراقة دمائهم تحفظ له شرفه وهيبته، فملفوظ (الشرف) هنا يُعدّ شفرة لغوية، تؤدي وظيفة إضافية داخل الخطاب بالاعتماد على الأعراف التي لها وجود مسبق في اللاشعور الجمعي.

والتأويل السيميائي لقيمة الشرف في بيت المتنبي السابق، يستلزم توجّهنا نحو الوجدان الفردي، وخضوعه لضغط القيم الاجتماعية عليه؛ لأنه - أي الوجدان الفردي- تشكّل بفعل الأنساق الجمعية. وكذلك يستلزم التأويل السيميائي توجّهنا - في هذا السياق- إلى البحث في التجربة الأخلاقية للمجتمعات، وهي تجربة الإرغام والفرد على السلوك الفردي من خلال السلوك الجمعي، بدليل أن الفرد الذي يقوم بالفعل

مثلاً قيّدت البنية فاعلية النبوية في دراسة النص الأدبي؛ حين أغلقت النص على نفسه وعزلته عن محيطه الخارجي، وتجاهلت مكوّناته الخطابية ( أي منظومة العناصر الصورية التي يتكوّن منها الخطاب الموصوف). فإذا كانت العلامة وليدًا شرعيًا للنبوية، فمن المؤكّد تضمنها لخصائصها الجينية – بلغة علم الوراثة- وهذه الخصائص الجينية تمارس فاعليتها في السيميائية كما مارستها في النبوية من قبل، بانغلاق الدرس السيميائي على العلامة اللسانية؛ ومن ثمّة يجب أن تتجاوز العلامة في السيميائية القيود اللسانية التي تحصر المعنى فيما يُسمى بالسيموزيس، وهو ما تسعى إليه هذه الدراسة؛ إذ ترمي إلى إبراز أهمية فتح المجالات المعرفية المختلفة أمام العلامات في الخطاب؛ من أجل تقديم وصف نوعي للمعنى يمكن أن يطور الدرس النقدي في الخطاب؛ لأن السيميائية تختلف عن النبوية، فالنبوية واللسانيات تهتمان بالمنظومة النصيّة أي: بطريقة صياغة الكلمات في الجملة، أمّا السيميائية فتهم بتفكيك الدلالة بوصفها جزءًا لا يتجزأ من صياغة الخطاب، وهذا التوجّه يجعلها أكثر انفتاحًا على المجالات المعرفيّة المختلفة، ونحاول في هذا السياق الإفادة من طرح ( هوسرل) في الفينومينولوجيا. فعلى سبيل المثال، تمثّل القصديّة في فلسفة الفينومينولوجيا عند ( هوسرل) انفتاحًا على الوجود عندما تغادر مجال القصد الدلالي الصرف، إلى المجالات المعرفيّة المختلفة، فتنحصر من الأنموذج اللساني الضيق، لتُفَعّل الدلالة، وتمنحها معنى أنطولوجيا منفتحًا على العالم بفضل علاقتها

الذي تملّيه عليه تجربة الشرف – وهو فعل الثأر- قد يدفع الثمن غالبًا، وربما يتعارض هذا الفعل – الثأر- مع التعليمات السماوية التي تخيّر الإنسان بين الفعل والعفو، ثم تُفضّل فعل العفو على فعل التنفيذ، ولكن ارتباط الشرف بالدم – في بيت المتنبي- يجعلنا نقول: إن الشرف ليس سوى قناع زائف يُخفي ميل الإنسان إلى الرغبة في الانتقام والثأر!.

تبحث السيميائية إذاً في قدرة الخطاب على توظيف الدلالة، فخطاب المتنبي يفتح على التجربة العامة للشرف التي لا ترتبط بالدلالة الأخلاقية أو العلمية لمفهوم ( الشرف)، وإنما تنزع إلى الارتباط بجميع الأحوال الثقافية، أو الاجتماعية المماثلة لمضمونها في الثقافة واللاشعور الجمعي، وقد يسر لها هذا الأمر، الارتباط الدلالي مع تجارب أخرى في ظروف مغايرة بما يمنحها الدلالة النموذجية في اللاوعي الجمعي، وبما يجعلها متجاوزة لحدود الزمان والمكان.

### إشكالية المرجع في السيميائية:

يمكن لطروحات ( ريموند وليامز) في النقد الثقافي، وطروحات ( هوسرل) الفلسفية في الفينومينولوجيا، أن تسهم في إحداث تحولات نوعيّة في الدراسات السيميائية للخطاب، إذا حاول السيميائيون الإفادة منها، وربما يتمثّل هذا التحول في تجاوز السيميائية للقيود التي فرضتها اللسانيات على دراسة العلامة في الخطاب؛ لأن ارتباط العلامة باللسانيات حدّ كثيرًا من فاعلية السيميائيات في دراسة الخطاب،

بالموضوع.

يسعى هذا التوجّه إلى إعادة استقراء المرجعيّات في سياقات نقدية/ إبستمولوجية جديدة مثل: الذات المتكلّمة في عمليات التلفّظ، ومفاهيم القصديّة، والوعي، والحدس المقولي، والماهية .. وغيرها من مفاهيم النقد الحديث التيتمنح العلامة في الخطاب معاني أنطولوجية منفتحة على العالم عبر الإحالة على موضوعات الوعي خارج الخطاب. إن إحالات الخطاب على المرجعيّات لا تعني نسخها أو استنساخها، إنما تعني تأصيلها وإبراز قدرتها على التأقلم مع المتغيرات الجديدة، وكذا قدرتها على المدّ الثقافي عبر التاريخ، إنها علاقة تواصل بين المعيش والمتخيّل، وهو ما يقارب بين موضوع المرجعية في السيميائية والنقد الثقافي، فالنقد الثقافي، يتميّز بقدرته على (( الكشف عن شبكة العلاقات والقوى الفاعلة والمضمرة في النصوص والممارسات الثقافية وفي شفراتها المختلفة، لا تلك التي تتم في أثناء عملية التشفير فحسب، بل التي تتخلّق في أثناء عملية التلقّي وفك الشفرات كذلك؛ من أجل تعرّف الآثار الأخلاقية والسياسية للمنتجات الجمعية، بما في ذلك الآثار النصيّة وتقنيات المقابلات التاريخية والتحليلات الإيديولوجية والمؤسسية؛ لأن أحد مشاغل النقد الثقافي الأساسية هي الثقافة وتعرّف مكوناتها وإعادة تعريفها بعيداً عن تبسيطات الأنثروبولوجيين المُخلّة، بغية تفكيك شفراتها، والكشف عن دورها في الممارسات الاجتماعية والفكرية على السواء، وأهم من هذا كله في المنتجات الثقافية والأعمال الإبداعية

المختلفة))<sup>(٦)</sup>. ومن هنا تُعدّ طبيعة العلاقة بين الذاكرة الثقافية للمبدع، والذاكرة الخطابية للقارئ منعطفاً مهمّاً في دراسة إشكالية المرجعيّات في السيميائية، فالذاكرة الثقافية للمبدع ترمي إلى تمثيل العالم في الخطاب، والذاكرة الخطابية للقارئ تسعى إلى قراءة العالم، أو فهمه من خلال المرجعيّات وإحالاتها على المرجعيّات (( فما نطلق عليه الواقع، والمرجع، والموضوع، والشئ الموجود في العالم الخارجي ( كيانات) لا يمكنها أن تلج عالم التذليل، أي عالم النصوص وإنتاج المعنى، إلا من بوابة الإحالات الرمزية التي تقود إلى خلق تصوّرات متنوّعة يتكفّل السيموز بصياغة حدودها القصوى والدنيا، الحقيقية منها والوهمية، المباشرة منها والرمزية. فكل شيء يوجد داخل النص. فالنص بؤرة للتمثيل، وسند لمنطق الإحالات، وهو ما يمنح الكون الدلالي انسجامه وتناظره ((<sup>(٧)</sup>.

فالمبدع يُحمّل ملفوظات الخطاب بإحالات مرجعية تمنحها أبعاداً تداولية ( إنجازية - تأثيرية - تقريرية) في الخطاب تلفت انتباه المتلقي، غير أن الخطاب يستوعب الملفوظات في سياق ثقافي وحضاري خاص، يتم ضبطه باقتفاء المسار الذي استعملت فيه الملفوظات؛ حيث تتنامى داخل الخطاب، أي: آلية استعمال الخطاب لهذه الملفوظات، ثم يأتي المؤلّ محملاً بمرجعيات مختلفة محاولاً بها فهم هذا الخطاب، ويجب أخذ الحذر والحيطة في هذا المسار الذي قد يخضع فيه المؤلّ لمرجعياته الثقافية، ويغفل مرجعيّات الخطاب، فالملفوظات

شيد مذهب العلامات في السيمياء ضمن نظرية مؤسّسة على عمق فلسفي، يستمد روافده من المنطق المعياري، أما هوسرل فاعتمد على المنطق الفينومينولوجي المحض الذي شيده دون التغافل عن الوقائع والماهيات<sup>(٨)</sup> ومن المعلوم أن هوسرل اتخذ موقفاً من الفلسفة التجريبية التي تغنى أصحابها كثيراً بعلم النفس التقليدي؛ إذ نظروا إلى الإشارات والعلامات في سياق طابعها الإدراكي، ففرّق بين العلامات الإشارية (الإيمائية) والعلامات التعبيرية التي ترمي إلى التواصل، فالقول أو التعبير هو:

(( بمثابة إشارات تؤدي عند المستمع دور العلامات على أفكار من يتكلم إليه، أي على معيشتاته النفسية العينية القصدية، وكذلك على المعيشات النفسية الأخرى التي تشكّل جزءاً من قصد التواصل، أي الوظيفة الإبلاغية ومضمون الإبلاغ)).<sup>(٩)</sup> ومن ثمّة تطرح فينومينولوجيا هوسرل سؤالين جوهريين حول اشتغال العلامة: أيمن دراسة العلامة بوصفها حدثاً وقع في العالم الخارجي؟ أم يمكن تناولها بوصفها ظاهرة متبناة ذهنياً كما هيّة في الوعي؟ بمعنى آخر، هل يمكن تناول العلامة بوصفها ظاهرة خارج الوعي؟ أو باعتبارها ظاهرة كما تبدو للوعي؟ إن الإجابة عن هذين السؤالين، يمكن أن تكشف لنا عن التطور الذي أحدثته فينومينولوجيا ميرلوبونتي على فينومينولوجيا هوسرل، وهذا ما نسعى إلى إيضاحه في الصفحات التالية.

أرى أن السيميائية تعاني الآن عدة أزمات على مستوى: المفاهيم، والتأويل، والتطبيق، فضلاً عن

تحليل على أشياء معروفة سلفاً، وإذا كان المؤول يريد فهم الملفوظات، فعليه بتتبع المسارات التلطفية، فهي كفيلة بقيادته إلى فهم أبعادها الدلالية، والثقافية، والمعرفية.. إن شكل المسارات التلطفية، تحدد إلى حد كبير القيمة الموضوعية للملفوظ، وما يهمنا هنا هو التركيز على خصوصية الخطاب في تحديد مسارات هذه الملفوظات؛ لأن هذه العملية تكشف عن مقاصد الخطاب، فالخطاب عندما يوظّر مساراً معيناً للملفوظات، يفعل ذلك تحقيقاً لمقصدية معينة.

ويعود اعتمادي على الفينومينولوجيا في مراجعة التأويل السيميائي للمعنى لسببين رئيسين:

**الأول:** أن الفينومينولوجيا تهتم بالبحث في كيفية تشكّل الأشياء في الوعي، فهي لا تهتم بالبحث عن وظيفة الأشياء، بل تهتم باكتشاف حقائق الأشياء، وما هيّتها، بطرح أسئلتها الجوهرية عن الأشياء: كيف تكوّنت؟ ووم تتكوّن؟ وكيف تبدو للوعي؟ ومن المعروف أن الفينومينولوجيا أسهمت عبر كتاب هوسرل (أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترנסدنتالية) والذي نُشر عام (١٩٥٤م) في اجتياز الثقافة الأوروبية لمحنة المعنى، والاهتمام بالعلوم الطبيعية على حساب العلوم الإنسانية؛ إذ أسهمت الفينومينولوجيا في تزايد الاهتمام بالنزعة الموضوعية في تفسير المعنى، وفسح المجال أمام الوعي الإنساني لاكتشاف موضوعات العالم.

أما السبب الثاني: فيعود إلى اختلاف فلسفة العلامة عند هوسرل (١٨٥٩م - ١٩٣٨م) عنها في فلسفة تشارلز ساندرس بيرس (١٨٣٩م - ١٩١٤م) الذي

ثغرات منهجية، ربما يعود ذلك إلى اعتمادها على المنطق المعياري ذي الأحكام الصارمة، وقد تحولت هذه الثغرات دون استمرار السيميائية في التطور بوصفها اتجاهًا نقديًا يمكن أن يحدث تحولًا في الفكر النقدي لا يقل في أهميته عن التحول الذي أحدثه الشكلانيون في الفكر النقدي الحديث. وهذا ليس تشكيكًا في المنجز النقدي للسيميائيات الحديثة، ولا لأن الأفق المعرفي بدأ في الانسداد أمام النقد السيميائي، ولكن ينبغي أن نتخلى عن تصور السيميائية كفكر مستقل عن سائر المناهج الأخرى بفعل اعتمادها على المنطق المعياري، وهذا ما يبرر لنا أهمية الاعتماد على فلسفة الفينومينولوجيا؛ لفتح الأفق النقدي أمام الدرس السيميائي لممارسة فعاليته، فالملاحظ أن السيميائيين يقصون كثيرًا من الأسئلة الأساسية والحاسمة حول الخطاب المدروس، فهم على سبيل المثال يقصون أسئلة البنيوية، وهي أسئلة مهمة جدًا ولا سيما فيما يتعلق بتكوّن موضوعات الخطاب المدروس، وكذلك يقصون كثيرًا من أسئلة الأسلوبية خاصة فيما يتعلق بأسئلة الدرس الإيقاعي، ودرس الانزياح الذي يطرح تعددية المعنى، أضف إلى ذلك حصر السيميائية في مجال النص المكتوب المنكفي على نفسه. لا يكفي الدارس السيميائي أن يقتصر دوره على مراقبة نظام العلامة وتسجيلها وتحليلها بمعزل عن مفهوم الخطاب، وعمليات التلقظ، فالمقاربة السيميائية لأي خطاب عندما تتجاهل هذه الأشياء تثير كثيرًا من التساؤلات حول فاعليتها ونجاعتها في تحليل الخطاب. أضف إلى ذلك أن

انفتاح الدرس السيميائي على الفينومينولوجيا، سوف يفتح الأفق السيميائي على مقصدية العلامة في الخطاب؛ ومن ثمة الكشف عن الافتراضات المسبقة والخفية التي تحملها العلامة في الخطاب، مما يسهم في الكشف عن دورها في تحديد مسار المعنى، ويتطلب هذا الإجراء الوعي بعملية التلقظ وعلاقتها بمسار المعنى في الخطاب. إن الوعي بطبيعة الإحالة إلى المرجع، والمقصدية، والوعي بالمفاهيم الأساسية في الفينومينولوجيا، سوف يفتح الأفق أمام دراسة العلامة على عدة مجالات: مجال العلامة نفسها، ومجال الخطاب، ومجال المؤول، ومجال الثقافة التي أنتجت الخطاب واحتضنت مؤول الخطاب، وبناءً على ما سبق يمكننا القول: إن الفرق كبير بين دراسة الخطاب من الأشياء، ودراسة الأشياء من سياق الخطاب، ربما يساعدنا هذا الإجراء على مراجعة الفكر النقدي في دراسة العلامة داخل الخطاب.

والسؤال الآن: هل يُعد هذا الانفتاح المحمود مؤشراً على وجود آفاق تكاملية، واستعارات متبادلة بين هذه المعارف المختلفة؟!

رغم صعوبة التحديد إلا أن المناهّل في طبيعة هذه المعارف، يكتشف التداخل والتفاعل بينها، وأنها يمكن تنظيمها في قرن معرفي مشترك.

### من الحدث الثقافي إلى الحدث الأدبي:

يُعدّ التراث الثقافي والديني رافداً مهماً في تحديد مسارات ملفوظات الخطاب الإبداعي، فالتراث هو موضوع محرّك لوعينا وفهمنا، وكما يقول جادامير



تُشبه هذه العملية - إلى حدٍ كبيرٍ - عملية الولادة عند الإنسان، فالمعنى الجديد يمكن تشبيهه بالجنين الذي يحمل خصائص الأبوين الوراثية، وكما يكون الأب أداة التعريف للمولود الجديد، يمثّل المعنى التراثي أداة التعريف للمعنى الجديد، فعن طريقه يكتسب المعنى الجديد دلالاته، ويكتسب المعنى القديم قيمته من خلال هذه العلاقة الخاصة، ويكون الخطاب بمثابة الأم التي تحتضن جنينها الذي يحمل الخصائص الوراثية للأب والأم معاً، وكما تشير عملية المخاض إلى ميلاد طفل جديد، تشير عملية الإبداع إلى ميلاد معنى جديد، ويُشير هذا المعنى إلى أن تحوُّلاً ما قد طرأ على المعنى القديم؛ لأن العبارات أصبحت تخضع لقواعد جديدة في السياق الجديد، وهذا لا يعني أن سائر المعاني والمفاهيم التراثية قد اختفت، ولكنها تحولت وتبدّلت كي تلائم السياق الجديد، ويكون الشاعر شاهداً على تشكيلاتها المتغيرة. إن أفق الحاضر (( في حالة تشكّل مستمرة؛ لأننا نختبر أحكامنا المسبقة باستمرار. والجانب المهم من عملية الاختبار هذه يتجسّد في مواجهتنا المستمرة للماضي، وفي فهم التراث الذي ننحدر منه. فليست هناك آفاق منفصلة للحاضر في ذاته أكثر مما هناك من آفاق تاريخية يجب اكتسابها. والفهم هو - دائماً- انصهار تلك الآفاق التي يُفترض أنها موجودة بذاتها، ونحن متألفون مع قوة هذا النوع من الانصهار من الآفاق المبكرة على نحو رئيس. إن عملية الانصهار هذه تكون، في تراث ما، عملية مطردة باستمرار، فيتحد القديم والجديد - دائماً- في شيء ذي قيمة

(( توقّع المعنى الذي يحكم فهمنا لنص ما ليس فعلاً ذاتياً، إنما هو فعل ينبثق مما يربطنا بالتراث. فالتراث ليس مجرد شرط مسبق ثابت، وإنما نحن بالأحرى نتيجة بقدر ما نفهم نشارك في تطوره؛ ثم نحدده نحن)).<sup>(١٠)</sup> ولعل المتأمل في ما تطرحه هذه الروافد من أفكار؛ يكتشف أبعاد العلاقات التي تربط بين هذه الخطابات بمساراتها التلفظية في شكل (( علامات لسانية )) ليعادل بها الشعراء مواقفهم من الحياة وأحداثها من حولهم، ولن تتوقف المقاربة السيميائية عند ملاحظة هذه الروافد أو رصدها فحسب، بل سوف يمتد إلى وصفها، وتحليلها، وتحديد قوامها؛ لأن انبثاق المعاني الخطابية الجديدة من المعاني التراثية، يتم عن طريق آلية معقّدة تؤدي فيها الذات المتكلمة، ومقاصد الخطاب، ووعي الشاعر دوراً كبيراً في إنتاج المعنى الجديد وتوسيع دلالاته. وهذا يتطلب منا البحث في أصول المعنى، بالإضافة إلى البحث في العلاقات المختلفة التي أسهمت التي أسهمت في تشكّل المعنى الجديد؛ وذلك لأن المبدع يبحث دائماً عن القواعد التي تسمح بأن يكون (( لأيّ تغيير يصيب الخطابات الأخرى، أثره الواضح على خطاب آخر، ما يجعله ينشئ موضوعاً جديداً، ويخرج إلى الوجود استراتيجية جديدة تفسح المجال لعبارات ومفاهيم جديدة، فالتشكيكة الخطابية، لا تؤدي إذًا، دوراً سلبيّاً يوقف الزمان ويجمده لعشرات أو مئات السنين، بل تحدد انتظاماً خاصاً بتطورات زمانية، إنها تطرح مبدأً تفصل الأحداث الخطابية بمجموعة أخرى من الأحداث والتقلّبات والتطوّرات))<sup>(١١)</sup>

حيّة، من دون أن يُمنح أحدهما الصدارة من الآخر (صراحة))<sup>(١٢)</sup> يتعيّن علينا إذاً، فهم الوظيفة الأساسية للثقافة؛ حتى نفهم تبلور الظاهرة الثقافية إزاء مشكل الخطاب ونظامه الإشاري المعقّد، فالثقافة تحافظ على ديمومتها وصيرورتها من خلال تسلسلها داخل الخطاب؛ حيث تتسلل إليه في صيغ وأشكال متعددة؛ ليتم تداولها بشكل ما، سواء أكان المبدع على وعي بهذه الحيل أم على غير وعي بها، والمعنى المؤسس في الثقافة هو فعل معرفي في جوهره، والذاكرة الجمعية لا تصبح واقعاً معرفياً، إلا عندما تصبح قادرة على إنتاج الأنساق الثقافية التي تتضمن المعرفة؛ ومن ثمة تنشأ هيمنة المعنى النسقي وسيطرته على عقل الفرد بعملية تداول لسانية داخل الخطاب، وعندما تختلط الأنساق الثقافية بالخطابات، فإن الغموض يسيطر عليها؛ ليتعاضد دور النقد في التفكيك، والتحليل، والتأويل، واستنباط رؤى فكرية تُسهم في تقدّم الفكر وارتقائه.

يؤكد شالرز بيرس أن (( البيت، والحدث، والبنية، والحركة، والصرخة، والصمت كل شيء يمكن أن يكون علامة، أو أن يصبح علامة، بشرط أن يُحيل إلى شيء آخر. ولكن هذا ليس ممكناً إلا إذا كان من الممكن أن تنشأ علاقة ما بين ما هو حاضر (العلامة) وما هو غائب (مرجعها). وتُعدّ هذه العلاقة علاقة تشابه بشكل أساس؛ وذلك لأنه يجب أن تمتلك العلامة ومرجعها المحتمل شيئاً مشتركاً)).<sup>(١٣)</sup>

إن استدعاء الرافد الديني المتعالي (الأشياء)

في الخطاب الشعري العربي، يُشير إلى بُعد تداولي خاص لهذه الخطاب؛ لما لهذا الرافد من أثر في نفس المتلقي العربي على مرّ التاريخ، واشتراك الخطاب مع هذا الرافد في المعنى، يمنح هذه الخطاب معنى متعالياً أيضاً، وكلما أمعن قارئ الخطاب النظر في قراءتها؛ استشرف المعاني المتعالية لهذا الخطاب، وربما يكون هذا هو الهدف الأساس الذي يسعى إليه المبدع من خلال ارتباط خطابه بروافد ثقافية ودينية متنوّعة، فتعمّد الفرزدق إقامة التماثل بين شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي في خطابه الشعري اللاحق، وشخصية (يام) ابن نوح - عليه السلام- في المرجع القرآني المتداول، يؤكد إصرار الفرزدق على تداول شخصية (الحجاج) مقترنة بشخصية (يام) الذي رفض النصيحة من أبيه، وهذا الربط بين الشخصيتين في الخطاب الشعري، عمل قصدي يُغري صاحب المقاربة السيميائية؛ لارتباطه بالمرجع ذي الدلالة المتعالية؛ مما يجعلنا نفهم الغنى المعرفي القائم في إمكانات التداول العلاماتي واستراتيجياته.

يقول الفرزدق: <sup>(١٤)</sup>

- ١ - عَجِبْتُ إِلَى الْحَجَّاجِ أَيُّ إِمَارَةٍ  
أَرَادَ لِأَن يَزِدَادَهَا أَوْ دَرَاهِمِ
- ٢ - وَكَانَ عَلَيَّ مَا بَيْنَ عَمَّانَ وَاقِفًا  
إِلَى الصَّيْنِ قَدْ أَلْقُوا لَهُ بِالْخَزَائِمِ
- ٣ - فَلَمَّا عَتَا الْحَجَّاجِ حِينَ طَعَنِي بِهِ  
غَنِيَّ قَالَ: إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلَالِمِ
- ٤ - فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَارَتْقِي  
إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشِيَةِ الْمَاءِ عَاصِمِ

٥ - رَمَى اللهُ فِي جُثْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى

عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ

٦ - جُنُودًا تَسُوقُ الْفِيلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ

هَبَاءً كَانُوا مُطْرَخِمِيًّا لَطْرَاحِمِ

يستدعي التأويل السيميائي لهذه الأبيات مفهوم ( القصدية) عند ( هوسرل) لا سيما في توجهات هذا المفهوم الإجرائية نحو الكشف عن أهمية ارتباط الملفوظ بشيئه: أي المعنى، فالملفوظ يمثل العلامة اللغوية، والشئ يُخَبِّئُ الدلالة، والسياق يكشفها، وانجذاب الملفوظ لشئيئه أمر بديهي في مفهوم القصدية؛ لأن الملفوظ بدون شئيئه يصير بلا معنى

( دلالة)، فوعي الفرزدق، تمثل في حركة الخروج إلى مجال التراث الديني ( الشئ)، وهي حركة قصدية أثمرت عن معنى نوعي جديد لملفوظات الخطاب عند الفرزدق، وتتمثل القصدية هنا في ملفوظات: ( الحجاج، ابن نوح، جبل من خشية الماء، القبلة البيضاء، تسوق الفيل) وما تحيل عليه من دلالات دينية وردت في النص القرآني، تمنح خطاب الفرزدق معنى متعالياً.

إن قصة سيدنا نوح عليه السلام، وقصة أصحاب الفيل، علامتان فارقتان في تحديد مسارات الملفوظات في خطاب الفرزدق؛ لأن استدعاء الفرزدق للآيات الكريمة التي يقول فيها المولي عز وجل: (١٥)

﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي

مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ

وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٦﴾

هو الذي جعله يحدد مسار المعنى في الأبيات من ( ١ : ٤)، فحركة الخروج إلى التراث القرآني أضفت على المعنى ملفوظات الخطاب قيمة فنية جديدة بإعادة إنتاج الشخصية ( شخصية الحجاج) عبر التفاعل النشط مع المعنى في الآيات القرآنية؛ لأن معنى ( الطغيان) هو القاسم المشترك بين الشخصيتين، ودور الملفوظ، يتحدد في الإشارات التي تعبر عن الإحالات « ابن نوح - سأرتقي - جبل - الماء - عاصم »، فالفرزدق مشغول بإنتاج المعنى بتبني بعض الفروض بين العلامات والأشياء في محاولة لمنح العلامات قيمة فنية خاصة. كما نلاحظ اتفاقاً بين قول المولي عز وجل (١٦)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿١٧﴾

وقول الفرزدق :

رَمَى اللهُ فِي جُثْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى

عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ

جُنُودًا تَسُوقُ الْفِيلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ

هَبَاءً وَكَانُوا مُطْرَخِمِيًّا لَطْرَاحِمِ

تُحِيلُ عِبَارَتِي ( عن القبلة البيضاء ذات المحارم)

و ( جنوداً تسوق الفيل ..) على قول المولى عز

وجل في الآيات السابقة؛ ومن ثمة تتسم هاتان

العبارتان بخاصية المواضعة الإشارية - حسب

تعبير أوستن- حيث تقرن هاتان العبارتان المعنى

في خطاب الفرزدق الشعري بوقائع محددة المكان والزمان في النص القرآني؛ وعلى هذا يصبح من السهل التعرف على مقاصد الخطاب، وكذا يُصبح المتلقي قادرًا أيضًا على تحديد المواضع بين الكلمات في الخطاب والأشياء خارجه، أي تحديد معنى الملفوظات من خلال نظامها الإشاري الذي يُحيل على هذه المواضع.

ويمكننا النظر إلى هذين البيتين باعتبارهما علامة تبليغية - حسب تعبير أوستن أيضًا- وهو العمل الذي يمنح من خلاله المتكلم معنى ما محددًا لمفوضاته، ويكتمل المعنى في هذا السياق عبر الإحالة على الآيات في النص القرآني، فالعبارتان ( القبله البيضاء) و ( جنودًا تسوق الفيل) يمكن أن يقع اللبس في فهمها بحكم المواضع الوصفية في اللغة العربية، ولكن المتكلم يحدد مسار المعنى التبليغي عبر مقصدية الخطاب، ويمكن الكشف عنها من خلال الإحالة على المعنى القرآني، والتداخل هنا بين خطاب الفرزدق الشعري والنص القرآني، تداخل قصدي لإحداث علاقة ما بين الملفوظات والأشياء، أو بين تجربة معاصرة وتجربة سابقة؛ بهدف تمرير معنى ما هو مقصود بالضرورة في هذا السياق؛ وهذا التداخل قائم على أساس تمثيلي، أي إقامة علاقة تماثل بين شخصية الحجاج بطغيانها، وشخصية ( أبرهة الحبشي) حين أراد هدم بيت الله الحرام؛ فكانت نهايته المأسوية المعروفة. فالمنتبع لمسارات المعنى في الخطاب الشعري، يدرك حرص الفرزدق على إقامة علاقة تماثل بين شخصيات تراثية معقدة

لها بُعدها الثقافي الخاص في وعي المتلقي، وبين شخصيات حاضرة مركبة؛ لمنح الحدث ( ممارسات الحجاج) قيمة أدبية سواء أكانت سلبية أم إيجابية في الخطاب، وما آل إليه، والتنبيه على خطورة الوضع الجديد، وما سيؤول إليه لاحقًا.

والعلاقة بين الشخصية الحاضرة والشخصية الرمزية لا تأخذ بُعدًا واحدًا، بل تبدو متعددة الأبعاد الجوهرية والمستويات الشكلية، ويتم بلوغ المعنى صحيحاً للقارئ عن طريق وعيه بأبعاد العلاقة بين شخصيات الحضور بوصفها علامات وشخصيات الغياب وما تتطوي عليه من أبعاد رمزية؛ لأن المعنى - هنا - يرتبط بما وراء اللغة، أو فيما يتعلق بشفراتها ورموزها، وعلى هذا، فإن المتلقي سيكون فاعلاً إيجابياً لحظة بلوغه المعنى، ويصبح عنصراً فاعلاً في العملية الإبداعية.

إن طرائق تعبير الشاعر عن الأفكار، تظهر في الوجود عبر العلامات اللغوية داخل الخطاب، وتُحيل هذه العلامات على ثقافات ومعارف شتى، ينبغي للمتلقي أو المؤول الوعي بها؛ لأن عدم الوعي بها؛ يُحيلها إلى ركام لغوي صامت، والشاعر حين يضعها في إطارها الخطابي الجديد، فإن الخطاب يكسبها شعريتها الجديدة، وقابليتها للتداول تمنحها أبعاداً تداولية خاصة. فالعلامات اللغوية في الأبيات السابقة، تُحيل على أفكار متداولة في النص القرآني، وتداولها في الخطاب الشعري؛ أضفى عليها صفات دينية ذي مصداقية لدي المتلقي، وانتقالها من السياق الديني - في القرآن الكريم- إلى السياق الخطابي

فرغم أن الفرزدق يتناول موضوع الظلم من من عدة زوايا ( ظلم الحجاج، وظلم أبرهه الحبشي) إلا أننا ندرك في النهاية أن الظلم يتم إدراكه من منظورات مختلفة، فاختلاف المنظورات لا يؤدي إلى اختلاف الشيء المدرك، ولكن يشير إلى الوعي بهوية هذا الشيء المدرك من عدة منظورات. يتضمن هذا الإدراك الحسي الوعي بحضور الشيء ودوامه واستمراريته، وهي أشياء لا يأتي بها الشاعر من تلقائياته، لكنها متضمنة في إدراكه للأشياء.

(( فالأشياء لا تتشف لنا عن ماهيتها ما لم يتوصل الوعي إلى عنيها هي ذاتها، وما لم يستطع العقل استشفاف فعل عنيها بالذات، استشفاف قوام هذا الفعل بمتضائياته الذاتية والموضوعية، وبمتضائياته النمطية))<sup>(١٧)</sup> فوعي القارئ يدرك الأشياء انطلاقاً من قصد السياق الذي استدعاها من محضنها الثقافي العام عبر خيال المبدع، إلى نظامها الخطابي الخاص. يدرك الوعي الأشياء إدراكاً أنطولوجياً، أي: بما هي موجودة خارج نطاق الوعي. أفتدخلها العلامة، أم تكون سبباً في إدخالها الوعي؟! ومن ثمة تمثل العلامة رابطاً ذهنياً – بمفهوم علم النفس- لهذا الشيء في الوعي! فالأشياء مثل: الحب، والأنانية، والندم، والشرف، والكراهية.. تقع خارج الخطاب، وتدخل حيز الخطاب عبر العلامة عن طريق الإحالة عليها، وعملية استدعائها داخل الخطاب تُدخلها في نطاق الوعي – ووعي المبدع- بفاعليتها في الحياة عبر إدراكها في معنى خاص بسياق الخطاب، وهو معنى متغيّر ومتحوّل، ليس ثابتاً في جميع الخطابات،

بناء على وضعها الاجتماعي، منحها الحق في عدم تجريدنا لبعدها الديني في السياق الشعري، وأضفى عليها السياق الشعري بُعداً فنياً ما؛ ومن ثمة يمكن القول: إن التراكم المعرفي الذي يكمن خلف العلامات، هو الذي يمنحها قيمتها الخاصة في الخطاب الشعري، ووعي الشاعر بأهميّة الخلفية المعرفيّة التي تكمن خلف العلامات، هو الذي سوّغ له إعادة استخدامها وتداولها داخل الخطاب الشعري الخاص. مع الوضع في الاعتبار أنه بوسع أي شاعر آخر الاعتماد على نفس الموروث الثقافي دون أن يكون موفقاً على مستوى العبارة، أي على مستوى الصياغة الشعرية، فالموضوعات الثقافية لا تمنح بالضرورة قيمة فنيّة عند جميع من يقولون الشعر. وعلى هذا لا يمكننا الاستغناء عن دراسة البني الأسلوبية واللسانية وعلاقتها بنظام الخطاب، في تحديد القيمة الشعرية لأي قصيدة من القصائد.

إن ووعي الفرزدق بخطورة الظلم والبطش على الأفراد والمجتمعات، كان سبباً في إعادة إنتاجه ضمن خطابه الشعري؛ ومن ثمة الإسهام في مقاومته ومحاربه بالخطاب، وقد تحقق له ذلك بفضل اعتماده على عدد من العلامات اللغوية التي تحمل دلالات سلبية لهذا الظلم ( فلما عتا الحجاج، طغى به غنى، ابن نوح، جبل من خشية الماء عاصم، رمى الله في جثمانه، القبلة البيضاء، المحارم، جنوداً تسوق الفيل) ولعل المتأمل في طبيعة هذه العلامات يكتشف أن إدراكها يتطلّب فهماً خاصاً لها، ومدى ارتباطها بموضوع الظلم الذي يتحدث عنه خطاب الفرزدق،

فالخطاب قد يحوّل المعنى السلبي - إنسانياً- إلى معنى إيجابي واقعياً عبر المقصدية كقول عمرو بن كلثوم: (١٨)

بُغَاة ظَالِمِينَا وَمَا ظَلَمْنَا

وَلَكِنَّا سَنَبِدَا ظَالِمِينَا

وَنَشْرَبُ إِن وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا

وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كِدْرًا وَطِينَا

إِذَا بَلَغَ الْفُطَامُ لَنَا صَبِيًّا

تَخَرَّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

هذه الأبيات قيلت في سياق ثقافي يتخذ من الفخر منطلقاً للذات في تعاملها مع الآخر، وهو فخر قبلي يرتبط بمعاني الاستعلاء والقوة التي تُعدّ مفخرة في ثقافة الشاعر؛ ومن ثمة يحدد الظلم والبطش مسارات معاني القوة في هذا الخطاب؛ إذ تتأسس معاني القوة على ذات مستبدة تنفي الآخر لتحقيق وجودها. والقوة - ها هنا - ترتبط بالظلم؛ لأنها علامة سيميائية دالة عليه في هذا الخطاب. وبعد مدة زمنية حدث التحوّل الجوهري في الثقافة العربية بمجيء الإسلام الذي حرّم الظلم، واهتم بحقوق الآخر، وسوى بين البشر في الحقوق والواجبات، فأحدث أزمة ثقافية في الفكر العربي القديم في تعامله مع مرجعيته السابقة على الإسلام، لدرجة يمكن القول: إن أزمة الإنسان العربي القديم بعد مجيء الإسلام كانت تكمن في تقييمه لذاته وللآخرين، وفي تقييمه الخاطي لمفاهيم القوة، والضعف، والآخر، وغيرها من المفاهيم الإنسانية التي يتغيّر معناها بالتحولات الحضارية التي تشهدها المجتمعات.

ترتبط القوة بالظلم في الأبيات بوصفها مصدراً من مصادر فخر الذات الجاهلية المتضخمة، يمكن لهذه القوة أن تمثل عائقاً أمام الذات في تطورها على المستوى الحضاري، لا سيما إذا ما تم تقييمها في سياق إسلامي مغاير، يجعل من الاهتمام بقيمة الإنسان موضوعاً أساسياً لخلخلة النظام الجاهلي، وتصبح علامة على التطرف والاستبداد، عندما تُقرأ في سياق إنساني وحضاري، وتشير إلى الضعف عندما تُقرأ في سياق سيكولوجي، حيث الذات القوية هي التي تستوعب الآخر، ونفي الآخر يشير دائماً إلى ذات ضعيفة لا يتحقق وجودها في ظل وجود ذوات أخرى مماثلة.

أهدف من وراء طرح هذا النموذج، إيضاح فكرة أنه من الخطأ حصر المعنى داخل أفق محدد، وهو - أي المعنى - ينتمي إلى سياقات ثقافية، ودينية، وسياسية، وأدبية، واجتماعية. فتنوع المنطلقات، واختلاف الأساليب وتعدد المستويات في عملية التأويل السيميائي وارتباطه بمقصدية الخطاب، لا تسمح بأحادية المعنى، وإنما تسمح بتنوع المعنى وتعددته، فالثقافة الجاهلية - وهي السياق الذي قيلت فيه الأبيات - كانت تجمع بين معاني الظلم والقوة في قرن دلالي مشترك، وتحول المعنى في إطار الثقافة الإسلامية، إذ تجمع بين معاني الظلم والحرام في قرن دلالي مشترك، والثقافة الحديثة تجمع هي أيضاً بين معاني الظلم والاستبداد والتطرف في قرن دلالي مشترك، هذا يشير إلى أن ارتباط المعنى داخل سياق النص، لا يعني بالضرورة أن هذا المعنى يظل ثابتاً،

ولكنه يتغير بتغير الثقافة التي يُقرأ في إطارها. ويمكننا في هذا السياق الاستفادة من الفينومينولوجيا الوصفية عند (هوسرل) وتطوّراتها عند (ميرلوبونتي) لا سيما فيما يتعلّق بفاعلية مفاهيمها في قراءة الظواهر في الخطاب مثل: مفهوم القصدية، ومفهوم العيان المقولي أو الحدس المقولي. والوعي بالتطوّر الذي أحدثه (ميرلوبونتي) مهم جدًّا في هذا السياق، فإذا كانت فينومينولوجيا (هوسرل) تمثّل تأسيساً لفلسفة الفينومينولوجيا، فإن فينومينولوجيا (ميرلوبونتي) تمثّل تطوّرًا لها، فهي إلى جانب أنها تقدّم كشفًا ووصفًا لماهيات الظواهر، لا تردّد هذه الماهيات إلى الوعي - كما هي عند هوسرل - لكن تردّها إلى الواقع، فماهيات الأشياء والموضوعات عند (ميرلوبونتي) مردّها إلى الواقع، بوصفها موجودة في الواقع/العالم قبل الوعي بها، وأن ماهيات الأشياء والموضوعات لا تمثّل غاية في فلسفته، بل هي وسيلة للانخراط في العالم وفهمه، وهذا التحوّل يبدو مهمًّا في تحوّل الدرس السيميائي من التأويل المحض، إلى اعتبار الوجود جزءًا لا يتجزأ من عملية دراسة العلامة وعلاقتها بالأشياء. وتأتي أهمية الاستفادة من الفينومينولوجيا في هذا السياق؛ لأنها تقترح طرائق مهمة للكشف عن تلازم فعل القول، وشيئه (المعنى).

### القصدية:

تُعد القصدية أحد أهم أفعال الوعي الإنساني في توجّهاته نحو العالم وموضوعاته؛ ومن ثمّة تُعد أداة اتصال بين الوعي والعالم الخارجي، وفي هذا إشارة إلى أن موضوعات العالم الخارجي، ليست منفصلة،

أو مستقلّة عن الوعي الإنساني، فالعالم وموضوعاته هو كما يبدو للوعي الإنساني من خلال القصدية (فالقصدية هي التي تميّز الوعي، وتسمح لنا بوصف تيار الخبرة بوصفه تيارًا للوعي). (١٩)

وتعني فلسفيًا الوعي بالأشياء، أي توجّه الوعي إلى موضوعه، بعلاقة تأسيسية مع الموضوعات والأحداث الخارجية التي تُثير ردود أفعال في الوعي الإنساني؛ ومن ثمّة يمكن عدّ الوعي والموضوع شيئًا واحدًا، فهي نشاط عقلي يسعى إلى تجاوز الوعي نحو التعاليوالتحرّر والانفتاح على كل ما هو خارجي، فالأشياء لا يمكن أن تبقى خارج القصد الدلالي، والقصد الدلالي للأشياء يتم الإحالة عليه بالعلامات، ومن المعروف أن مفهوم الإحالة من المفاهيم المؤسسة في فلسفة هوسرل لا سيما في العلاقة القائمة بين القطبين المتقابلين للحدس والعدد من حيث هو علامة أو دال. فالقصد يعني النزوع والتوجّه نحو شيء معين عبر علامات تمثيلية تقوم مقام الأشياء، والقصد - معرفيًا - يعني الاهتمام، والتوتر، الإحالة، والتوجه، نحو مضمون يتم استدعاؤه عبر العلامات عن طريق الإحالة على هذه المضامين، يقول هوسرل: (كلمة القصدية لا تدل على شيء آخر غير الخاصية الأساسية والعامّة التي يختص بها الشعور بأن يكون بشيء ما وأن يحمل في ذاته هو بوصفه أنا أفكر، موضوعه المفكر فيه) (٢٠)

ويعرفها أنطون خوري بأنها (كل فعل معيش يتوجّه إلى شيء فإذا بالإدراك إدراك لشيء، والتمثيل تمثيل لشيء، والتذكّر تذكّر لشيء ... وإذا كان الإدراك

دائماً إدراكاً لشيء؛ فلنلاحظ أن هذا الشيء ليس بالضرورة شيئاً مادياً بوسعنا الإشارة بالإصبع إليه. فهذا الشيء قد يكون موضوعاً معنوياً ذا نحو كينوني يختلف عن كينونة الأشياء المادية. من هنا استطاعتي مثلاً أن أدرك، عند الآخرين، الحب والكره، الشغف والنفور ... بذلك فإن التأمل في فعل الإدراك، يُعرب لنا عن طابعه القسدي، أو عن كونه توجّهاً لشيء، بصفته طابعاً مبيّناً في بنية الفعل). (٢١)

إن فكرة القصدية من الأفكار التي أحدثت تحوّلاً في الفكر الفلسفي من الأنوي أو الذاتي – أي أن شعورنا هو إدراك لذواتنا وأفكارنا الداخلية حول الواقع الخارجي- إلى المقصدي الخارجي، أي شعورنا بقصد الأشياء، وانتقلت هذه الفكرة بالعقل من أسلوب الانغلاق على الذات إلى الانفتاح على العالم الخارجي. (٢٢) فالقصدية عند ( هوسرل) تعني الانفتاح، أي الانفتاح على ما هو آخر وخارجي، ومن ثمة تتجاوز ثنائية الذات والموضوع وتسبح في دائرة اللامفكر فيه.

وبناءً على هذا فإن الفينومينولوجيا، ترمي – في فلسفتها- إلى الكشف عن أهمية تلازم الفعل القولي وشيئيه المعني، وأن هذا الفعل القولي يقصد هذا الشيء، ويمكن للسيمائية الإفادة من مفهوم القصدية عند ( هوسرل) لا سيما فيما يتعلّق بتوجهاتها نحو الكشف عن أهمية ارتباط الفعل بشيئيه المعني، فالفعل القولي هو العلامة التلظيية في الخطاب، والشيء هو الدلالة خارج الخطاب. كذلك توجهاتها نحو قراءة كيفية انجذاب الفعل القولي لشيئيه المعني؛ لأن الفعل

بدون شيئيه المعني يصبح بلا معنى، وكذلك العلامة بدون دلالتها تصير لغزاً مبهماً. فوعي الفرزدق – وهو من الظواهر التي تهتم بها الفينومينولوجيا- في الأبيات السابقة مهّد له عملية التذكّر. يقول هوسرل: ( من المحال أن يوجد التذكر مجرداً عن القصديات الموصلة إياه إلى قصديات أخرى، إذًا، فالتذكّر هو منطوق على هذه القصديات). (٢٣) وعملية التذكّر – وهي فعل من أفعال الوعي- سهّلت للفرزدق في أبياته السابقة حركة الخروج إلى مجال التراث الديني، وهي حركة قصدية أثمرت عن معنى نوعي جديد طرحه الخطاب من خلال عملية قصدية. ويعدّ ( هوسرل) الوعي هو مصدر المعنى، ويجب الانتباه إلى أن فكرة الوعي عند ( هوسرل) يقصد بها الوعي الفردي، وليس الوعي الجمعي؛ لأن الذات بفرديتها، ووعيتها بهذه الفردية، يمكن أن تتوصّل إلى المعنى. (٢٤) ولا يمكننا تجاهل النقد الذي وجهه (ميرلوبونتي) للقصدية الهوسرلية، وهو نقد مفيد جداً في توجهنا الحالي نحو البحث في كيفية تشكّل العلامة بالبحث في طبيعة العلاقات بين العلامات والأشياء، فنقد ( ميرلوبونتي) لقصدية ( هوسرل) ينطلق من فكرة ( الوجود الواقعي للظواهر قبل الاتصال بها، على عكس قصدية هوسرل التي تُحيل العالم وظواهره إلى الوعي، وتجعل منه وجوداً مثاليًا، فيكون الوعي فعلاً معرفياً ينجزه الأنا المتعال). (٢٥) إن الانتباه إلى أهمية الفرق بين قصدية ( هوسرل) و ( ميرلوبونتي) يبدو مهماً في مجال الدراسات السيميائية، فالموضوعات/ الأشياء التصورية



هذه الوردية، هذه الأشياء الكثيرة نحن رأيناها بالفعل؛ ومن ثمة تدخل حيز وعينا وإدراكنا، ولهذا فإننا نكون على علم بأشياء كثيرة أخرى تتسم بنفس اللون؛ لأنه أصبح لدينا حدساً مقولياً يمكننا إدراك الأشياء من خلاله عبر الوعي الفردي. فإدراك اللون الأحمر للوردية هو جزء، أما إدراك الوردية فهو الكل، لأننا نعي وجود ألوان أخرى للوردية، كما أن اللون الأحمر ليس داخلاً في ماهية الوردية، وإدراكنا للوردية هنا لا يجعلنا نميز بين الجزء والكل، ولكن ندركها في كليتها وعمومها. فهناك معان كثيرة يمكن أن تُدرك في الوردية بألوانها المختلفة؛ لأن الكلمات تفتح بفعل السياق على مجالات دلالية خاصة، ويسمح تشعبها الداخلي في السياق باستدعاء الفكر والإشارة إليه نحو الداخل، المعنى المرتبط بالسياق، ونحو الخارج، المعنى المرتبط بمجالات أخرى خارج الخطاب، فلون الوردية الأحمر يمكن أن يُدرك في سياق فصل الربيع وبعث الحياة فيالأرض، ويمكن أن يمتد إلى ما هو خارج الخطاب ليشير إلى معنى الحب. وكذا اللون الأصفر للوردية، يمكن أن يُدرك داخل الخطاب في سياق فصل الربيع، وخارج الخطاب ليشير إلى معنى الغيرة.. فالمقول الخطابى يستدعي تجارب إنسانية سابقة على الخطاب، وهذا الاستدعاء يجعل اللغة تتكلم، وتغدو متحركة داخل الخطاب حركة ووعي القارئ وإدراكه، فعمل اللغة داخل الخطاب، يرتبط بحركة الوعي والإدراك، فالتجربة السابقة على الخطاب، تمحي بواسطة الملفوظات، ولكن يتم استدعاؤها داخل الخطاب بواسطة التمثيل

هي موجودة في العالم من قبل في فينومينولوجيا ( ميرلوبونتي) وهذه نقطة مهمة يمكن الاستفادة منها في الدراسات السيميائية، فالأشياء والموضوعات لا توجد في الوعي، وإنما هي بالأساس موجودة في العالم، والشاعر يُحيل عليها وعيه بها، وقدرته على الربط بين هذه الأشياء الموجودة في العالم والموضوع الذي يُعبر عنه بالملفوظات ( إن وظيفة القصيدة تتعدى التأسيس المعرفي للأفكار والتصوّرات إلى العودة للأرضية التي يتأسس عليها هذا التأسيس الذاتى، ألا وهو الوجود الواقعي للظواهر ... هذا الوجود الذي تجاهلته قصيدة هوسرل؛ إذ يصبح الهدف الذي تسعى إليه القصيدة الجديدة هو ربط الأفعال المعرفية للوعي مع أصولها الوجودية). (٢٦) فالتطور الذي طرأ على مفهوم القصيدة عند ( ميرلوبونتي) من قصيدة الفعل إلى القصيدة الفاعلة، يمكن أن يفتح الأفق أمام الدراسات السيميائية لتجاوز مازق منطق التأويل المحض الذي يؤدي ووعي المؤول فيه دوراً مهماً في فهم المعنى، إلى الانفتاح على الوجود، ليدخل طرفاً في عملية الفهم السيميائي للأشياء.

**العيان المقولي، أو الحدس المقولي:** وهو بحسب استعمال هوسرل، القدرة على إدراك الأشياء في المحسوسات، والتمييز المقولي، هو الذي يجعلنا نميز بين الشيء وأنواعه. والحدس المقولي هو التجربة السابقة على المقول في الخطاب. فالحدس يُدرك كلياً، ثم تتم صياغته في صورة مقولات في الخطاب، عندما نرى وردة حمراء مثلاً، فإننا على يقين بأن اللون الأحمر يدل على أشياء كثيرة غير

الملفوظي، ويؤدي الحدس المقولي دوراً مهماً في إدراك هذه التمثيلات الملفوظية.

يقول ( هوسرل) معلقاً على مقولة: ( أرى ورقاً أبيض) (٢٧)، لا أعتبر بذلك وبطريقة مطابقة إلا عمّا أرى، وقصد اللفظ ببيضاء لا ينطبق إلا جزئياً مع الألوان اللوني للموضع الظهوري، ويبقى ثمة زائدة دلالية، وذلك لا يعني بالضرورة أن دلالة العبارة المصرح بها على هذا النحو تعبر عن مجرد أرى، وقد يمكن أيضاً أن تؤسس ماهية الأرى المعرفية التي فيها يُعلن عن الموضوعية الظهورية بوصفها معطاه كما هي إياها أفعال معينة إقرانية أو وصلية، أو مصوّرة بطريقة أخرى ما، وأن يتكيف مع الأفعال هذه التغيير بصيغته المتغيرة ويجد فيها امتلاءه في ما يخص تلك الصيغ بوصفها متحققة على أساس إدراك الذهن .

ويمكننا التمييز بين التمييز المقولي، والحدس المقولي، وحدس المقولة على النحو التالي: التمييز المقولي هو الذي يجعلنا ندرك الفرق بين النوع وأفراده. والحدس المقولي، هو الذي يجعلنا ندرك ما هو مقولي في الجزئيات. وحدس المقولة: هو الذي يمكننا من معرفة ملامح الشيء وأجزائه وصفاته المكوّنة للكل، وهي ليست منفصلة عنه أو مستقلة، بل هي جزء من الكل. المقولي: وهو السابق على المقولة، ويعبر عنه بالمقولات/ الملفوظات.

### اللاوعي الثقافي وإشكالية التأويل:

يرتبط التأويل بالوعي الإنساني، ومن المعروف أن الوعي الإنساني، يعتمد على جملة من الأفعال

لكي يمارس فاعليته بها وهي: الشعور، والإدراك، والانتباه، والاستدلال، والاستنتاج.. فالموقف التأويلي ( لا يفترض سوى الوعي الذي يتميزه لاعتقاداتنا وأحكامنا المسبقة، فإنه يصفها كما هي وينزع عنها طابعها المتطرف، وبتحقيق هذا الموقف منح للنص إمكانية ظهوره مختلفاً والكشف عن حقيقته الخالصة ضدّ الأفكار التي نتصورها مسبقاً ونواجهه بها) (٢٨). ويبدو الأمر مُشكلاً في عملية التأويل عندما يتعلّق بنص مقدّس ( القرآن الكريم) فالأحكام المسبقة في التفسير القرآني عند القدماء، تثير كثيراً من التساؤلات؛ لأنها تستحضر دلالات كثيرة؛ ومن ثمة لا يمكننا منح الآية القرآنية دلالة واحدة، والأحكام المسبقة ليست غير صحيحة، ولا تُخفي الحقيقة، أو تزيّفها، ولكنها وعي إنساني بالنص القرآني على نحو من الأنحاء في سياق تاريخي معيّن، والنص القرآني تقتضي فاعليته في الحياة إلى مواكبة تاريخية متراكمة حتى يناسب كل عصر، وإذعاننا لهذه الأحكام المسبقة، يوطّر وجودنا ضمن اتجاهات السابقين، فالإذعان والتبعية لفهم الآخرين، يمثل استقالة للفكر، وتعطيلاً للوعي وأفعاله، ولكن يمكننا توظيف الأحكام المسبقة، أو الفهم المسبق باعتبارها محرّكاً للفهم عبر الإنصات له والانتماء إلى فضائه، وكل نقد يوجّه للتراث هو ربط بهذا التراث الذي ننتمي إليه كما يقول جادامير: ( إن توقّع المعنى الذي يحكم فهمنا لنص ما ليس فعلاً ذاتياً، إنما هو فعل ينبثق مما يربطنا بالتراث، فالتراث ليس مجرد شرط مسبق ثابت، وإنما نحن بالأحرى نتيجة بقدر ما نفهمونشارك في تطوّره). (٢٩) ويقول

تداول هذه المعاني، وارتباطها بصيغ لغوية نسقيّة، ارتبطت في وعي المتلقي بهذه المعاني؛ لأن تناول جميع القضايا، يحتاج إلى دراسات جماعيّة في إطار مشروع قومي إسلامي، يهدف إلى الوعي بهيمنة الفكر الجمعي على الوعي الفردي في تعامله مع النصوص القرآنية، في إطار منهج علمي، وليس في إطار تأويلي جمعي يخضع لرؤية إيديولوجية جماعية هي رؤية الثقافة التي صيغت قديماً من دون وعي علمي، لذا أكتفي بطرح الإشكاليّة والبرهنة على الأفكار المطروحة من خلال منطوق حجائي عقلي يهدف إلى مساءلة المرجعية الثقافية، وأثرها في طبع العقل واللسان بسمات معرفيّة ولغوية معينة، جعلته غير قادر على التمييز بين ما هو ثقافي بشري، وما هو سماوي متعال، في فهمه للنصوص القرآنيّة.

بداية، إذا كان الوعي الأسطوري، قد هيمن على الوعي التاريخي في أوروبا، وكان هذه الهيمنة سبباً في حالة التردّي والانحطاط الفكري لأوروبا في القرون الوسطى<sup>(٣١)</sup>، فيمكنني القول: بأن اللاوعي الثقافي، هو الذي هيمن على الوعي الديني عند العرب، لا سيّما بعد فترة الانقطاع المعرفي التي شهدتها الفكر الإسلامي مع نهاية القرن السابع الميلادي، حيث تُعد وفاة ابن رشد علامة فارقة على هذه الانقطاعة المعرفيّة (توفي ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م)، وقراءة اللاوعي الثقافي في إطار علوم اللسانيات الحديثة، خطوة مهمة في طريق إعادة فهم المعنى في النص القرآني على أساس علمي، إذا أردنا استيعاب النص القرآني استيعاباً علمياً صحيحاً، وكانت لدينا الرغبة

محمد شوقي الزين: ( يلتقي أفق الوعي بأفق التراث، والتقاؤهما هو تصافحي بقدر ما هو صفائحي، أي أنه لقاء التبادل والتحاور، ولقاء التداخل والتواصل. فلا يبقى الوعي في سبّاته ولا يمكث في أفقه في موقف المتفرّج، وإنما يجوب أيضاً أفق التراث ليتطلّع عن قرب إلى حقائقه وأشياءه). (٣٠).

يمكننا الوعي في البداية بأن هناك فرقاً بين وصف الواقع وبنائه وتشكيله، فالوصف عملية معرفيّة تهتم بوصف فعل موجود، أما البناء والتشكيل فهي عملية تجريبية تهتم بإنتاج وجود. النص القرآني يرمي إلى إعادة تشكيل الواقع الإنساني على أسس منهجية ترتقي بالسلوك الإنساني، وهذا يعني أن الذات المفسّرة للنص القرآني، هي ذات واصفتها ولا يمكن لها أن تتقمص دور الذات الإلهية؛ حتى لتعيد تشكيل الواقع، أو إعادة بنائه على أسس إيديولوجية، فتدمج عملية إدراكها للعالم ضمن بنائه أو تشكيله.

أسعى في هذا السياق، إلى لفت انتباه القارئ إلى أهمية المرجعيات الثقافية في تداول معنى ما عن بعض القضايا والإشكاليات التي طرحها النص القرآني في علاقة الذكر بالأنثى، من خلال تأويلها - في اللاوعي الثقافي - تأويلاً يخدم طرف على حساب طرف آخر، الأمر الذي أدى إلى تداول المعاني ذات المرجعيات الثقافية حول هذه القضايا، فتبدو لنا بعيدة كل البعد عن منطوق النص القرآني، وأكتفي بتناول قضية القوامة وطريقة تداولها في اللاوعي الثقافي، محاولاً الإفادة من طروحات النقد الثقافي وعلم اللسانيات؛ لإثارة بعض التساؤلات حول أسباب

الحقيقية في تجاوز اللاوعي الثقافي العفوي، والتلقائي، والمزيّف!، وأقصد باللاوعي الثقافي: هذا المخزون الإيديولوجي المركّب في عقل الإنسان، والذي يسيطر - بقوة الدعم الاجتماعي وحراس الثقافة- على عملية الإنتاج الفكري له، ويقود سلوكه في مجالات الحياة المختلفة، ( نحن نصنع ثقافتنا، وثقافتنا تكون كما نكون؛ ولكننا إذ نصنع ثقافتنا، أو ننتجها ونراكمها، نُحدث فيها وتُحدث فينا تغييرات تارة، وقفات تارة أخرى. ويخضع ذلك الإنتاج الثقافي المدوّن المعيش إلى عوامل لا واعية؛ وهكذا، فإن قطاعاً من ذلك الإنتاج الثقافي الحي محكوم برضاتوانجرحات، أو هو متأثر - بدون معرفة منا واضحة أو معقّنة- بتجارب قديمة أو بحوادث ينبوعيّة مكبوتة، تعود إلى عهود النشأة والتكوين لثقافتنا العربية الراهنة).<sup>(٣٢)</sup>

ومن أهم سلبيات اللاوعي الثقافي وخطورته على العقل؛ أنه ( لا وعي مؤثّر ومتوتّر، إنه مساهم في بلبلة نظرتنا للواقع، وفي اجتيافنا السريع للتغيرات المعادية للعمل والسببية، أو المبخسة لقيمة العمل والإنتاج التكنولوجي، ويؤدي إلى سرعة قبولنا للتغيرات التي تهاجم العلم والسببية والدعوة إلى العقلانية المحضّة).<sup>(٣٣)</sup>

ما هذا اللاوعي الثقافي ممتدّاً ومتطاولاً في فكرنا المعاصر، بل وشكّل المخيال الجمعي حول كثير من القضايا والإشكاليات المصيرية في الفكر، ولعل من أهمها القضايا والإشكاليات التي يطرحها النص القرآني، إذ يتحكّم اللاوعي الثقافي في قراءة هذه القضايا والإشكاليات، مما ساعد على تداول

أفكار بعينها حول هذه القضايا، تخضع له، ولا تخضع لمعايير علمية، والبرهان على ذلك أننا وجدنا ممارسات الشرح على الشرح في فترات تراجع الإسلام بعد القرن السادس الهجري، حيث تؤكّد هذه الممارسة فكرة الانحياز الثقافي، بمعنى أن الممارسات الثقافية المألوفة في عصر ما من العصور، تُتخذ دليلاً وبرهاناً يُفاس عليها المعنى في النص القرآني، تماماً كما كان الانحياز إلى الجماليات - حيث تكون الأخلاقيات والبلاغيّات دافعاً للإقناع- عاملاً فاعلاً في قراءة النصوص الأدبية، وبالتالي تصبح المرجعية الثقافية معياراً للمعنى في النص القرآني، وهنا مكنم الخطورة على العقل في فهم النص القرآني أو تأويله؛ حيث يركن المؤول إلى الثقافة في إدراكه للمعنى.

وفي هذه الممارسات يوهم العقل نفسه بأنه استطاع ضبط المعاني في النص القرآني ضمن إطار العقيدة التي تأخذ بيد صاحبها في الدار الآخرة، وتحقق له مبدأ العدل في الحياة الدنيا، من دون أن يكون واعياً بأنه يُخطط، ويفسّر، ويؤوّل، ويشرح، ويدرك المعنى في إطار ثقافي متداول ومعروف، لا يأخذ بيد المتلقين في الدار الآخرة، ولا يحقق لهم مبدأ العدل والمساواة في الدنيا، بل يزيد عليهم الحياة تعقيداً وصعوبة، ويُسهّم في تكريس ممارسات الظلم والتمييز العنصري.

إن التفكير دون وعي بالمنطق الثقافي، لا يسمح للعقل باكتشاف طرائق تأويلية جديدة للنصوص القرآنية؛ لأن اللاوعي الثقافي يخاف على الذات أو

القرآني كاشفاً عن مقاصده ويُفيد من جميع المعارف البشرية والإلهية في جميع العصور، لا أن تكون قراءة إسقاطية، يُسقط فيها القارئ أو المُفسّر أو الشارح، أو المؤلِّ لإشكالياته الثقافية والإيديولوجية على النص القرآني، فينتج عن هذه الممارسات معانٍ ملتبسة، وغير صحيحة عن القضايا التي يطرحها النص القرآني، ومن الملاحظ أن العمليات التفسيرية، أو التأويلية، أو حتى الفهم – على الرغم من اختلاف وسائل وطرائق كل عملية من هذه العمليات الثلاث- لا تؤدي وظيفتها بمعزل عن جملة من الخلفيات الثقافية المرتبطة بالقضية في الوعي العربي قديماً أو حديثاً، فالإشكالية المراد تفسيرها، أو تأويلها، أو فهمها، تفسّر في إطار مرجعي معين، وتأول في إطار ذاتي مرجعي معيّن، وتُفهم في سياق معرفي معيّن أيضاً، وتداول معنى معيّن عن إشكالية معينة، يرتبط بمرجعيتها وأهميتها هذه المرجعية بالنسبة للمخيل الجمعي. فلكي أفهم – من هذا المنطلق- عبارة ( الرجال قوامون على النساء) كما وردت في النص القرآني فهماً صحيحاً يوضح مقاصد النص القرآني، وليس المعنى المتداول، لا بدّ أن أعي جملة من المعارف، يمكن صياغتها على النحو التالي:

١ - يوجد اختلاف فسيولوجي بين الرجل والمرأة، وهذا الاختلاف استغلّه الرجل لصالحه – إيديولوجياً بدافع الهيمنة- لمجرد أن الله عز وجل قد حباه بالقوة وجعل المرأة في حمايته، فعمل على تكوين صورة منمنجة للمرأة في المخيل الجمعي، جعلها تأتي في المرتبة الثانية بعده، وتم تداول هذه الصورة على مر

المصير من التغيير، مما يُسهم في ظهور فوبيا ثقافية ضدّ أي فكر مُخالف لما هو متداول وسائد ومألوف، وأدى المخيل الثقافي الجمعي دوراً كبيراً في تفسير كثير من القضايا المطروحة في النصوص القرآنية وتأويلها، وقبل أن أتناول هذه القضايا، أحاول فهم هذا المخيل الجمعي وخطورته على العقل من تحديد محمد أركون له: (٣٤)

١ - إنه ملكة استحضر صور لشيء ما كنا قد رأيناها سابقاً.

٢ - إنه ملكة خلق الصور لأشياء غير واقعية أو لم تُرأبداً في السابق، أو ملكة تركيب صور معروفة سابقاً؛ ولكن بطريقة جديدة.

٣ - إنه الملكة التي تمكنا من بلورة المفاهيم والتصورات والنظريات الجديدة، وإيجاد تجارب عملية في كل المناسبات.

٤ - إنه عبارة عن العقائد الخاطئة التي تتصورها النفس وتجسدها في المخيل خارج كل رقابة أو سيطرة للعقل.

بداية، يجب على من يحاول فهم قضية أو إشكالية في النص القرآني، الوعي بأن النص القرآني، يقمّ الدليل النهائي في كل المسائل والإشكاليات والقضايا، وأن معظم هذه القضايا، ذُكرت في الكتب السماوية السابقة، وأنها وصلت إلى طورها النهائي في القرآن الكريم، وعلى العقل الإنساني أن يكون أكثر وعياً ونُضجاً، إذا ما تعلّق الأمر بالنص القرآني؛ لكي يوضّح إرادة الله تعالى ومقصده الحقيقي بكل دقة، ومن ثمّ يجب أن يكون إدراك المعنى في النص

العصور، حتى استسلمت المرأة لها، وشكلت شرخاً نفسياً في أعماقها، جعلها تنظر لنفسها بعين الرجل. ٢ - الصورة المتعالية للرجل عن نفسه، جعلته يُعَلِّق كل أسباب فشله في الحياة على الطرف الآخر وهو المرأة، والبرهان على ذلك ما يتردد في اللاوعي الجمعي من أن حواء سبب في خطيئة آدم بإغوائه بالأكل من الشجرة التي نهاها عنه خالقه عز وجل؛ ومن ثم ربطوا بين المرأة والشيطان في قرن دلالي مشترك.

٣ - تأويل بعض الأحاديث المنسوبة إلى الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- تأويلاً يخدم الرجل، منها على سبيل المثال ( نقصان عقل المرأة) جعلها تعيش خارج إطار العقل والمعرفة، فنظرت إلى نفسها ككتلة من العواطف المكبوتة، والجسد الفتنة، ومن ثم حبست نفسها في سجن الإغراء والإغواء، دون الوعي بأن هذا التوجّه في التفكير يحصر قيمة المرأة في جمال الجسد، ودور الرجل في الشهوة.

٤ - إنني كإنسان متأخر - تاريخياً- يجب أن تكون لديّ شبكة من المعارف مناسّسة على الافتراضات المسبقة المتداولة، والمسيطرة على المخيال الجمعي؛ لأتمكّن من الانسجام مع الفكر الجمعي، حتى لا أهُمّش وأطرّد وأعيش خارج العالم.

٥ - إن معارفنا ومعتقداتنا وآمالنا - كمتأخرين- لا تعمل بالطريقة التي يجب أن تعمل بها، بل تعمل على خلفيّة المعارف السابقة التي تمكّنا من الانسجام مع الوعي الجمعي. ولا أقصد بهذا نسف المعارف السابقة؛ ولكن أقصد مراجعتها في سياق معرفي

مختلف؛ لأن شروط المعرفة تختلف من عصر لآخر؛ ومن ثمّ تتطوّر المعارف.

ما أهدف إليه في هذا السياق، هو مساءلة المعارف المتداولة عن بعض القضايا والإشكاليّات التي طرحها النصّ القرآني؛ لأنّ تداول معان ثقافية عن قضايا وإشكاليّات مهمة، يعطيها القدسيّة، وينزلها منزلة النصوص المقدسة في المخيال الجمعي، ومساءلة هذه المعاني المتداولة، يُسهم بلا شك في تصحيح الفهم لقضايا جوهرية في حياة الإنسان، فالنظرة إلى الرجل بوصفه شهوة، والمرأة بوصفها عورة أو جسداً، هي النظرة التي حددها الإنسان لنفسه؛ لأنه أول النصّ القرآني تأويلاً عنصرياً يخدم أطماعه في الحياة، وهي نظرة بعيدة تماماً عن قيمة الإنسان بوصفه مخلوقاً عند الله تعالى والتي تجسّدت في سجود الملائكة لآدم، فهل تسجد الملائكة لمخلوق تتملّل قيمته في الحياة جسداً وشهوة؟! سؤال إشكالي يجب أن يطرحه الإنسان على نفسه إذا ما أراد أن يغيّر من صورته المتداولة عن الرجل والمرأة، ويُعيد تداولها في سياق معرفي جديد يعتمد على الفهم الصحيح للدين كمرجع أساس، بدلاً من التأويل الذي يخلط بين الثقافة والدين في قرن دلالي مشترك، والفرق كبير بينهما؛ لأنّ الثقافة هي نتاج بشري، أما الدين فهو قانون سماوي أنزله الله لهداية الإنسان، فالمعنى المتداول عن هذه الإشكاليّة على النحو السابق، يخلط بين الدين والثقافة العربية من ناحية، والدين وثقافة أوروبا في القرون الوسطى من ناحية أخرى؛ لأننا لو تأملنا الآية الكريمة بعيداً عن هذه المرجعية

اللَّهِ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ (النساء آية/ ٣٤) يقول ابن كثير: (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) أي: الرجل قَيِّمٌ على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجَّت (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) أي: لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة؛ ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك المُلْكُ الأعظم؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ) رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه وكذا منصب القضاء وغير ذلك. (وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) أي: من المهور والنفقات والكف التي أوجبها الله عليهم لهنَّ في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قَيِّمًا عليها. (٣٦)

ويقول الطبري: (الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ)، الرجال أهل قيام على نساءهم، في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن الله ولأنفسهم (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)، يعني: بما فضَّلَ الله به الرجال على أزواجهم: من سَوَّقَهُمْ إِلَيْهِنَّ مَهْرَهُنَّ، وإنفاقهم عليهنَّ أموالهم، وكفايتهم إياهنَّ مَوْنَهُنَّ. وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى إياهم عليهنَّ، ولذلك صاروا قَوَّامًا عليهن، نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهن. (٣٧)

هذان التفسيران، إسقاطيان على الآيات القرآنية

الثقافية، واعتمدنا مباشرة على حركة العقل والمعرفة اللسانية – التي غَفَلَ عنها المفسرون-؛ لوجدنا أن كلمة ( قَوَّام ) هي صيغة مبالغة من الفعل ( قَامَ ) وجذره اللغوي في لسان العرب ( قَوْمَ ): القيام: نقيض الجلوس، قام يَقُومُ قَوْمًا وقِيَامًا وقَوْمَةً وقَامَةً، والقَوْمَةُ المرة الواحدة. ( ويدل على كثرة الحركة، وفي لسان العرب ورد معناه المحافظة والإصلاح؛ ومنه قوله تعالى: الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دَمَّتْ عَلَيْهِ قَانِمًا؛ أَي مَلَاذِمًا مَحَافِظًا﴾ (٣٥).

أما الذي ورد في كتب التفسير عن القوام، أنها تعني الأفضلية، أي أفضلية الرجل على المرأة، وهذا تفسير ثقافي يُخَصِّع المعنى في النص القرآني لضرورات ثقافية، وليس لمنطق اللغة الذي يستقيم مع فلسفة النص القرآني في التعامل مع الإشكاليات المتعلقة بعلاقة الذكر بالأنثى في الثقافة العربية، وهي علاقة معقدة وشائكة، تتأسس على تمييز عنصري واضح في الثقافة القبليَّة، وحاول النص القرآني حلَّ هذه الإشكاليَّة، من خلال المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وإن كانت هناك اختلافات، فهي اختلافات فسيولوجية، تتعلَّق بطبيعة الذكر وطبيعة الأنثى، وكما وهب الذكر مميزات، وهب الله تعالى الأنثى أيضًا مميزات، إلا أن تداول هذه المعاني حول هذه العلاقة بين المفسرين، وجمهور المتلقين، ظل يدور في فلك التمييز العنصري للثقافة القبليَّة، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

السابقة؛ لأن مفهوم القوامة تشكّل في ذهن ابن كثير والطبري، نتيجة امتزاج عدد كبير من المفاهيم الثقافية أكثر غنى حول علاقة الرجل بالمرأة، أو الذكر بالأنثى، وقام معنى ( الأفضلية) بتحييد المعاني الثقافية الأخرى؛ ليتبوّأ الصدارة ويستولي على المعنى لسبب أساس، وهو أن معنى ( الأفضلية) يتناسب تمامًا مع إيديولوجيا الهيمنة الذكورية آنذاك، ويتناسب مع أن كل أفكارنا وعواطفنا تُمثّل ضرورة لحالاتنا الشعورية. تظهر مثل هذه الممارسات من أجل استغلال آيات القرآن الكريم، ومنزلتها السامية في نفوس المسلمين؛ لتأكيد الصورة المتداولة عن المرأة في الثقافة، بدلاً من تصحيح هذه الصورة السلبية عن طريق الفهم الموضوعي لآيات القرآن الكريم؛ وذلك لأن إدراك المعنى تمّ في سياق الخبرة الثقافية، وليس في سياق المعرفة الجديدة التي يطرحها النص القرآني في الموضوع، وهو الإغلاء من منزلة المرأة في الوعي الجديد بالرعاية والاهتمام، وهذا يؤكّد خطورة ارتباط تداول معنى ما بنظام الثقافة، وهنا يحدث الخلط بين المقصد القرآني الكوني للموضوع، والمقصد الثقافي الإقليمي، أو بين المعنى الديني الموضوعي لقضية ما، والمعنى الثقافي للقضية نفسها، وينتج عن ذلك انتصار المعنى الثقافي على المعنى الديني في اللاشعور الجمعي؛ لأنه متداول ومعروف بل ومألوف، مما يصعب على الوعي الفكاك منه، وما يؤكّد ذلك ما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في جامع البيان، أنه بعد نزول آيات المواريث قال الناس: (تُعطي المرأة

الربع والثلث، وتُعطي الابنة النصف، ويُعطي الغلام الصغير، وليس من هؤلاء أحد يُقاتل القوم، ولا يحوز الغنيمة، اسكتوا عن هذا، أو نقول له فيغيره). (٣٨) فالمقصد القرآني واضح، ويتمثّل في أهمية تغيير خبرة الوعي الإنساني بالموضوعات الإنسانية المهمة ومنها منزلة المرأة الجديدة في الحياة، وكان يجب أن تأتي تأويلات المفسرين استجابة لدوافع إنسانية تسعى إلى الارتقاء بالسلوك الإنساني، بدلاً من أن تأتي استجابة لضرورات ثقافية وإيديولوجية أملتها الرغبة في الحفاظ على السلوك الثقافي واستمراريته، وقد نبهنا المولى عزّ وجلّ في آيتين مختلفتين على خطورة هذه الانحرافات في الفهم ❖ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَنُونَ ❖ الأنبياء/٢. وقوله أيضاً: ❖ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُّحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُمْ عَرَصِينَ ❖ الشعراء/٥. ولكن يبدو أن الإيديولوجيا تفرض هيمنتها على كل شيء في العقل النسقي الجمعي؛ لأنه يدين بالولاء لها أكثر من استجابته لتعليمات السماء!.

إن تداول المعنى بهذه الآلية، يُضفي صبغة مثالية العليا على الثقافة، ويضعها في إطار موازٍ للدين الإسلامي، دون الوعي بمنطلقات كل من الاثنين، فالدين ينطلق من مبدأ تحقيق العدل والمساواة بين جنسي البشر بتعديل خبرة الوعي من أجل حياة سعيدة، يسعد بها الإنسان في الدنيا، بالتسامح مع الجنس الآخر، ورعايته، وحمايته، وتقديم المعونة له؛ لأن الله وهبه من القوة وخفة الحركة ما يؤهله



الثقافة، مستغلًا قدسيّة النص القرآني ليمرر نظرة الثقافة العنصريّة للمرأة، وهنا يربط المعنى المتداول عن الآية بين النص القرآني، بقدسيته وتعاليه، وحالة مُعاشة معروفة ومألوفة ومتداولة، لها قدرتها الخاصة على التسلل إلى العقل بطرائق مختلفة، مستفيدة من أنظمة الحياة، وذلك بهدف السيطرة والهيمنة على كل جديد ومستحدث مخالف لما هو متداول ومألوف، دون الوعي بأهميّة النص القرآني في نقده لهذه الحالة المُعاشة، وتصحيح العلاقة بين جنسي البشر، بما يساعد الإنسان في الارتقاء بسلوكياته وأخلاقه، الأمر الذي يجعله ينعم بحياة تسودها المودة والرحمة.

إن إحلال المعنى الموضوعي للنص القرآني محل المعنى الثقافي المتداول في اللاشعور الجمعي، ينجح في توضيح دور النص القرآني بصفته قوة فكرية محرّكة ومنظمة للثقافة؛ لأن الحجة والبرهان في هذا التداول تكمن في الرباط الوثيق بين الوحي والعقل الإنساني، ويختلف بالطبع عن التداول المعروف، الذي يُخضع المعنى في النص القرآني للمعنى الثقافي؛ لأن الحجة في هذا النمط من التداول تكمن في الرباط الوثيق بين المتوارث واللاوعي، وهو تداول من شأنه إقصاء الوعي وإزاحته، وإحلال اللاوعي الثقافي محلّه. ولكن يبدو أن الكوجيتو الذي يؤمن به أصحاب هذه التفسيرات، هو كوجيتو اللاوعي الثقافي (أنا أفكر بإيديولوجية ثابتة إذا أنا موجود) أي كوجيتو الفكر المتوقّف عند مرحلة زمنية بعينها لا يرغب في مغادرتها، وهو كوجيتو يُخضع العقل والسلوك والممارسات لقوانين وإكراهات الثقافة

للقيام بهذه المهمة، أما الثقافة – بوصفها نظامًا بشريًا – فهي تقوم على التمييز العنصري بين الأبيض والأسود، بين الذكر والأنثى، بين السيّد والعبد.. وتقسّم البشر إلى قسمين، القسم الأضعف يكون في خدمة القسم الأقوى، فتخضع الأنثى للذكر، ويخضع السيّد للعبد، والأسود للأبيض، وهذا يجعل الطرف الأضعف في حالة انتظار دائم على أمل تبدّل موازين القوى يومًا؛ لكي يتعامل مع الطرف الأقوى معاملة النّد، أو حتى ليقهره ويجعله خاضعًا له.

يسعى النص القرآني إلى تغيير بعض القيم والممارسات الثقافية، من أجل إحلال قيم بديلة تجعل الإنسان في اتصال مباشر مع ذاته ومع الأشياء، بعيدًا عن وساطة الأنساق الثقافية التي تحجب الرؤى المستتيرة، فالنص القرآني وجد أن الأنساق الثقافية غير عادلة في نظرتها لطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، فجاء بتعاليم جديدة لتغيير هذه النظرة عبر ثنائية الدال والمدلول، فقدم لنا بأسلوبه اللغوي المُعجز نظامًا مختلفًا من العلاقة بين الرجل والمرأة، بعيدًا عن خاصية التجريد الموجودة في الثقافة؛ إذ عمدت اللغة في النص القرآني إلى إسقاطها على الحياة حتى تنبض بالحريّة والحركة، ولكن جاءت التفسيرات لتعمل على توقيف هذه الفاعلية، وتحويلها إلى سكون أبدي!.

تكمن خطورة هذا المعنى المتداول في أن قارئ هذه الآيات، يسترجع حالة معاشة سابقًا في الثقافة، ولا يستدعي وعيًا معرفيًا جديدًا يساعده في فهم موضوعي للآية، إنه يُعيد تجسيد معنى متداول في

والإيديولوجيا، وهذا يتطلب منا وضع هذا الفكر في سياق نظامه الإيديولوجي الخاص، أي ضمن إيديولوجيا مرحلة ما قبل الإسلام، وهي إيديولوجيا شمولية تسعى إلى السطو على كل مظاهر الفكر المختلف النابض بالحركة والحيوية؛ لتحوّله إلى صيغ وقوالب صماء وجاهزة تكبح جماح العقل، وتجعله غير قادر على الوعي بذاته.

إن الوعي الإسلامي الجديد - آنذاك - هو وعي الديمومة، والزمان الحي المتجدد والمتغير، يحتفظ بتجربة الماضي؛ ليخضعه لفكر الحاضر، فيصبح جزءاً منه؛ ومن ثمة يكون الوعي شكلاً من أشكال توقّع المستقبل، ولعل المتأمل في الطرح الفكري للقرآن الكريم، يكتشف وعياً جديداً للإنسان يتم بموجبه أن يكون حلقة وصل بين الماضي والمستقبل، وبذلك يكون الوعي الإسلامي الجديد، هو ترجمة للحريّة، أي التحرّر من قيود الأنساق الثقافية الإنسانية الأرضية التي وضعها الإنسان لتكبيّل عقله وتجميد وعيه. إن الوعي، ليس مجرد خبرة شخصية ومرجعيات فكرية فحسب، بل هو أيضاً حدسٌ، وأفق يتسع للماضي والحاضر والمستقبل، والحدسُ هو (( ما يُعطى لنا من شيء ما، أو من كائن ما، أصلته، وفرادته اللتان لا يمكن تعويضهما، وهو يمثّل بذلك نوعاً من المعرفة الخاصة بفرادانية كل كائن، بالإضافة إلى ما لهذه الفرادانية من عناصر خاصة بذاتها ولذاتها)) (٣٩). فبدلاً من أن يبحث المفسرون في فريدة الطرح القرآني للقضايا وإبراز قيمة هذه الطروحات في تغيير السلوك الإنساني، تغافلوا عن ذلك وراحوا يفسرونه

في ضوء معطيات الثقافة والإيديولوجيا والأساطير، ظناً منهم أن هذا سيضفي عليه قيماً جديدة!

هنا يبرز الدور الإيجابي للدرس التداولي في بُعد الثقافة، الذي يتمثّل في الكشف عن تصوّرات الإنسان الخاصة لنفسه، بوصفها نسفاً فكرياً تتحكّم فيه الثقافة من دون وعي منه، ويمكن للقارئ الواعي أن يتعرّف جوانب السلب والإيجاب في نتاجه الفكري، وكذا التعرّف على أسباب تقدّمه وأسباب تراجعته.

### خاتمة

ناقشت الدراسة ثلاث إشكاليات يمكن أن تُحدث تحوّلاً إبستمولوجياً في دراسة العلامة:

الأولى: إمكانية توظيف الأفق المعرفي في الفينومينولوجيا في دراسة العلامة.

الثانية: النتائج والآثار المترتبة على تحويل غير المرئي ( الأشياء ) إلى المرئي ( العلامات ) وما يصاحب هذا التحوّل من غموض أحياناً وسوء فهم أحياناً أخرى.

الثالثة: دور الوعي الإنساني في البحث عن قيمه ورموزه في موجوداته ونتاجه الفكري.

إنها وحدها العلامة تستوعب الحمولات الثقافية والمعرفية للأشياء في مراحل التاريخ المختلفة؛ ومن ثمة تمنح الأشياء حضورها المستمر عبر حركة التاريخ، وتمنحها معانيها المتحوّلة بتحوّل الفكر الوعي الإنساني، وظاهراتية العلامة، لا تُفهم إلا من الوعي بمقاصدها في كل مرحلة تاريخية، بوصفها - أي العلامات - رموزاً أو رواشب تجربة كل وعي إنساني.

الوقت. إن حضور الوعي في تفسير العلامة أمر مهم؛ لأنه يجعلنا نفكر أكثر ممّا نتكلّم، ويجعلنا نعيش في أنفسنا أكثر من العيش خارجها.

وأخيراً، إن ربط العلامة بالوعي الإنساني، يجنّبها الوقوع في ثنائية الفصل بين الذات والموضوع، فالأشياء في الفينومينولوجيا غير منفصلة عن الوعي الإنساني، فالأشياء المعروفة هي التي يعيها فقط العقل الإنساني، ولما كانت العلامات وسيلة النشاط الحضاري الإنساني في نقل الأشياء ( عن طريق الكتابة والنقوش والرسوم ..) من خاصيتها غير المرئية إلى الخاصية المرئية، فهي لا تنفصل عن هذه الأشياء والوعي. وقد عانت العلامة كثيراً ( لا سيما في المدرسة اللسانية) من هذا الفصل؛ ولذا أمل أن تكون هذه الدراسة نقطة تحوّل وإحياء للعلامة في مجال الدرس الأدبي والنقدي؛ وذلك بربطها بالشعور والوعي الإنساني؛ لأن تجربة العلامة – في جوهرها- هي بحث عن الإنسان وقيمه ورموزه، تحاول أن تفهمه من خلال موجوداته ( إبداعاته) ونتاجه الفكري، فهذه الموجودات هي من صنع الإنسان نفسه؛ إنها تجربة حنين إلى الوعي وشعور الإنسان.

إن الأشياء في تغير وتبدل مستمرين، وهي بحاجة إلى وعي إنساني يرصد حركتها، وينقلها – عبر العلامات- إلى مراحل تاريخية مختلفة؛ ولذا تُعدّ العلامة، علامة على رغبة الإنسان في الديمومة؛ لأنها سبب من أسباب ديمومة الأشياء التي هي من صنع الوعي الإنساني، إنها تجعل الأشياء تدوم بفاعلية الوعي، وتساعده في تجاوز أزمت التاريخ بفضل قدرتها على المحافظة على المنتج المعرفي عن الأشياء وتحويلها من اللامرئي إلى المرئي. فالأشياء تعمل على إظهار نفسها بالعلامات، وقد تتوقّف عن الظهور، عندما تنتج البدائل، فالقوامة – على سبيل المثال- بمفهومها الأخلاقي والمعرفي والديني في النص القرآني ( الرعاية والحماية والمحافظة)، وجدت بديلاً ثقافياً ملتبساً في خطاب التفاسير ( الأفضلية) نتيجة اختراق اللاوعي الثقافي للقيم الإنسانية والدينية في النص القرآني؛ فتحولت (القوامة) بوصفها علامة دالة على قيمة إنسانية ترتقي بالسلوك الإنساني نحو الأفضل، إلى علامة دالة على قيمة ثقافية – في الخطاب التفسيري- تكرّس ممارسات الإقصاء والهيمنة والتهميش والتمييز العنصري بين المخلوق الواحد؛ ولذا بات من الضروري الاعتماد على الوعي في تفسير العلامات وتأويلها؛ لأن الوعي اللاوعي الثقافي يجعلنا نعيش خارج أنفسنا معظم



## مصادر البحث وهوامشه

- ١ - أمبرتو إيكو، التأويل والتأويل المفرط، ترجمة ناصر الحلواني، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ( القاهرة ) ( ١٩٩٦ م ) ص ٤١ .
- ٢ - أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الفيونمينولوجيا، دار التنوير ( بيروت - لبنان ) ط ١ ( ١٩٨٤ م ) ص ٣٠
- ٣ - ريفاتير، سيميوطيقا الشعر: دلالة القصيدة، ترجمة فريال غزول ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة: مدخل إلى السيميوطيقا، مجموعة من المؤلفين، إشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية ( القاهرة ) ( ١٩٨٦ م ) ص ٢١٥ .
- ٤ - راجع، مختار الصحاح مادة ( شرف )
- ٥ - المتنبي: ديوان المتنبي، علق حواشيه وفسر كلماته/ سليم إبراهيم صادر، المطبعة العلمية ليوسف إبراهيم صادر ( بيروت ) ( ١٩٠٠ م ) ص ٤٩١ .
- ٦ - صبري حافظ، النقد الثقافي: رايموند وليامز أنموذجاً، مجلة ( ألف ) ( مجلة البلاغة المقارنة ) تصدر عن قسم الأدب الإنجليزي المقارن بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، العدد ( ٣٢ ) ( ٢٠١٢ م ) ص ١٠، ١١ .
- ٧ - سعيد بنكراد، السيمياء والتأويل: مدخل لسيميائياتش.س. بيرس، المركز الثقافي العربي ( الدار البيضاء وبيروت ) ط ١ ( ٢٠٠٥ م ) ص ١٧١ .
- ٨ - راجع في ذلك، رسول محمد رسول، العلامة عند هوسرل، مجلة فصول ( القاهرة ) العددان ٨٣ / ٨٤ خريف/ شتاء ( ٢٠١٣ م ) ص ٤٨٠ .
- ٩ - إدموند هوسرل، مباحث منطقيّة، ترجمة موسى وهبة، المركز الثقافي العربي ومشروع كلمة للترجمة ( بيروت - أبو ظبي ) ( ٢٠١٠ م ) الكتاب الثاني، الجزء الأول ص ٣٨ .
- ١٠ - جادامير، فلسفة التأويل: الأصول والمبادئ والأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف والمركز الثقافي العربي ( بيروت والجزائر والدار البيضاء ) الطبعة الثانية ( ٢٠٠٦ م ) ص ٤٠٢ .
- ١١ - ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي ( الدار البيضاء وبيروت ) الطبعة الثانية ( ١٩٨٧ م ) ص ٦٩ .
- ١٢ - جادامر، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويليّة فلسفيّة، ص ٤١٧ .
- ١٣ - آرت فان زويست، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، مجموعة من المؤلفين، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي ( الدار البيضاء وبيروت ) الطبعة الأولى ( ٢٠٠٤ م ) ص ٤٣ .
- ١٤ - أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، نقائض جرير والفرزدق، طبع في مدينة ليدن المحروسة/ هولندا،

مطبعة بيريل (١٩٠٧م)، القصيدة التي تحمل رقم (٥١) ص ٣٤٨.

١٥ - سورة هود، الآيات ٤٣/٤٠.

١٦ - سورة الفيل، الآيات ٥/١.

١٧- أنطون خوري، مدخل إلى فلسفة الظاهراتية، دار التنوير (بيروت - لبنان) الطبعة الأولى (١٩٨٤م) ص ٣٠.

١٨ - شرح المعلمات العشر، للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، (بيروت - لبنان) (٢٠٠٣م) الأبيات ص ١٤١.

19 – Husserl, Ideas: General Introduction to Pure Phenomenology, Trans W.R.BoyceGibsn ( London: Allen and Unwin,1931) P.242.

وظهرت ترجمتان في العربية لهذا الكتاب عن النسخة الفرنسية:

- الأولى بعنوان « فكرة الفينومينولوجيا » لهوسيرل، ترجمة فتحي إنقرّو، المنظمة العربية للترجمة (بيروت) (أغسطس ٢٠٠٧م)
- والثانية بعنوان ( فكرة الفينومينولوجيا) لهوسيرل، ترجمة أحمد الصادقي، دار الحوار ( اللاذقية - سوريا) (٢٠٠٩م).
- ٢٠ - هوسرل، تأملات ديكرتية، ترجمة نازلي إسماعيل حسين، دار المعارف ( القاهرة) (١٩٧٠م) ص ١٤١.
- ٢١ - أنطون خوري، مدخل إلى الفلسفة الفينومينولوجيا ص ٤٠.
- ٢٢ - راجع في ذلك، إدموند هوسرل، مباحث منطقية، ترجمة: موسى وهبة، المركز الثقافي العربي وكلمة ( الدار البيضاء وأبو ظبي) ط١ ( ٢٠١٠م) راجع الكتاب الثاني الجزء الأول الفصل الخاص بـ ( الوعي كمعيش قصدي) خاصة الجزء الخاص بـ ( في المعيشات القصدية ومضامينها) ص ٣٢٣ : ٣٩٢.
- ٢٣ - هوسرل، دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطني، ترجمة لطفي خير الله، منشورات الجمل ( بغداد وبيروت) ( ٢٠٠٩م) راجع التكملة الثانية عشرة بعنوان: في الوعي الباطني وفي الإحاطة علمًا بالمعاشيش، ص ١٣٠، ١٣١.
- ٢٤ - السابق، ص ١٦٧ : ١٧٤.
- ٢٥ - محمد بن سباع، لماذا الفينومينولوجيا الوجودية عند موريس ميرلوبونتي، ضمن كتاب الفلسفة الفينومينولوجية الوجودية عند موريس ميرلوبونتي: من أولية الوعي إلى مساءلة الوجود، مجموعة من المؤلفين، ابن النديم للنشر والتوزيع والروافد الثقافية ( ناشرون) ( وهران وبيروت) ط١ ( ٢٠١٤م) ص ٣٣.
- ٢٦ - السابق، ص ٣٤.

- ٢٧ - إدموند هوسرل، مباحث منطقية، ترجمة: موسى وهبة، الكتاب الثاني الجزء الثاني ص ١٣٣، ١٣٤.
- ٢٨ - جدامير، فلسفة التأويل: الأصول والمبادئ والأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، ص ٤٨.
- ٢٩ - جدامير، فلسفة التأويل: الأصول والمبادئ والأهداف، ص ٤٠٢.
- ٣٠ - محمد شوقي الزين، الإزاحة والاحتمال: صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف، (بيروت والجزائر) ط ١ (٢٠٠٨م) ص ٨١.
- ٣١ - راجع في هذا الموضوع، هاشم صالح في كتابه مدخل إلى التنوير الأوربي، دار الطليعة الأدبية، (بيروت - لبنان) الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).
- ٣٢ - علي زيعور، اللاوعي الثقافي، ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية، دار الطليعة الأدبية (بيروت - لبنان) الطبعة الأولى ١٩٩١ م ص ١٦٨.
- ٣٣ - السابق ص ١٦٨، ١٦٩.
- ٣٤ - محمد أركون، ضمن كتاب الفلسفة الحديثة، نصوص مختارة، ترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، إفريقيا الشرق (الدار البيضاء وبيروت) الطبعة الأولى ٢٠٠١ م ص ١٤٥.
- ٣٥ - راجع، لسان العرب، لابن منظور مادة (قوم).
- ٣٦ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار مصر للطباعة (د - ت) الجزء الأول ص ٤٩١.
- ٣٧ - الطبري، تفسير الطبري، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب (الرياض - المملكة العربية السعودية) ط ١ (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) الجزء السادس، ص ٦٨٧.
- ٣٨ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان) (١٩٩٢ م) الجزء الثالث ص ٦١٧.
- ٣٩ - راجع المقدمة النقدية للحسين الزاوي التي قدّم بها ترجمته لكتاب: بحث في المعطيات المباشرة للوعي، لهنري برجسون، المنظمة العربية للترجمة (بيروت) ط ١ أكتوبر (٢٠٠٩ م) ص ١١.



مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ



مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ



مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ









ظاهرة الترخّص النحويّ وتطبيقاتها  
في لغة القرآن الكريم

## The Phenomenon of Language Dispensing in the Holy Quran

م. د. قصي سمير عبيس العزّاوي

كليّة الإمام الكاظم للعلوم الإسلاميّة الجامعة / أقسام ميسان

Dr.Qusay Samer Ubais

College of Education for Religious Sciences ,  
Misan University

## ملخص البحث

يعرّف الترخّص بأنه استغناء، أو إسقاط قرينة مهمّة لا يحسن الاعتماد عليها في الوصول إلى المعنى، وإذا اعتمدنا عليها لا يأمن الوقوع في اللبس. وفي الوقت نفسه لا يعني الترخّص فتح الباب على مصراعيه أمام العبث في علاقات الجمل وقرائنها، بل يكون في حدود خاصة، ومواقف شائعة. ويندرج هذا البحث ضمن محاولة لإصلاح التحليل اللغوي في القرآن الكريم، والتوصل إلى قراءة جديدة للمعنى الوظيفي في السياق القرآني؛ لتوضّح المعنى واختلافه في ضوء الترخّصات النحوية في القرائن التي تفرزها أنظمة اللغة.

وظاهرة الترخّص النحويّ قد ذكرت في القرآن الكريم، وذكرت أيضاً في التراث العربي شعراً ونثراً، لما لها من تأثير خاصّ يجعل المخاطب يتأمّل في القصد، ومن هنا يمكن أن يُباح الترخّص؛ لأنه يعدّ درجة من درجات الصواب، فالمترخّص صاحب لغة، وإن عدّ من الشذوذ، والشذوذ لا ينافي الفصاحة. وقد فرضت طبيعة البحث الوقوف أمام القضايا المتعلقة بأراء كلّ من النحاة، والمفسرين، وأهل القراءات حتى يسهل على القارئ الكريم الاهتداء إلى بعض أسرار القرآن الكريم.

وانتظم هذا البحث في خمسة ترخّصات نحوية، وهي: الترخّص في العلامة الإعرابية، والترخّص في قرينة النسبة، والترخّص في قرينة الرتبة، والترخّص في إضافة الصفة إلى موصوفها، والترخّص في قرينة الأداة. وبعد الفراغ من الحديث عن تلك الترخّصات، شرعت بالخاتمة لأبيّن ما توصل إليه البحث من نتائج.



## ❖ Abstract ❖

Dispensing: drop something important not only improves the reliability of access to the intent and if we adopt it is not safe to fall into confusion This research is an attempt to repair the linguistic analysis in the Koran, and to reach a new reading career holly Quran .

And dispensing grammar has stated in the Qur'an, and also mentioned in the poetry and prose of Arab heritage, Valmstgne His language, though counting of homosexuality, and homosexuality does not contradict eloquence. The research on the views of the stop: grammarians, and commentators, even easier for the reader to be guided by some of the secrets of the Holy Quran. This research consists of five grammatical job cuts, which are: dispensing syntactic tag, and dispensing of two things, and dispense with the arrangement, and dispense with the capacity to add Mousovha, andand dispense with the character. And then showed the findings of the research results.



## المقدمة

الحمد لله الذي ترخصت آلاؤه عن أن تحاط بعدد، وتعالت كبرياؤه عن أن تشمل بحد، والصلاة والسلام على رسول الأنام ومهدم الأصنام، محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين. ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد...

فهذه قطوف من بستان القرآن الكريم، كقطرة من بحر الإعجاز القرآني للبحث عن اللؤلؤ المكنون راجياً من الله تعالى العون والتوفيق.

بدئ البحث بتعريف الترخص لغة واصطلاحاً، وإعطاء مرادفاته، وبيان آراء العلماء فيه، ثم وقف الباحث على أنواع الترخصات النحوية الموجودة في القرآن الكريم. وقد فرضت طبيعة البحث الوقوف أمام القضايا المتعلقة بآراء كل من النحاة، والمفسرين، وأهل القراءات، وبيان الحكمة منها، ووجوب معرفتها حتى يسهل على القارئ الكريم فهم كتاب الله تعالى، وتدبر معانيه، والاهتداء إلى بعض أسرارها بمقدار إخلاص النية، وهذا فضل يؤتيه الله من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وهذا جهد المقل فإن أك قد وفقت فيه فالخير أردت، وإن أك الأخرى فحسبي أنني اجتهدت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه مآب.



فيها لغة القبائل، وقد تخرج على قواعد النحويين؛ لأنها لم تحط بهذه المخالفات، لكن ليس خروجاً على اللغة، وعليه فإنّ هذا الكلام داخل اللغة وإن كان خارج القواعد (٧). ومن أهم شروطها أن يؤمن معها اللبس (٨). فالمعنى يكون واضحاً وإن كان الترخّص في قرينة معينة؛ لأن هنالك قرائن أخرى تحلّ محلّ القرينة المرخّصة، فلا ضير من الاستغناء عن واحدة منها، وإقامة قرينة أخرى مقامها. ((فاللغة ظاهرة إنسانية والإنسان بطبعه قلما يكتفي لإدراك شيء ما بقرينة واحدة تدلّ على هذا الشيء)) (٩). وسنعرض فيما يأتي قرائن الترخّص النحويّة، وتحت كلّ قرينة منها شواهدا القرآنية الخاصة بها:

### التَّرخُّصُ في القرائن النحويّة

اعتور الترخّص في المسائل النحويّة، ودار تأثير هذا الترخّص في العلامة الإعرابية أو الحركات الموجودة في آخر الكلمة، لما يعترئها من تغيرات مخالفة للمتعارف عليه ليست لها علاقة في التأثير على المعاني، فبدونها يأمن المتكلم من اللبس، وإن كانت تعدّ من القرائن الأساسية في الجملة، وهذا يجعلنا نعتمد على قرائن أخر توصلنا إلى المطلوب. وهذه الظاهرة قد ذكرت في القرآن الكريم، وذكرت أيضاً في التراث الأدبي العربي شعراً ونثراً، لما لها من تأثير خاص يجعل المخاطب يتأمّل في القصد، ويزدان شوقه، وينشغل ذهنه في التأمل والتدبّر، فنقع في النصّ البلاغة، ويزيد فيه إحكاماً بعيداً عن التصرف والضرورة، ومن هنا يمكن أن يباح

لم يغفل التراث العربي اللغويّ والبلاغيّ، عن ظاهرة الترخّص النحويّ، فقد شاع عندهم الترخّص ليس بسبب الضرورة فقط، وإنما لأسباب جماليّة صوتيّة، وصرفيّة، ونحويّة، وبلاغيّة. قال ابن جني في وصفه هذه الظاهرة ((اعلم أن هذا الشرح غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح قد ورد به القرآن الكريم، وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظٍ قد يكون عليه الأول أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً)) (١٠).

أما المحدثون فقد تنوعت مسمّيّاتهم لهذه الظاهرة كالانزياح، والعدول، وإهدار القرينة، ويطلق عليه أيضاً إطراح القرينة، فضلاً عن الترخّص في القرائن (١١). ولكنهم اکتفوا ببيان الأمثلة وشرحها من دون الوقوف على المصطلح، وتبويبه. وأوّل من وقف على هذه الظاهرة وبقّة علميّة هو الدكتور تمام حسان الذي استلهم من كتب التراث، ووظّفها في توضيح ذلك المصطلح (١٢).

معنى الترخّص: هو استغناء، أو إسقاط قرينة مهمّة لا يحسن الاعتماد عليها في الوصول إلى المعنى، وإذا اعتمدنا عليها لا يأمن الوقوع في اللبس. وفي الوقت نفسه لا يعني الترخّص ((فتح الباب على مصراعيه أمام العبث في علاقات الجمل وقرائنها، بل يكون في حدود خاصة، ومواقف شائعة)) (١٣)؛ لا ياباه الاستعمال اللغوي. أما الشواهد القرآنية، والشواهد الشعرية (١٤). فلا يقاس عليها (١٥)؛ لأن الضرورات

الترخص في تركيب بعض القبائل العربية؛ لأنه يعدُّ درجة من درجات الصواب، وما دام كذلك فلا يصح أن يوصف بالخطأ؛ لأن المترخص صاحب لغة، وإن عدَّ من الشذوذ<sup>(١٠)</sup>. فر(الشذوذ لا ينافي الفصاحة))<sup>(١١)</sup>؛ ولهذا السبب قال أستاذنا طارق الجنابي: قد يكون ذلك مخالفاً للقواعد ولكنه داخل اللغة<sup>(١٢)</sup>.

ومن تلك الترخّصات: الترخص في العلامة الإعرابية في آخر الكلمات والأمثلة كثيرة على ذلك، والترخص في قرينة النسبة، والترخص في قرينة الرتبة، والترخص في إضافة الصفة إلى موصوفها، والترخص في قرينة الأداة.

**أولاً: الترخص في العلامة الإعرابية:** إن الحركة الإعرابية هي إحدى القرائن الأساسية، وإنَّ النحاة بالغوا في الحرص عليها<sup>(١٣)</sup>. وبالرغم من ذلك، ((فقد جوّز بعضهم التفريط بها من خلال بعض المواضع؛ لأن المعنى واضح بدونها))<sup>(١٤)</sup>، فتغني عنها قرينة، أو أكثر للوصول إلى المعنى المراد، فحين أُهدرت قيمة الحركة الإعرابية في كلام المحاضر، والمذيع، والمحامي، كانت هناك قرائن أخر تحافظ على المعنى؛ ولذلك أصبح إهدار قرينة العلامة الإعرابية في الكلام أمراً غير واضح الضرر؛ لأننا وصلنا إلى وضوح المعنى على أي حال<sup>(١٥)</sup>.

ويشترط للرخصة في العلامة الإعرابية أمران، وهما: أن لا يتوقف عليها المعنى، وأن يؤمن اللبس فيها، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(١٦)</sup>. بجر لفظ الرسول على قراءة أهل

بعض أعراب أهل البادية<sup>(١٧)</sup>.

وهو إتباع في الموسيقى اللفظية لا في المعنى<sup>(١٨)</sup>. ((وإنما أمن اللبس بالمفارقة في السياق بين البراءة وبين الرسول، وكذلك بين عدم صحة عطف الرسول على المشركين لانتهاء الجامع. ومن هنا كان الرسول معطوفاً على لفظ الجلالة سواء رفع أو خفض))<sup>(١٩)</sup>، وهذا المعنى تبناه ابن جني مخالفاً فيه سيبويه والجماعة فقال: ((هذا جحرٌ ضبٌّ خربٍ، فهذا تناوله سيبويه والجماعة على أنه جارٍ مجرى الغلط، وأنا أرى فيه مع ذلك أنه ليس بغلط، وذلك أن أصله هذا جحر ضب خربٍ جحره ثم حذف المضاف وهو الجحر))<sup>(٢٠)</sup>. ومما تقدّم يتبين أن المعنى - في الآية المباركة - واضح ولا يدعو إلى اللبس، ولا يحتاج إلى حركة إعرابية لتدل على أن الله ورسوله بريء من المشركين، أما إذا شكَّلت العلامة الإعرابية لبساً في المعنى لم يجز الاعتماد عليها، وإنما نعتمد على الدلالة السياقية للنص، ولذلك حلَّت القرينة الحالية محل قرينة الإعراب.

ومن الترخصات القرآنية في القرينة الإعرابية قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ رَّانٍ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾<sup>(٢١)</sup>. على قراءة أبي عمرو بن العلاء، وابن عامر، ونافع وحمزة، والكسائي، بتشديد نون (إنّ)<sup>(٢٢)</sup>، وهنا ((لا يتقدم خبر إنَّ على اسمها إلا أن يكون ظرفاً، أو جاراً ومجروراً، وليس قوله (لساحران) من هذا القبيل. فعلم (إنَّ هذان) اسم إنَّ فجاء الترخص في الإعراب؛ لأمن اللبس، ولإيجاد نوع من المناسبة الصوتية بين اسم إن وخبرها))<sup>(٢٣)</sup>

أَمَنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴿٣٠﴾ . ففي هذه الآية يشير ابن يعيش إلى أمر مهم وهو ((أنك لو عطف على الموضع قبل التمام لاستحال، إذ الخبر قد يكون خبراً عن منصوب ومرفوع قد عمل فيهما عاملان مختلفان فيجيء من ذلك أن يعمل في الخبر عاملان مختلفان وهذا محال)) (٣١) . أي لا يجوز أن يكون الخبر منصوباً لعامل عمل فيه النصب، ومرفوعاً لعامل عمل فيه الرفع في وقت واحد؛ لأن اجتماع النصب والرفع في الخبر محال. فالذين آمنوا منصوب بـ(إن)، والصابئون مرفوع كونه في موضع خبر، وفي الوقت نفسه معطوف على اسم إن، وفي هذه الحالة تعذر ذلك.

ومذهب الخليل وسيبويه في هذا التقديم والتأخير أن يكون الصابئون مرتفعاً بالابتداء، المعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله، والصابئون والنصارى كذلك أيضاً (٣٢) . أما الكسائي فقال: ((هو نسق على ما في هادوا كأنه قيل: هادوا هم والصابئون)) (٣٣) . وردَّ الزجاجُ على قول الكسائي فقال: وهذا خطأ لأن الصابيء على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية، وليس كذلك لأن الصابيء غير اليهودي (٣٤) .

ويرى تمام حسان أن الذي رفع (الصابئون) هنا قرينة التبعية لوضوحها أغنت عن قرينة العلامة الإعرابية (٣٥)؛ ولهذا قال: إنَّ قرينة العلامة الإعرابية يجوز أن تهدر، وتأتي علامة إعرابية مخالفة لما هو متفق عليه بشرط أن تأمن الجملة من اللبس، ويكون معنى الجملة مستساغاً عند السامع، وإن كانت

أما العلماء القدماء فقد أغرقوا بها تأويلاً؛ لكي يحملوها على الوجه الصحيح. فذكر أبو علي الفارسي: قرأ ابن كثير وحفص على أن (إن) تكون مخففة، دخلت اللام فرقاً بينها وبين النافية، وأبطل عملها لنقص لفظها، وقال الكوفيون (إن) هنا بمعنى النفي واللام بمعنى إلا، والتقدير: ما هذان إلا ساحران، وهو حسن على أصلهم غير أن أصحابنا لا يثبتون مجيء اللام بمعنى إلا. وقال أبو إسحاق الهاء مرادة والتقدير: إنَّه هذان لساحران، وقال قوم إن ههنا بمعنى نعم والمعنى نعم هذان لساحران، ويميل ابن يعيش مع استعمال بني الحارث في جعلهم المثني بالألف على كل حال (٣٤) .

وقال الواحدي ((إن هذا اللغة حارثية، وذلك أن بالحارث بن كعب (٣٥)، وختعما (٣٦)، وزبيداً (٣٧)، وقبائل من اليمن يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد)) (٣٨) .

أما الباحث فيخالف ما فسره القدماء؛ لأن آراءهم لا تخلو من التكلف والتعقيد، ولغتنا المجيدة مبنية على الذائقة والسليقة، فقوله تعالى (قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ) على قراءة أبي عمرو بن العلاء، وابن عامر، ونافع، وحمزة، والكسائي (٣٩)، بتشديد نون (إن) هي جملة لا لابس فيها، إذ يجوز الترخيص في العلامة الإعرابية؛ لإيجاد نوع من المناسبة الصوتية بين اسم إن وخبرها. وهذا أيسر بكثير من الإغراق في التأويل.

ومن قرائن الترخيص في الإعراب قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ



الحركة مخالفة لقواعد اللغة؛ ((فالصائبون معطوف على اسم إن الذي قبله بقرينة الواو أيضاً، أما خبر إن فهو الجملة الشرطية التي أولها من آمن)) (٣٦).

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أن إهدار القرينة لا تعني قطع الحركة، وإنما تعني مجيء حركة مخالفة للحركة المتعارف عليها في قواعد اللغة العربية؛ لأسباب صوتية، أو تجانسية، أو ذوقية، أو ما شاكل ذلك، فهو خروج على ما اتفق عليه من الاستعمالات والتراكيب اللغوية، فلا نستطيع في هذه الحالة الاعتماد على العلامة الإعرابية في فهم المعنى المراد؛ لأنها قد تكون خادعة في بعض المواقع، وإنما لا بد من الاعتماد على قرائن أخرى للوصول إلى المطلوب كالقرينة الحالية، وغير ذلك من القرائن، وبهذه الحالة ((يقوم العنصر الدلالي بعلاج كثير من المخالفات اللفظية المنطوقة)) (٣٧).

والغريب من الأمر أن أحد الباحثين يفهم من الترخص خلاف ما يراه ابن يعيش فهو يرى أن الترخص في الحركة الإعرابية هي قطع الحركة، وعدم النطق بها، وهذا الأمر يجره إلى ظاهرة الوقف في القرآن الكريم، ونحن نختلف معه في هذه المطالعة جملةً وتفصيلاً؛ لأنه قد خلط بين قطع الحركة، والترخص في الحركة فقال في ذلك: ((اتخذ العرب منحيين في ترخصهم للعلامة الإعرابية ويتجسد أولهما: في قطع الحركة في آخر الكلمة، أو الوقف عليها بالسكون، وثانيهما: بذكر حركة مغايرة لحركتها الأصلية)) (٣٨). وما يجب التنويه إليه هو أن الوقف شيء، والترخص شيء آخر. فقطع الحركة لا

تعني إهدار القرينة الصوتية، ومجيء حركة مغايرة للحركة الأصلية كما هو الحال في ظاهرة الترخص في القرائن.

**ثانياً: الترخص في قرينة النسبة:** من المعلوم أنه لا يمكن الفصل بين المضاف والمضاف إليه؛ لأنها كالكلمة الواحدة. فكل واحدٍ منهما يكون مفتقراً إلى الآخر؛ ل يتم بهما الكلام، ف((المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد، فإذا لم يكن هناك ما يمنع الإضافة كان في حكم الناقص الذي لا يتم معناه إلا بما بعده من المضاف إليه... فلا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه؛ لأنهما بحكم الشيء الواحد، فالمضاف إليه من تمام المضاف يقوم مقام التنوين ويعاقبه، فكما لا يحسن الفصل بين التنوين، والمنون كذلك لا يحسن الفصل بينهما)) (٣٩).

وقد نقل عن بعض النحويين أنه يجوز أن يفرق بين المضاف والمضاف إليه إذا جاز أن يسكت على الأول منهما؛ لأنه يصير ما فرق بينهما كالسكتة التي تقع بينهما، وقد قرأ ابن عامر **وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ** (٤٠) بنصب الأولاد وخفض الشركاء. فهذا فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول (٤١).

يرى أبو علي بأنه: ((قبيح قليل في الاستعمال؛ لأنهم لا يفصلون بين المضاف والمضاف إليه بالطرف الذي توسعوا فيه)) (٤٢)، فهذه المواضع من القرآن وقعت فيها بلاغة وإحكاماً لا تصرفاً وضرورة، وهذا الأمر لا ينحصر في القرآن فحسب، وإنما يقع ذلك في الشعر أيضاً إذا كان الشاعر متمكناً



ابن يعيش أنه لم يكن المضاف إليه من خواص الاسم فهذه الأشياء من غالب خصائص الأسماء. فكل كلمة دخلها شيء من هذه العلامات فهي اسم ولا ينعكس ذلك (٥٤).

**ثالثاً: الترخص في قرينة الرتبة:** قرينة الرتبة: هي قرينة لفظية، وعلاقة بين جزءين مرتبين من أجزاء السياق تخضع لمطالب أمن اللبس، وقد يؤدي ذلك إلى أن تتعكس الرتبة بين الجزءين المرتبين بها، ولكن كل واحد من الجزءين يدلُّ موقع كلٍّ منهما من الآخر على معناه (٥٥). وفي بعض المواقف يتطلب تقديم الخبر على المبتدأ إذا وقع المبتدأ نكرة والخبر ظرفاً. ومن ذلك قوله تعالى ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٥٦) ((على أحد التأويلين؛ أي لكن ربي هو الله، إذ أصبح ضمير الفصل غير فاصل؛ لتقدمه على اسم لكن وخبرها كليهما كما تقدم الخبر على الاسم بتقدم هذا الضمير)) (٥٧).

ويرى ابن يعيش أن (لكن) غيرت معنى الابتداء، ونقلته إلى الاستدراك. والأصل (لكن أنا هو الله) فحذف وأدغم، ويجوز أن تكون اللام هنا زائدة، وذهب الكوفيون إلى جواز دخول لام الابتداء في خبر لكن واستدلوا على جوازه بقول حميد بن يحيى (٥٨):

يَلْمُؤُنِّي فِي حُبِّ لَيْلَى عَوَاذِلِي

وَلَكِنِّي مِنْ حُبِّهَا لَعَمِيذُ

وإن أصل الكلام لكن أنا من حبها لعميد أو لكنني من حبها لعميد فتكون اللام داخلية في خبر المبتدأ لا في خبر لكن (٥٩). غير أن أبا علي الفارسي ذكر وجهاً

من لغته، بخلاف من يقول: إنه إذا وقع في الشعر لم ينسب إلى قائله عجزاً وتقصيراً كما يظن من لا علم له (٤٣).

ومن الترخصات التي وردت في القرآن الكريم في باب النسبة ورود المضاف إليه فعلاً على الرغم من اسميته، إذ الغرض من الإضافة الحقيقية التعريف، ولا معنى لتعريف الأفعال ولا الحروف. وترخص من هذه القاعدة قوله تعالى ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (٤٤). فقد جاء المضاف إليه فعلاً (٤٥).

قال أبو علي: من رفع اليوم جعل الخبر المبتدأ الذي هو هذا، وأضاف يوماً إلى ينفع والجملة التي هي المبتدأ والخبر في موضع نصب بأنه مفعول القول (٤٦)، ومن نصب (يومٌ ينفع) فعلى أن يوم منصوب على الظرف، والعامل فيه قال فيما تقدم ذكره من الآية السابقة ﴿قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ (٤٧)، وهذا قول الزجاج (٤٨)، وأبي علي (٤٩)، والانباري (٥٠). فيكون التقدير: قال الله هذا يقع أو يحدث يوم ينفع الصادقين، وقال الفراء: ((يجوز أن تنصبه؛ لأنه مضاف إلى غير اسم، فنصب كما هو يضاف إلى ما هو مبني وهذا لا يصح عند البصريين)) (٥١). وقول النابغة الذبياني (٥٢):

عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا

وَقُلْتُ أَلَمَّا نَصَحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

قال سيبويه ومن تبعه من النحويين: إنما بناه؛ لأنه أضافه إلى غير متمكن، وإن الأول كان مبهماً فإن حصر الثاني، وكل المبهمات كذلك (٥٣)؛ فلذلك يرى

جيداً لهذه القراءة، فجعل النون والألف في (لكننا) الضمير المتصل في نحو فعلنا، ولم يجعله الضمير المنفصل وهو أنا، ألا ترى أن أحداً لا يحذف الألف في نحن فعلنا، وعاد الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى، ولو عاد على اللفظ لكان: لكننا هو الله ربنا (٦٠).

**رابعاً: الترخص في إضافة الصفة إلى موصوفها:**  
إنّ الصفة والموصوف شيء واحد؛ لأنهما لعين واحدة، ففي قولنا: (جاءني زيدُ العاقلُ)، فالعاقل هو زيد، وزيد هو العاقل. فإذا كانت الصفة والموصوف شيئاً واحداً لم يجز إضافة أحدهما إلى الآخر فلا تقول: ((هذا زيد العاقل، وهذا عاقل زيد بالإضافة وأحدهما هو الآخر)) (٦١). وترخص من ذلك ألفاظ ظاهرها من إضافة الموصوف إلى صفة، والصفة إلى موصوفها والتأويل فيها على غير ذلك، فمن ذلك قولهم (صلاة الأولى، ومسجد الجامع، وجانب الغربي، وبقعة الحقاء)، فهذه الأشياء حقها أن تكون صفة للأول، إذ الصلاة هي الأولى، والمسجد هو الجامع. وإنما أزيل عن الصفة على تأويل أنه صفة لموصوف محذوف والتقدير صلاة الساعة الأولى يعني من الزوال، ومسجد الوقت الجامع أو اليوم الجامع، وجانب المكان الغربي، وبقعة الحبة الحقاء ♦ فإن قلت الصلاة الأولى، والمسجد الجامع فأجريته وصفاً له، فهو الجيد والأكثر، وإن أضفت فوجهه ما ذكرناه وهو القبيح؛ لإقامتك فيه الصفة مقام الموصوف، وليس ذلك بالسهل (٦٢).

وأطلق الأنباري على هذا النوع من الإضافة

بالإضافة غير المحضة؛ لأن التقدير في قولك صلاة الأولى صلاة الساعة الأولى، فلما كان الموصوف ههنا مقدراً كانت الإضافة غير محضة، وإذا كانت غير محضة لم تعد التعريف (٦٣). ((ومن قال ذلك فقد أزال الكلام عن جهته؛ لأن معناه النعت وحده الصلاة الأولى، والمسجد الجامع، ومن أضاف فجواز إضافته على إرادة: هذه الصلاة الساعة الأولى، وهذا المسجد الوقت الجامع أو اليوم الجامع، وهو قبيح بإقامة النعت مقام المنعوت)) (٦٤). ولو أراد به نعت الصلاة والمسجد كانت الإضافة إليهما مستحيلة من جانبيين حسبما يراه البصريون: والجانب الأول: إن الإضافة إنما يراد بها التعريف والتخصيص، والشيء لا يتعرف بنفسه؛ لأنه لو كان فيه تعريف لكان مستغنياً عن الإضافة، وإن لم يكن فيه تعريف كان بإضافته إلى اسمه أبعد (٦٥).

والجانب الآخر: لا يصح أن تضيف الشيء إلى نفسه لا تقول: هذا زيد العاقل (٦٦). أما الكوفيون فقد جوّزوا إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان واحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأنه قد جاء ذلك في كتاب الله، وكلام العرب كثيراً قال الله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٦٧)، واليقين في معنى نعت للحق، وقوله أيضاً ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (٦٨)، فأضاف دار إلى الآخرة وهما بمعنى واحد (٦٩). ويرى أحد الباحثين المحدثين أن مذهب الكوفيين أرجح، وأقرب إلى الواقع والصواب، وأن الغرض من إضافة الموصوف إلى صفته التخفيف بحذف (ال) من المحلى بها. فلا سبيل إلى التمسك

بالمنطق والفلسفة أمام النصوص القرآنية<sup>(٧٠)</sup>.

### خامساً: الترخص في قرينة الأداة

تعد قرينة الأداة من قرائن التعليق النحوية المهمة في الاستعمال العربي، فلكل أداة خصوصيتها في الجملة، فمثلاً الأداة (لا) النافية للجنس تدخل على النكرات فقط، فقال ابن يعيش في ذلك: ((الاسم الذي تعمل فيه (لا) لا يكون إلا نكرة من حيث كانت تنفي نفيًا عاماً مستغرقاً، فلا يكون بعدها معين))<sup>(٧١)</sup>.

وقد ترخص من هذه القاعدة أسماء قليلة ظاهرها التعريف، والمراد بها التنكير فمن ذلك قول

الشاعر<sup>(٧٢)</sup>: [من بحر الرجز المشطور]

لا هَيْثَمَ اللَّيْلَةَ لِلْمَطِيِّ

وَلَا قَتَى إِلَّا ابْنُ خَيْبَرِيٍّ

أنشده سيبويه والشاهد فيه نصب هيثم بلا، وهو اسم علم وهي لا تعمل إلا في النكرة، وجاز ذلك؛ بحسب تقدير ابن يعيش، ومن سبقه؛ لأنه أراد أمثال هيثم من الهيثمين كأنه قال: لا هيثم من الهيثمين ممن يقوم مقامه في جودة الحذاء للمطي<sup>(٧٣)</sup>.

ونحوه قول ذي الرمة<sup>(٧٤)</sup>: [البحر البسيط]

هِيَ الدَّارُ إِذْ مَيَّ لَأَهْلِكَ جِيرَةٌ

لَيْالِي لَأَمْثَالَهُنَّ لَيْالِيَا

فأمثالهن نصب بـ(لا)<sup>(٧٥)</sup>، ويرجع ابن يعيش السبب في ذلك بقوله: ((فلما قدر بمثل تنكر؛ لأن مثلاً نكرة وإن أضيفت إلى معرفة))<sup>(٧٦)</sup>. أما قول ابن الزبير<sup>(٧٧)</sup>: [البحر الوافر]

أَرَى الحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ

نَكِدْنَ، وَلَا أُمِيَّةَ فِي البِلَادِ

والشاهد فيه نصب أمية بلا وهو علم<sup>(٧٨)</sup>. على إرادة ولا مثل أمية<sup>(٧٩)</sup>. وتقول: (قضية ولا أبا الحسن لها) ((تجعله نكرة قلت: فكيف يكون هذا، وإنما أراد علياً رضي الله عنه؟ فقال: لأنه لا يجوز لك أن تعمل لا في معرفة، وإنما تعملها في النكرة... أنه دخل في هؤلاء المنكورين على وأنه قد غيب عنها، وإنما أراد أن ينفي المنكورين كلهم... كأنه قال: لا أمثال علي لهذه القضية))<sup>(٨٠)</sup>.

وقد أولها ابن يعيش بمعنى آخر، وهو: ((لا فاضل، ولا قاضي مثل أبي الحسن فالمراد بالنفي هنا العموم والتنكير لا نفي هؤلاء المعرفين وعلم المخاطب أنه دخل هؤلاء في جملة المنكورين، وليس المعنى على نفي كل من اسمه هيثم، أو أمية، أو علي، وإنما المراد نفي المنكورين كلهم في صفة هؤلاء. فالعلم إذا اشتهر بمعنى من المعاني ينزل منزلة الجنس الدال على ذلك المعنى))<sup>(٨١)</sup>.

والذي ينعم في النصّ يجد أن ابن يعيش يتفق مع سيبويه في وجوب أن تأتي بعد لا النافية للجنس نكرة، وإن جاءت معرفة لا بدّ أن تؤول بنكرة. والغريب من الأمر ما قاله الرضي فهو يصرّح بقاعدة لم يقلها أحد من النحاة مخالفاً سابقيه. فهو يميل إلى أن ((اسم لا النافية للجنس إذا كان مفرداً فهو مبني على ما ينصب به، وإن كان معرفة))<sup>(٨٢)</sup>. وهذا القول يستبعده الباحث جملة وتفصيلاً فهو مخالف للقياس، والسماع، وغير مقبول عند أغلب النحاة الكبار، فلم يقل به أحد منهم، بل منع أكثرهم دخول (لا) على اسم معرفة آنفاً<sup>(٨٣)</sup>.

## نتائج البحث

توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١. قِيمت الدراسة أثر لغة القرآن في تناول ظاهرة الترخّص ، فمعرفة الباب النحوي لا يكتمل إلا بمراعاة جملة من القيود التي يمكن إرجاعها إلى القرائن اللفظية والمعنوية وغيرها.
  ٢. استقصى البحث مسميات المحدثين لظاهرة الترخّص في القرائن، فمن تسمياتها: الانزياح ، أو العدول ، أو إهدار القرينة ، أو إطراح القرينة.
  ٣. ثبت في البحث أنّ إهدار القرينة لا تعني قطع الحركة ، وإنما تعني مجيء حركة مخالفة للحركة المتعارف عليها في قواعد اللغة العربيّة ؛ لأسباب
- صوتية ، أو تجانسية ، أو ذوقية ، أو ما شاكل ذلك ، فهو الخروج على ما اتفق عليه من الاستعمالات والتراكيب اللغوية عند النحاة.
٤. أثبتت الدراسة أن الشذوذ لا ينافي الفصاحة ، فقد يكون ذلك مخالفاً للقواعد ولكنه داخل اللغة.
٥. بيّنت الدراسة أنه لا يجوز الترخّص مطلقاً في القرائن، إلا إذا دلّ دليل على القرينة التي يراد الترخّص فيها؛ وذلك دفعاً لمنع حدوث أي لبس في المعنى، أو تجنباً لحدوث تدنٍّ في الذوق السليم المتعارف عليه.



## الهوامش

- ١- الخصائص: ٤١٣/٢، وينظر: الأشباه والنظائر: ١٨٥/١، والقرينة في اللغة العربية: ١٨٢.
- ٢- ينظر: العلامة الإعرابية: ٢٢١، واللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣١-٢٣٥، والقرائن النحوية وإطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي: ٥٣، والبيان في روائع القرآن: ٢٥٨-٢٢٩/١.
- ٣- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣١-٢٣٥، والقرائن النحوية وإطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي: ٥٣، البيان في روائع القرآن: ٢٥٨-٢٢٩/١.
- ٤- القرينة في اللغة العربية: ١٨١.
- ٥- ينظر: القرائن النحوية وإطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي: ٥٣.
- ٦- ينظر: البيان في روائع القرآن: ٢٣٠/١.
- ٧- محاضرة ألقاها الدكتور طارق الجنابي لمرحلة الدكتوراه بتاريخ: ٢٠١٠/١١/٩.
- ٨- ينظر: البيان في روائع القرآن: ٢٣٠/١.
- ٩- البيان في روائع القرآن: ٢٢٩/١.
- ١٠- في التركيب اللغوي: ١٢٤.
- ١١- الأصول، تمام حسان: ٢٢٤.
- ١٢- محاضرة قدّمها الأستاذ الدكتور طارق الجنابي لطلبة دكتوراه بتاريخ: ٢٠١١/٣/١٧.
- ١٣- ينظر: البيان في روائع القرآن: ٢٥٥/١.
- ١٤- اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٣.
- ١٥- ينظر: القرائن النحوية وإطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي: ٥٣.
- ١٦- سورة التوبة: ٣/.
- ١٧- ينظر: إعراب القرآن، للأصبهاني: ١٤٠-١٤١، والكشاف: ١٧٣/٢-١٧٤.
- ١٨- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٥.
- ١٩- البيان في روائع القرآن: ٢٥٦/١.
- ٢٠- التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: ١١٠.
- ٢١- سورة طه ٦٣/.
- ٢٢- ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٣/٢، والحجة في علل القراءات السبع: ٥٢٣/٣.
- ٢٣- البيان في روائع القرآن: ٢٥٧/١.

- ٢٤- ينظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٥٢٣/٣، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٦/١، (مسألة ٣)، وشرح المفصل: ١٣٠/٣.
- ٢٥- بالحارث بن كعب: ينسب إليه فخذ من القحطانية، وهم بنو الحارث بن كعب من مذحج. (معجم قبائل العرب: ١٠٢/١). وينظر: التفسير البسيط: ٤٣٨/١٤-٤٣٩.
- ٢٦- خثعم: قبيلة تنسب الى خثعم بن أنمار بن عمرو بن الغوث، وخثعم: جبل قيل إن هذه القبيلة سميت بذلك لنزولها إياه. ينظر: التفسير البسيط: ٤٣٨/١٤-٤٣٩.
- ٢٧- قبيلة قديمة من مذحج، أصلهم من اليمن نزلوا الكوفة. (معجم البلدان: ١٣١/٣).
- ٢٨- التفسير البسيط: ٤٣٨/١٤-٤٣٩.
- ٢٩- ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٣/٢، والحجة في علل القراءات السبع: ٥٢٣/٣.
- ٣٠- سورة المائدة / ٦٩.
- ٣١- شرح المفصل: ٦٩/٨.
- ٣٢- ينظر: الكتاب: ١٥٥/٢، ومعاني القرآن وإعرابه: ١٩٣/٢، والتفسير البسيط: ٤٧٥/٧.
- ٣٣- معاني القرآن وإعرابه: ١٩٤/٢، وينظر: التفسير البسيط: ٤٧٢/٧، وشرح المفصل: ٦٩/٨.
- ٣٤- ينظر: المصادر نفسها والصفحات نفسها.
- ٣٥- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٥.
- ٣٦- البيان في روائع القرآن: ٢٥٧/١.
- ٣٧- النحو والدلالة: ٢٣٦/٣، وينظر: القرينة في اللغة العربية: ١٨١.
- ٣٨- ينظر: القرينة في اللغة العربية: ٢٢١.
- ٣٩- شرح المفصل: ٧٢-٧١/٢.
- ٤٠- الأنعام ١٣٧/٧.
- ٤١- ينظر: شرح المفصل: ٢٣/٣، والجمل في البحث: ١٠٥.
- ٤٢- الحجة: ٤١٢/٣.
- ٤٣- ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢٠٥.
- ٤٤- سورة المائدة / ١١٩.
- ٤٥- ينظر: شرح المفصل: ٢٥/١.
- ٤٦- ينظر: الحجة: ٢٨٢/٣-٢٨٣، وتفسير البسيط: ٦٠٧/٧.
- ٤٧- سورة المائدة / ١١٦.

٤٨- معاني القرآن وإعرابه: ٢/٢٢٤-٢٢٥.

٤٩- الحجة: ٣/٢٨٣.

٥٠- ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٢٩٢ (مسألة ٣٨).

٥١- معاني القرآن: ١/٣٢٦-٣٢٧.

٥٢- البيت من الطويل، وهو من شواهد سيبويه. ديوان النابغة: ٥١، والكتاب: ٢/٣٣٠، ينظر: شرح المفصل: ١/٢٥.

٥٣- ينظر: الكتاب: ٢/٣٣٠، وينظر: الأصول: ١/٢٧٥، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٢٩٢ (مسألة ٣٨).

٥٤- ينظر: شرح المفصل: ١/٢٥.

٥٥- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٩.

٥٦- سورة الكهف / ٣٨.

٥٧- البيان في روائع القرآن: ١/٢٣٤.

٥٨- نسب ابن يعيش هذا البيت في شرحه للمفصل إلى حميد بن يحيى، ولكن من حقه ذكر أن هذا البيت لم يعرف قائله، ولم يذكر منه إلا هذا الشطر ولم ينشده أحد ممن وثق في اللغة، ولا عزى إلى مشهور بالضبط والإتقان. ينظر: حاشية شرح المفصل: ٨/٦٤. وقد ذكر ابن عقيل صدر البيت وهو: يلومونني في حبّ ليلي عواذلي. ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١/١٦٨.

٥٩- ينظر: الخصائص: ٢/٢٣٣، ٣/٩٢. وشرح المفصل: ٨/٦٤.

٦٠- ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/٢٧٥-٢٧٦، والحجة للقراء السبعة: ٥/١٤٦، والتفسير البسيط: ١٤/١٩.

٦١- شرح المفصل: ٣/١٠.

• سميت حمقاء لأنها تنبت في مجاري السيل فتجرفها السيول. (شرح المفصل: ٣/١٠).

٦٢- ينظر: أسرار العربية: ٢٥٢.

٦٣- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٦٤- الأصول في النحو: ٢/٨.

٦٥- ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٤٣٧ (مسألة ٦١).

٦٦- ينظر: الأصول في النحو: ٢/٨.

٦٧- الواقعة: ٢٧/٩٥.

٦٨- سورة الأنعام / ٣٢.



- ٦٩- ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥٥/٢- ٥٦، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٤٣٧/٢ (مسألة ٦١)، شرح المفصل: ١٠/٣-١١.
- ٧٠- ينظر: التوجيه النحوي للقراءات القرآنية عند السخاوي: ١١٤-١١٥.
- ٧١- شرح المفصل: ١٠٣/٢.
- ٧٢- البيت من الرجز المشطور، لبعض بني دبير. ينظر: خزانة الأدب: ٥٣/٤، وينظر: أسرار العربية: ٢٢٧/١،، شرح المفصل: ١٠٣/٢.
- ٧٣- ينظر: الكتاب: ٢٩٦/٢، وأسرار العربية: ٢٢٧/١، وشرح المفصل: ١٠٣/٢.
- ٧٤- البيت لذي الرمة. ينظر: الكتاب: ٢٩٢/٢، والأصول في النحو: ٣٨٨/١، وشرح المفصل: ١٠٣/٢.
- ٧٥- ينظر: الكتاب: ٢٩٢/٢، الأصول في النحو: ٣٨٨/١.
- ٧٦- شرح المفصل: ١٠٣/٢.
- ٧٧- البيت لعبد الله بن زبير بن فضالة بن شريك الوالي من أسد بن خزيمة، والزيبر بفتح الزاي وكسر الباء. زهر الآداب وثمر الألباب: ١٩٣/١، وشرح المفصل: ١٠٣/٢، وشرح شذور الذهب: ٢٧٣/١.
- ٧٨- ينظر: شرح المفصل: ١٠٣/٢.
- ٧٩- ينظر: الأصول في النحو: ٣٨٣/١.
- ٨٠- الكتاب: ٢٩٧/٢.
- ٨١- شرح المفصل: ١٠٤/٢.
- ٨٢- شرح الرضي: ١٥٤/٢.
- ٨٣- ينظر: الكتاب: ٢٩٧/٢، والأصول في النحو: ٣٨٣/١، وشرح المفصل: ١٠٤/٢.





## المصادر والمراجع

- ١- أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري ( ت ٥٧٧هـ ) ، تحقيق: محمد بهجة البيطار ، دمشق ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- ٢- الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، ١٩٧٥، وطبعة دار الكتاب العربي، تحقيق: فايز ترحيني، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
- ٣- الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو- فقه اللغة - البلاغة، تمام حسان، أميرة للطباعة عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٤- الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨م.
- ٥- إعراب القرآن للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني أبو القاسم الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتوراة فائزة بنت عمر المؤيد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٦- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس المصري (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط٣، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
- ٧- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٨٢م.
- ٨- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.
- ٩- التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت٤٦٨هـ)، تحقيق: محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، أشرف على طباعته د. عبد العزيز بن سطم آل سعود و د. تركي بن سهو العتيبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٠.
- ١٠- التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: د. سيدة حامد عبد العال، ود. تغريد حسن أحمد عبد العاطي، إشراف ومراجعة: حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة، ٢٠١٠م.
- ١١- التوجيه النحوي للقراءات القرآنية عند السخاوي (ت٦٤٣هـ)، في كتابه فتح الوسيط في شرح القصيد، رياض رحيم ثعبان، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٨م.
- ١٢- الجمل في البحث، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط٥، ١٩٩٥م.
- ١٣- الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الحسن عبد الغفار الفارسي النحوي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق:

عبد الله بن يوسف ابن هشام جمال الدين أبو محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢١- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش النحوي(ت٦٤٣هـ)، وضع فهارسه الفنيّة: الدكتور عبد الحسين المبارك، عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبّي القاهرة.

٢٢- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د. محمد حماسة عبد اللطيف، الكويت، ١٩٨٣م.

٢٣- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني ، (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ت).

٢٤- في التركيب اللغوي، د. أحمد علم الدين الجندي، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج: ٧١، س: ١٩٩٢م.

٢٥- القرائن النحوية وإطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلّي : مجلة للسان العربي، المملكة المغربية، مج ١١، س: ١٣٨٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٦- القرينة في اللغة العربية، الدكتورة كوليزار كاكل عزيز، دار دجلة، عمّان المملكة الأردنية الهاشمية ط١، ٢٠٠٩م.

٢٧- الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٨م.

٢٨- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: د. أحمد عيسى حسن المعصراوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٧.

١٤- الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين فهوجي - بشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

١٥- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٦- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠١٠م.

١٧- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، الطبعة الثانية. د. ت.

١٨- زهر الآداب وثمر الألباب، تأليف: إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، شرحه: د زكي مبارك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل - بيروت، الطبعة الرابعة، د. ت.

١٩- شرح الرضي على الكافية ، الشيخ رضي الدين الاسترابادي (ت٦٨٨هـ)، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، الكتب العلمية ، بيروت - لبنان (د.ت) .

٢٠- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب،

شلمي وعلي النجدي ناصف ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م ، والدار المصرية للتأليف والترجمة ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م .

٣٢- معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

٣٣- معجم قبائل العرب، الدكتور عمر رضا كحالة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

٣٤- النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة دار العلوم، جامعة القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

جار الله الزمخشري ، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض وفتحي حجازي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢٩- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط٥، ٢٠٠٦.

٣٠- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج (ت ٣١٠هـ)، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلمي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٣١- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق الجزء الأول : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، وتحقيق الجزء الثاني: محمد علي النجار وتحقيق الجزء الثالث: عبد الفتاح







ملاحح السيمولوجيا عند دي سوسير  
بين المفهوم والمرتكز

Features of Semiology to De Saussure between the  
Concept and Basic

م.م. بسّام علي حسين العميري

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Mr. Bassam Hussien Al-Umari

College of Education for the Humanities ,  
University of ThiQar

## ملخص البحث

يتميز القرن التاسع عشر بسمتين فيما يتصل بالدراسات اللغوية هما: التاريخية والمقارنة ، وكان هدف الدراسات اللغوية آنذاك البحث عن أصل اللغات ومعرفة صلات القربى بينها واستنباط القواعد الصوتية والصرفية والنحوية ، كما كان هَمَّها تصنيف اللغات على أسس كبيرة تنطوي على عدد من اللغات الحديثة ، واستناداً إلى النتائج التي وصل إليها العلم التجريبي ظهرت ( اللسانيات ) كأولى اللبانات التي مهدت لقيام صرح العلمية والموضوعية وأصبحت بذلك مفتاح الحداثة.

يتناول موضوع البحث مفهوم السيميولوجيا وأهم مرتكزاتها لدى دي سوسير ، فمفهوم السيميولوجيا كعلم قائم بذاته لم ينطلق من فراغ ، فقد استندت السيميولوجيا الأوربية لدى قيامها إلى علوم مختلفة كعلم الجمال والمنطق والرياضيات واللغة ... إلخ ، لتصبح علم اللسانيات أو الدلائل اللغوية وبدورها استندت إليها علوم أخرى كالأدب والترجمة واللغات ... وتسلسل منها علم الموسيقى والأنثروبولوجيا و التحليل النفسي ... وتفرعت عنها دراسات مهمة في علوم الإعلام والاتصال.



## ❖ Abstract ❖

The nineteenth century was disguised by two features : historical and comparative .The aim of language studies at that time was to search for the origin of languages and explain the connections among them to arrive at the rules of pronunciation , morphology and syntax. The concern was to classify languages into families from which modern languages are derived. Then according to the findings given by the empirical studies , linguistics appeared as a starting step which paved the way to the scientific and objective description which was the key to modernism.

The study explains the concept of semiology and its main principles according to De Saussure .Semiology as an autonomous science did not come out of the blue , but it the European Semiology was based on various sciences, such as aesthetics, logic, mathematics , language , etc. , which in turn has made other sciences , such as art , translation and languages to depend on linguistics or linguistic evidence , from which sprang sciences of music , anthropology , therapy , in addition to other sciences of media and communication



## المقدمة

قام سوسير بتجاوز الدراسات التاريخية ووضع منهجاً آخر يعتمد العلمية مواكباً بذلك التحولات التي عرفتها أوروبا، ففي علم اللغة يرى أنّ موضوعه الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وقد فرّق بين اللغة والأقوال المنطوقة والمكتوبة، فاللغة أصواتٌ دالّةٌ متعارف عليها في مجتمع معين، وإن لم توجد كواقع منطوق لدى أي فرد من أفرادها، أما الأقوال فكل الحالات المتحققة من استعمال اللغة، ولا تكون واحداً منها، بل ولا يلزم أن تكون جميعها ممثلة للغة في كمالها ونقائها المثاليين.

ومن أهم المرتكزات التي تشكل علم السيميولوجيا هي العلامة اللغوية فاللغة لدى دي سوسير عبارة عن مستودع من العلامات، والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، إذ يبرر الدليل اللساني لديه بمرحلتين: الأولى أنه لا يجمع بين شيء واسم، بل بين متصور ذهني وصورة سمعية، والآخر استخدامه لمصطلح المدلول و الدال بدل المصطلحين السابقين إذ يصف المدلول والدال بوجهي الورقة وجه جلي يمكن إدراكه هو الدال والآخر خفي لا يمكن إدراكه (المدلول) الذي يمثل الفكرة أو المفهوم اللذين يصلان إلى المتلقي عن طريق الدال .

فالحديث عن أهمية السيميولوجيا وعلاقتها باللغة التي أعطتها بعداً دلاليّاً مهماً و أكسبتها طابعاً علمياً أكثر دقة، ولعل أهم شيء أو دليل يربطنا بالسيميولوجيا هو العلاقات الوثيقة بينها وبين علوم الإعلام والاتصال الإعلامي ومعانيه و الأفكار و حواشيه و المحتويات الإعلامية و قراءة ما بين السطور، وفك رموز التشفير وجعل الاتصال الاجتماعي أكثر وضوحاً .

وأخيراً نجد أنّ النتيجة أو الهدف من الدرس اللساني هو التعامل مع النص الأدبي من الداخل وتجاوز الخارج المرجعي وعدّه نسقاً لغوياً في سكونه وثباته، وقد حقق هذا المنهج نجاحه في الساحتين اللسانية والأدبية حينما انكب عليه الدارسون بلهفة كبيرة للتسلح به واستعماله منهجاً وتصوراً في التعامل مع الظواهر الأدبية والنصية واللغوية، ويمكن القول: إن مشروع (دي سوسير) السيميولوجي إنما هو مستمد من دراساته اللغوية التي كانت الأساس في بلورة أغلب المفاهيم السيميولوجية وحتى التفكيكية وغيرها من المدارس الحدائثة الأخرى، فاللسانيات هي المنطلق الوحيد لهذه المدارس التي رأت في النتائج التي وصلت إليها السنية (دي سوسير) الأمل الذي لا بد من الوصول إليه، ومن المعلوم أنّ اللسانيات قد أصبحت في حقل البحوث الإنسانية مركز استقطاب بلا منازع فكل تلك العلوم أصبحت تلتجئ في مناهج بحثها وفي تقدير حصيلتها العلمية إلى اللسانيات وإلى ما تنتج من تقديرات علمية وطرائق في الاستخلاص ومرد هذه الظواهر كلها أن علوم الإنسان تسعى اليوم جاهدة إلى إدراك المنزلة الموضوعية بموجب ضغط التقدم العلمي على الإنسان الحديث.



## اختلاف المصطلح :

من الشائع عدُّ دي سوسير وبيرس معاً مؤسسي ما يطلق عليه بشكل عام ( السيميائية ) ، وانطلاقاً من هذا يركز الحديث في عدّة اتجاهات هي :

- 1- السيميولوجيا ، تشير إلى التقليد السوسوري إذ ورد هذا المصطلح عند دي سوسير ، في مخطوط له يرجع إلى العام ١٨٩٤ يستعمله متبعو التقليد السوسوري للإشارة إلى دراسة الإشارات مثال ذلك بارت ليفي شتراوس وكريستيفا وبودريار (١) .
- 2- السيميائية ، تشير إلى التقليد البيروسي في عملهم . مثال ذلك موريس و ريتشاردز .

وإنّ منشأ الاختلاف يرجع إلى أنّ الاقتراح الأول يشير إلى موضوع الدراسة التي تهتم بالدرجة الأولى بتحليل النصوص بينما يشير المقترح الآخر، (السيميائية) إلى دراسات ذات بعد فلسفي أكبر فهي ليست محض منهج لتحليل النصوص ، وإنما تتضمن نظرية الإشارات وتحليلها إضافة إلى الشيفرات والممارسات الدالة (٢) .

ومن هنا فإنّ السيميولوجيا عند دي سوسير هي علم العلامات أو السيرورات التأويلية ، لقد تنبه سوسير إلى أنّه من الجوهرية دراسة حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية ، وقد أعلن أنّ اللغة نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار ولذلك فهي تعدّ النسق الأهم ، إذ تستطيع أن تتصور علماً يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية وأنّه سيشكل

جزءاً من علم النفس الاجتماعي .

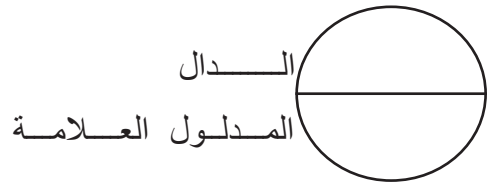
نجد أنّ الإستراتيجية السيميائية السوسورية تقوم على دراسة اللسان ، بالتغاضي عن تلك الخصائص التي تعنى بدراسة العلامة ضمن الاقتصاد العام للعلوم (٣) ، فهي تعمل على إزالة الشروط التاريخية والمعرفية التي تشكلت اللسانيات المعاصرة في إطارها ولذلك فإنّ العلامات تتحرك على وفق كيان سوسيو ثقافي (٤) .

فالسيميولوجيا عند دي سوسير ترتبط بالوظائف الاجتماعية التي تقترب من حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية (٥) ، ويُقترح تسميته بـ ( Semeiologie ) أي علم العلاقة تبعاً لتوصيف دي سوسير اللغة بكونها (( نظاماً من الإشارات جوهره الوحيد الربط بين المعاني والصور الصوتية وكلا طرفي الإشارة سايكولوجي )) (٦) ، القاضي بكونها (( نتاجاً اجتماعياً لملكة اللسان )) (٧) .

وسيميولوجيا دي سوسير لها مجموعة من المرتكزات هي :

**أ-** ثنائية المبنى ، من حيث إن الكلمة تتكون من وجهين ، الدال ( Signifiant ) الصورة الصوتية للمسمى ، والوجه الثاني هو المدلول ( Signifie ) أي الصورة الذهنية .

**ب-** العلاقة التي ترتبط بين الوجهين هي علاقة اعتبارية ، والمرتمس الآتي يمثل العلاقة التي تربط الدال بالمدلول (٨) في رأي دي سوسير :



تتحرك في اتجاه إحداث التوازن الدلالي الذي يؤسس لسهولة تعبير عن حجم التجانس على مستوى بيان الدور اللساني ، بحيث تحقق اصطفاً يشكل ضغطاً يخلق جدلاً سيمولوجياً يؤدي إلى توجهات جديدة، تحمل مشروعاً ينجز تقارباً في موازين القوى الدلالية من حيث إنه يعيد هيكلية المنجز الذي يفعل تقارباً يشكل ضغطاً على حركية العلامة ولذلك فإنها تتحرك في دائرة إنتاج فرز يتحرك في مدار التوجهات اللسانية التي تعيد الإنتاج السيمولوجي ولذلك فإن اكتمال ملامح الاقتران يسفر عن توجهات سيمولوجية تؤدي إلى نمو التواصل .

## ٢- الطابع الاعتباطي للعلامة اللغوية :

إنّ الاقتران بين دالها ومدلولها ليس مدفوعاً بدافع منطقي<sup>(١٠)</sup>، ولذلك فقد تنبه سوسير إلى أنّ الخاصية الاعتباطية للعلامة هي واحدة من الخصائص الأولية التي تستطيع أنّ تخصّ المؤسسات السيميائية بالتميز عن باقي المؤسسات الاجتماعية . وأنّ اعتباطية العلامة لا تتعلق بالفاعل المستعمل ، وهي غير متعلقة بحرية اختياراته فالعلاقة بين الدال والمدلول ضرورية وغير معطلة في الوقت نفسه فهي تتحرك في مقامين:

مقام الوضع ← طريقة انتقال المعنى في ذهن المستمع

مقام الاستعمال ← طريقة استعمال المتكلم للفظ في المعاني التي وضعها الواقع

يبين مرتكز حركية سيمولوجيا دي سوسير، ويكشف عن الضمانات الاستراتيجية التي تضغط على ( العلامة ) ؛ لتفجر إمكاناتها ، ولتمتلك قناعة تعكس الطيف الإجرائي .  
تبعاً للمندرجات الابستمولوجية ، فهي تملك معطيات تجمع بؤرة الارتكاز التي تقدم موفرات سيمولوجيا دي سوسير .

وعن طريق تعريف دي سوسير اللغة بأنها نظام من العلامات نجد أنّ محتوى المفهوم يتمحور حول الأطر الآتية :

## الإطار الأول : العلامة sign

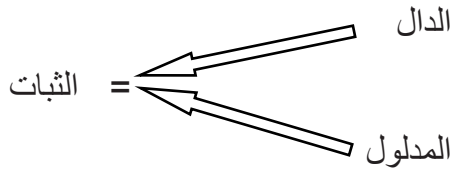
العلامة عند دي سوسير لها خمس خصائص :

### ١- اقتران غير قابل للحل بين الدال والمدلول :

إنّ الاقتران بين الدال والمدلول غير قابل للحل بمعنى أنّه ضروري بين المضمون الذي يسمى المدلول والشكل الذي يسمى الدال فإنّ وجود كل منها رهن بوجود الآخر<sup>(٩)</sup>، إنّ العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة تؤسس لتصور يحكم الرؤية على وفق التلازم .

الذي يعبر عن حجم الأداء اللساني بوصفه لا يخرج من المستوى العلاقي الذي يؤدي إلى انفتاح جدلية التعالق ولذلك فهو يخضع للتوافق اللساني لكونه يؤسس للشرعية الإبلاغية ؛ ولذلك فإنّ العلامة

إسقاط العمق الاستراتيجي لإنتاج الخطاب ولذلك فالعلامة تتحرك تحت صيغة الثبات التي تلتئم حول روابط معيارية فهي انعكاس للمواقف الثقافية التي تتحرك على وفق التفاعل والتبادل بوصفها تتحرك تبعاً للدوافع اللسانية ولذلك فهي تؤدي أدواراً يتآكل فيها أي خروج عن نطاق المرتمس العلاماتي فالطابع العلاماتي للعلامة اللغوية لا ينتج توتراً إجرائياً على مستوى العلامة .



ولذلك فالعلامة لا تتحرك على وفق استقطاب دلالي وإنما على أساس الاستقرار .

#### ٤- الطابع التطوري للعلامة اللغوية :

إنّ علامات اللغة تتطور بشكل تدريجي غير محسوس ولذلك فإنّ هذا التطور يتحرك في اتجاهين :

أ- التبدلات الفردية ، بحسب اختلاف تطبيق القوانين .

ب- التبدلات عبر الزمن وذلك أنّ القوانين وأنظمة العلامات تخضع لتعديلات على مرّ السنين (١٢) .

ومن هنا فإنّ التغيير اللغوي يُعدُّ المحتوى النظري لسيميولوجيا دي سوسير بوصفه يؤدي إلى تجاوز الرؤية المرجعية للعلامة من خلال تجاوز طبيعة المنظومة التي لا تقوم على التغيرات لينجز بذلك منطقاً للتغيرات يؤسس آلية لسانية تزيد وتعمق

فالاعتباطية تُلاحظ مقام الوضع عند دي سوسير ولا تعني عدم إقتضائية الدال على المدلول بل تعني أنّ فعلية الدلالة لم تكن قائمة على ذات الدال الذي يفتح الحضر الدلالي بوصفه يفرض إستراتيجية تتحرك في ضوء موازين جديدة تساعد على الحل الذي يعتمد على قيام رؤية تعقد العلاقة بين الدال والمدلول على أساس الالتقاء .

أما باعتداد مقام الاستعمال فيشكل حاضنة لمشروع عمل مشترك على وفق الواقع الذي يحضر فيه الاندماج الدلالي ويغيب عنه لينجز خطوة في سبيل التكامل فهو يشجع على انجاز بؤرة التواصل، ومن هنا فإنّ اعتباطية العلامة سمة تميز اللغة عن كثير من الأنظمة السيمية الأخرى ، وتحديداً أنّ الرموز المستخدمة فيها لا تملأها الحقيقة المعبر عنها وتقضي اعتباطية العلامة بأن تشكل لا علاقة طبيعية له بمعناها : فلكي تدل على شجرة ، فليس مهماً أن تلفظها بـ ( شجرة ) .

#### ٣- الطابع الجامد للعلامة اللغوية :

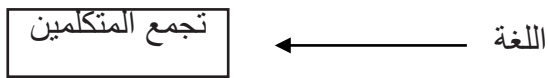
بمعنى أنّ العلامة غير قابلة على التغيير فكلمة ( شجرة ) موجودة في اللغة منذ سنوات وسنوات وبفضل هذا الاستقرار في النظام اللغوي يمكننا أن نتعلم اللغات (١١) ، فإن العلامة غير سيالة على مستوى إنتاج الدلالة وإنّ انعقاد الرؤية ينغلق على مردود ثابت لا يقدم أي دلالة جديدة تتجاوز ( العمق النواتي للعلامة ) ، وهنا يكمن عمق الخطاب الذي يستند إلى الاعتبار المرجعية التوافقية التي تؤدي إلى عدم

محتوى الخطاب ويتجاوز الإشتراطات التي تجعل من العلامة مجرد نواة دلالية متحجرة لا تحمل في داخلها تحولات تشير إلى الانجاز في الخطاب ومن هنا فإن الطابع التطوري للعلامة يتحرك على وفق محورين الثبات والتغير فالمحور الأول يرى دي سوسير أنّ استخدام الدال يتصف بالثبات ليس على مستوى الاختيار وإنما على صعيد نحو الاختيار ولا يمكن أن نتجاوز ما اتفق عليه بوصف أن الكلمة مرتبطة باللغة المستخدمة ويرى دي سوسير أنّه يمكن تسميتها بالأسلوب الدارج (بالحرية المقيدة في لعب الورق) فنقول للغة : اختاري ثم نضيف ولكن يجب أن تختاري هذه الإشارة لا غيرها فليس باستطاعة أي فرد - وان أراد ذلك - أن يغير على أي نحو الاختيار الذي اتفق عليه (١٣).

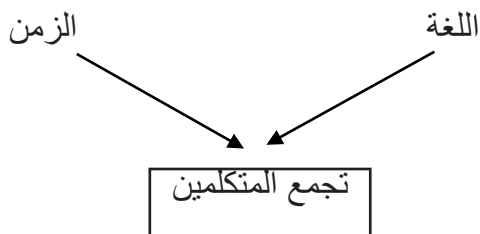
فالمحور الآخر التغيير ؛ أنّ الإشارة تتعرض للتغيير لأنها تملك القدرة على الاستمرارية وإبقاء كيانها بيد أنّ هذا التغيير لا يعني قطع جذور الإشارة وإنما هو شيء نسبي يعتمد على جعل التغيير يعتمد على مبدأ الاستمرارية (( فإنّ التغيير أمر لا بدّ منه حتى أنه يظهر في اللغات الاصطناعية ( غير الطبيعية ) فمن اختر لغة ما يستطع السيطرة عليها )) (١٤) قبل أن توضع موضع الاستخدام ولكن ما أن ندخل في مجال الاستخدام لتحقيق الغاية ، التي وضعت من أجلها ، حتى تصبح ملكاً لجميع الأفراد فيفقد صاحبها السيطرة عليها

فإنّ التغيير يفتح الإشارة بتوازنات جديدة تحقق الحيوية التي تدخلها في حالة من الحياة الكاملة ولذلك

فإنّ التغيير يتحرك على وفق عدة مبادئ هي :  
١- إنّ التفريق بين اللغة والكلام يؤدي إلى بيان أنّ اللغة ما هي إلا ظاهرة اللسان مطروحاً منها الكلام .  
٢- إنّ اللغة لا وجود لها خارج الاطار الاجتماعي .  
ولذلك فإنّ اللغة تتحرك على وفق التصور الآتي :



و طبقاً لما ذكرنا فإنّ اللغة ليست حية ، بل تملك مقومات الحياة أو الحياة الكامنة .  
٣- إنّ اللغة بوصفها تملك الحيوية من خلال سايكولوجية الجماعة فهي تخرج من هذا النطاق لتقوم على أساس الزمن من حيث إنّنا إذا ما أهملنا الزمن أصبحت الحقائق اللغوية ناقصة وصعب علينا التوصل إلى نتيجة وإذا نظرنا إلى اللغة ضمن الزمن وأهملنا مجتمع المتكلمين - تصوّر فرداً لوحدٍ يعيش عدة قرون - ربما لا نلاحظ أي تغيير فإنّ إهمال الزمن فاعلية القوى الاجتماعية سوف لا تؤثر في اللغة . فإذا أردنا أن نذكر جميع الحقائق علينا أن نضيف إلى الرسم الأول إشارة تدل على مرور الزمن



٢- علم اللغة الزمني يدرس (( العلاقات التي تربط بين العناصر التي تتعاقب زمنياً ولا يدركها العقل الجماعي وعلى عنصر يحل محل العنصر الآخر ، من غير أن تؤلف هذه العناصر نظاماً )) (١٩) نظراً لكون التعاقبية تقوم بوظيفة الوصف عندما ينسب إلى اللغة نفسها حالات من التطور مختلفة وقد استبعد سوسير الدراسة التعاقبية ورأى أن تدرس اللغة دراسة تزامنية بوصفها نظاماً من العناصر وذكر سوسير عنصرين من العلاقات المتبادلة في اللغة تقوم على كل من البعدين الأساسيين للتركيب اللغوي التزامني :

- أ- البعد الأفقي الذي يشير إلى تتابع المنطوق ( تجاور المفردات ) ويتعلق بالتموقع وإن صعيد التركيب يركز على المزج الإشارات اللسانية .
- ب- البعد الرأسي ( الترابطي ) المتمثل في أنظمة العناصر أو الفئات المتقابلة ( محور الاختيار ) وهو صعيد الانتقاء من حيث إنه يعقد علاقات ترابطية وإن مفهوم دي سوسير عن الترابطية أوسع وأقل شكلية .
- محور الاختيار

الاستبدال

إن العلاقة بين قطبي التزامن تقوم على التوتر الذي يؤدي إلى تهيئة المكون الدلالي إلى إنتاج عمق

فإن الزمن هو ما يسمح للغة بأن تتطور اثناء النظام (٢٠) .

### ٥- الطابع الخطي للعلامة اللغوية :

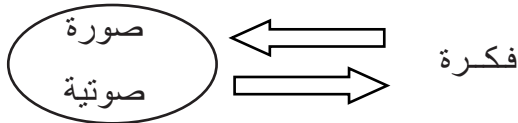
إن الدال في العلامة اللغوية خطي نظراً إلى الطبيعة الشفهية للغة ونظراً إلى الفيزيولوجيا الإنسانية فنحن لا نقدر على إنتاج سوى صوت واحد بسهولة بواسطة جهازنا الصوتي وهكذا فإن إنتاج المرسل اللغوية هو عبارة عن تتابع خطي (٢١) ، وهو بذلك يثبت سمتها الصوتية التي تفتح مساحة خطية على مستوى التلفظ الذي يؤكد رؤية تعطي مساحة للعمق الصوتي الذي يُبنى بالجانب التواصلي وهو بذلك يحقق الأهداف الإستراتيجية على مستوى إنتاج الخطاب تبعاً للمناخ الخاص للعلامة ولذلك فإن العلامة signo تعبر عن كل منطوق لغوي - طال أم قصر - ولهذا ، لابد من أن نفرق بين المنطوق المركب والمعقد (٢٢) .

### الإطار الثاني : الدراسة اللغوية :

أوضح دي سوسير أن هناك بعدين للدراسة اللغوية :

- ١- الدراسة التزامنية ( الأنية ) ( synchronic ) التي تعالج فيها أنظمة اتصال اللغات بوصفها تامة في ذاتها ، في أي زمن بعيد وتطلع الأنية بوظيفة التفسير إذا قدم مختلف الوقائع التي يحيل إليها بوصفها تنتمي إلى اللحظة نفسها وإلى اللغة ذاتها فإن علم اللغة التزامني (( يتناول العلاقات المنطقية والسايكولوجية التي تربط بين العناصر المتزامنة وتكون نظاماً في العقل الجماعي للمتكلمين )) (٢٣) .

الاسم في طبيعته صوتي أم سايكولوجي ؟ وبذلك فإنّ هذا الرأي بعيد عن الصحة ومع ذلك فإنّ هذا الرأي البسيط يمكن أن يقربنا من الحقيقة إذا وضع لنا أنّ الوحدة اللغوية هي كيان ثنائي ، كيان يتألف من الربط بين عنصرين (٢٠) ، ويخلص من ذلك إلى بيان أنّ الإشارة اللغوية هي كيان سايكولوجي له جانبان يمكن التعبير عنه برسم الاتجاهات



إنّ الصلة وثيقة بين الجانبين (العنصرين) فكل منهما يوحي بالآخر (٢١) ، ويمكن أن يتخذ النظام العلاماتي على وفق ما يأتي :

١- إنّ العلامة اللغوية لا تقرن شيئاً باسم ، وإنما تقرن مفهوماً بصورة سمعية .  
والمقصود بالصورة السمعية ليس الصوت المسموع ، أي الجانب المادي ، بل هو الأثر النفسي الذي يتركه الصوت فينا ولذلك فإنّ العلامة تتحرك تبعاً لمجالين هما :

- التصور ، هو المفهوم أو الإدراك الذهني .  
- الصورة السمعية ، الأثر النفسي الذي يتركه الصوت .

٢- اللغة المنطوقة من العلامات تعبر عن فكر ما . أما الكلام فهو عمل فردي يرجع للإرادة والعقل .

٣- قيمة العلامة تتحدد داخل النظام الذي يتضمن مفهوم الكل والعلاقة ، إذ لا يمكن فهم وظيفة الأجزاء

سيمولوجي العلامة على مستوى التواصل تؤدي إلى ادراك الواقع الذي يصنع حالة من الانفعال الإبلاغي أنّ دي سوسير يؤكد على أنّ المعنى بين الدالات ولذلك فإنّ علم اللغة الزمني يهتم بدراسة الظواهر مثل الشيفرات كما لو أنّها تجمدت في لحظة من الزمن وتركز البنيوية السوسورية على التحليل التزامني ، وليس الزماني بوصفه يبرهن على عمق ردود الفعل تبعاً لمنظومة الاستيعاب الذي يتحرك تحت مؤشرات الخطاب بما يؤسس لقراءة مفتوحة سيميولوجيا ويؤسس لعلاقات تخضع سلطة الخطاب صعيد التواصل فالتزامن يؤدي إلى إحداث تعديلات معبرة عن حيوية العلامة

### الإطار الثالث : طبيعة الإشارة اللغوية على وفق النظام :

يخالف دي سوسير بعض اللغويين في تصورهم لحركية الإشارة على وفق التسلسل الآتي :  
١- الإشارة sign ٢- المدلول signified ٣- الدال signifier

من حيث إنّ كل لفظة تدل على الشيء الذي تسميه فعلى سبيل المثال :

شجرة ← arbor

وينتقد دي سوسير هذا الرأي من حيث إنّه يتخذ موقفاً بسيطاً فهو يزعم أنّ الأفكار معدة مسبقاً وموجودة قبل الكلمات ، كما أنّه لا يخبرنا هل أنّ

الاختلافية مع الكل .

المنظومة العلائقية ← إثبات

المنظومة الارجاعية ← نفي

٤- الاختلاف :

قدّم دي سوسير فكرة أنّ الاختلاف يحتل موقع المركز في إنتاج المعنى أنّ العلامات تكتب معناها من خلال علاقاتها الاختلافية بعلامات أخرى ويمكن أن يندرج ذلك ضمن مؤشرات ثنائية التي تتبادل الإقصاء الأبيض / الأسود ؛ ففي مثل هذه الثنائيات غالباً ما يوضع المطابق والمختلف في علاقة تراتبية إذ يوصف المختلف وصفاً سلبياً خالصاً كونه ما ليس بالمطابق .

المختلف ← المؤلف

غير المعياري ← المعياري

يدخل البعد السيميولوجي الذي يوجه التفاعل الدلالي بوصفه نواة تأسيسية تفترض رؤية (٢٢) .

### التضاد بين المنظومة العلائقية والمنظومة الارجاعية :

يبرهن دي سوسير على أنّ المنظومة الشكلية العامة والمجردة هي التي تجعل الإشارات ذات معنى فتصوره للمعنى محض بنيوي وعلائقي بوصف أنّ انبعاث الأهمية للعلاقات وليس للأشياء وانطلاقاً من هذا فإنّ قيمة الإشارة تكمن في علاقتها مع بعضها في المنظومة وليس ناتجة من أي سمات داخلية في الدلالات ولا عن أشياء يمكن إرجاعها إلى الأشياء المادية .

إنّ المنظومة اللغوية تعبر عن أنّ كل شيء مرهون بالعلاقات إذ ليس من إشارة ذات معنى في ذاتها .

### الاستيعاب زاوية الرؤية في التطور الدلالي :

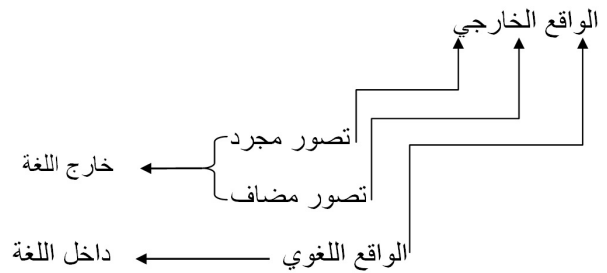
يرتكز الاستيعاب على تحديد بؤرة الحراك السيميولوجي الذي يحدد مؤثرات التأثير ، وذلك أنّ الاستيعاب يتلخص بكونه عملية استيعاب النصوص لمجرد إسقاط ذهني للبنى اللغوية ، ولذلك فالاستيعاب صيرورة معقدة في النص فالاستيعاب يحدد نقطة التعادل الإنتاجي نظراً لمنطلق قوى التشكيل الدلالي الذي يهدف إلى بناء تصور انطولوجي يرتكز على ما يصدر عن المصنف المؤطر للمستوى السيميولوجي . هناك موقفان لإنتاج المعنى (٢٣) :

١- المعاني خارج اللغة فهي توجد بشكل سابق على تعابيرها اللغوية التي تعكس بشكل سلبي الواقع الخارجي .

ينجز رؤية من التعقل السيميولوجي الذي يصب في مسار يلبي إطلاقات ( العلامة ) على صعيد انفتاح القراءة ليمثل موازين القوى التي تعيد ترتيب موجهاتها على مستوى الخطاب من خلال السماح بتسريب مدلولات جديدة تجسد الطموحات والتوجهات السيميولوجية التي تبرز مسارات العلامة .

٢- المعاني داخل اللغة فهي تتوقف على التقابلات داخل اللغة التي تبني بشكل نشيط الواقع الاجتماعي إذ تعكس الممارسات التي تعيد القارئ إلى أطر اللغة ولكن بناءً على أساس يرتكز على تمثيل الواقع الخارجي ولذلك فهو يأخذ موقفاً يفتح أطر العلامة على صعيد حركية منطوق الانفتاح الدلالي .

لعل هذا الأمر يدفعنا إلى تصوّر العلامة في هذا البعد ترتمي في أعماق الواقع الخارجي وما يترتب عليه من أدوار سيميولوجية تتحكم بمقاليده العلامة ويمكن أن نبين ذلك من خلال مرتسم الاتجاهات الآتي :



يبين المرتسم حجم الاستيعاب الذي يحقق جدلية الفهم على صعيد النظام الذي تتحرك داخل أطره العلامة . فاستيعاب يمارس سلطة تنشيط دلالي من حيث إنها تحقق صراعاً سيميولوجياً ، يتخذ إجراءات تفتح على تصورات كبرى تصل بالعلامة إلى نتائج تمارس تحت ظل الاستيعاب ولعل هذه التصورات لا تتجاوز ما هو مطروح من رؤية تدرج في الوعي الإبلاغي على صعيد الدلالة .

### ١- الاستيعاب الإنساني :

يحقق صلة إنسان جديدة ينتج عنها الابتكار

الدلالي الذي يتجه بالمصنف الدلالي نحو تدوين سيميائي ينجز تأثيراً يتكون تحت ضغط يفرض رؤية تنفذ أجندة تمثيلية (٢٤) ، فالإسناد فيها يرتكز على رصد الإطار المرجعي للانطلاق من خلاله إلى تشكيل محدد ابستمولوجي يطور الإدراك الذي يتواشج مع الإطار المرجعي لإبراز العلاقة التي تربط عناصر المكون الإنساني ( المسند الإطار حسي المسند إليه / الإطار العلاقي ) التي يجري في ضوئها طابع علاقي يرصد مصادر الجذب وموارد الاستقطاب التي يمارس من خلالها فاعليته الإجرائية على أثر ما يتولد من منهجية التمثيل ، ومن الملحوظ أن الإسناد يرتكز على بعدين :

أ- التباعد : يهدف إلى التبصر في إدراك التشابهات نظراً لما يطرح داخل المحيط الانطولوجي من تزاوج على مستوى التركيب الذي يستند على تمفصل التداخل الذي يخصب الرؤية سيميوطيقاً ليتولد على أثر ذلك هيكلية تنتج حالة وعي جديدة على وفق ما ترتب من إسناد يقرب بين التباعدات ، فهو يعلن إقامة تآلف يعتصم بحبل ( التشابه ) ، ولعل ذلك ما يطور إجراء الاستيعاب على وفق الاحتشاد الذي يردد في أثناء المركب الإنساني .

ب- التقارب : يعقد صلة دالة بين دالين ليتولد إدراكٌ واحدٌ يدخل المكون العلاقي لابستمولوجيا استيعاب الإسناد الذي يطلّ على تموضع يعلن عن ما يصدر من التخصيص الرؤيوي على وفق الإسناد وما يترتب على تفعيل الموثيق وتقارب بين منطلقات عناصر الإسناد . ولعلّ ذلك ما يكون مؤشراً بنائياً



يعكس سيرورة التجاوز ليحصل بذلك على مصف دلالي تمثيلي .

## ٢- الاستيعاب بالمعنى الواسع :

يعرف الاستيعاب بأنه (( إدراك معًا في فعل عقلي واحد لأشياء لا تجرب معًا أو حتى يمكن أن يكون بالإمكان أن تجرب معًا لأنها منفصلة بفعل الزمان أو المكان أو النوع المنطقي ، والقدرة على فعل ذلك شرط ضروري رغم أنه غير واضح للفهم )) (٢٥) . فهو يؤطر المؤشر السيميوطيقي على مستوى الإسقاط على الأشياء على وفق منطلقات الإدراك، فهو يتزامن مع المعطى الذي يتواءم مع التوقع في الدوائر الإدراكية التي ترشح الكثير من التمرس الانطولوجي الذي يتناسب مع التكامل الإبلاغي للاستيعاب بشكل مفعّل لأقصى ما يمتلك المحيط من منزلات زمانية ومكانية تجد لها حضورًا كبيرًا .

## أنماط الاستيعاب :

تحدد أطر التحرك الإجرائي على وفق الارتكاز الذي يتوزع نظرًا لمنطلقات التجانس مع فضاءات التوضع الإبلاغي عند التمثيل ، فهي تبلغ ما يهدف إليه الاستيعاب من محاولة تقوم على إنجاح القرار الذي يركز على بعد دي سوسير - لساني على وفق التوقع النمطي الآتي :

أ- الاستيعاب التصوري : يقدم تفاوضًا رؤيويًا ينطلق من واقع قريب من القرار بحكم أن الاستيعاب التصوري يجمع عناصره في ( شبكة مفردة وملموسة

من العلاقات ) (٢٦) تستلم الحاكم الذي يكمل الإنتاج السيميوطيقي ، فهو يتحالف مع الخريطة الإدراكية ليعقد منطلقات المؤشر الاستراتيجي لأنه يعمل على تحويل الارتباط الرؤيوي من الدلالة التصديقية التي تستند على مرتكز واقعي يفرز ممارسة جيدة للاستيعاب وذلك من خلال تجاوز الحدود الضيقة للوصول إلى حدود أرحب تفتح على أفق تشكل فيها الاستشراف الإبلاغي بحكم الدلالة التصويرية ، ولأنها توسع حجم التأثير على مستوى النفوذ ( للنسبة الذهنية ) التي تحكم الوجود الاستمولوجي للتمثيل .

ب - الاستيعاب النظري : يتجه بالوعي الإدراكي بالمعنى الواسع لتركيز الرؤية نحو تحرير الخبرات على وفق تحديد يعمل على استيعاب الأشياء على وفق حالة ما، أو بصفتها أمثلة على نظرية عامة (٢٧) . فهو يجعل من الخبرات السابقة معيارًا يحدد الإدراك عند التمثيل بحيث يعبر عن مطامح ما يتولد من المدرك الحسي بحيث يظهر المحاولات الاتصالية والتي تؤدي إلى اكتساب التدرج النظري عند الاستيعاب . أما أهم المرتكزات التي تشكل الحاكم الفيصل في تحريك الاستيعاب النظري ما يأتي :

١- المرتكز الانتقائي : يعكس الميل الذي يجتاز الموقف الكلي ؛ ليحدد موقفًا رؤيويًا يتماشى مع المرتكز الإدراكي ، فهو الحاكم الحاسم الذي يحدد الموقف الايديولوجي في منطلق الاستيعاب لأنه يعبر عن قوة التعبير اللفظي الذي يعكس الفعل المؤثر

الذي يمتد إلى ( الذات الفاعلة ) .

٢- المرتكز الاستباقي : يمثل ملمحًا أساسيًا يعمل على استيعاب العالم الذي يطلق جناح الرؤية نحو آفاق ( الإطار الذهني ) فهو يرسم ملامح التصور التي تولدت من التفاعل مع المكون ( السايكروني )؛ ليتحقق تواسجًا يعكس إنتاج البعد الانتقائي بوصفة معين الإدراك الكلي ، فهو يجسد فعل التأثير الذي يعبر عن قابلية التخلق في ( الذات الفاعلة ) .

**ج - الاستيعاب المقولاتي :** يراد به تكييف صيغ التمييز التي تحدد مجال المعادل الرؤيوي للاستيعاب بحيث لا تعبر القوة عن النمو الدينامي في الأشياء، وإنما يعبر عن فاعل الإسناد الثابت ، فالاستيعاب المقولاتي (( هو أن تقرر مع أي نوع من الأشياء تتعامل ، أي نظام للمفاهيم المسبقة ينظم تجربة تبقى بخلاف ذلك عشوائية ))<sup>(٢٨)</sup> . بمعنى أن التمثيل للخبرات السابقة يحدد لنا مقام الانطلاق المحدد للتعامل .

### موفرات الاستيعاب :

يوفر الاستيعاب تواصلًا سمات تعكس منطلقات الرؤية بما يهدف إليه من توسيع لمجال التبادل على مستوى الإجراء :

١- التنشيط : يعبر عن إيجاد توافق دلالي جديد يقوم على جذر الاختزال الاستمولوجي ، فهو يزيد من التصعيد التواصلي ، وفي هذه الحالة من التموضع سنتبع بإجراء أكثر فاعلية يؤدي إلى التواسج مع الجهة المبادرة على مستوى التوريد الدلالي ، فهو يرد على

الضيق الدلالي وعدم التواصل نظرًا للتقاطع الذي يرد على ذلك بالنثر التواصلي الذي يزيل معوقات التأطير السيميوطيقي بحكم أنه سيساهم في تحقيق الاصطفاف إلى جانب المؤشر الإبلاغي المرشح من خلاف الاستيعاب .

٢- الإيحاء : يخرق الجمود الدلالي الذي يشكل من التركيب الذي لا يقوم على التحويل الدلالي ، فهو يبتعد عن تقديم المعنى الواضح الذي لا يتكئ على تفجير الشعور ، إذ يعمل على شحن التمثيل بأكبر قدر ممكن من الدلالات والإشارات ، إذ يعمل على نقل المنظور المادي الشكلي إلى جوهر الرؤية الانفعالية للحياة<sup>(٢٩)</sup> .

٣- الإسقاط : يعبر عن التلاؤم السوسيو - ثقافي للفاعل الإبداعي ، فهو يعكس الامتداد الذي يمنح (( الخارج صفة الداخلي وقوامه على الأغلب ما يسمى بالمغالطة الوجدانية (Patheticfallacy) وسبيله الوحيد هو الصورة ))<sup>(٣٠)</sup> . بحيث يعدّ التمثيل الذي يسلط الضوء على الاستعداد السوسيو- لساني ، إذ يحدث تعلقًا يتوافق مع ( الذات الفاعلة ) لأنها تحدد مقومات التأطير على مستوى الامتداد الانفعالي فهو يروج للتفعيل الحاكم لمنطلقات النص على وفق لما هو سائد في تشكيل الرؤية التي جاءت لتنتقل الرؤية لأنها تفرغ الأسباب الإجرائية في معين الاستيعاب بحيث تجد مخيلة توشر إمداد الغطاء الذي يأتي بتصوير يجسد التعالق الذي اتجه بوعي إلى وضع رؤية تموج بما يعكس المجال الإجرائي الذي يتحرك على وفق ما يعتمد على إعطاء تموقع مقترح

في شقّ طريق يفضي إلى التبادل التمثيلي ((الذي ينبع من الخيال الفني ، وتلك هي القيمة العرفانية للفنون))<sup>(٣١)</sup>، لأنها تخلع طابعاً موضوعياً على حياتنا الوجدانية ، وتخلع طابعاً ذاتياً على إدراكاتنا الطبيعية وتبعاً لميكانيزم التعبير الذي ينطوي عليه التمثيل لأنه يشكل انبثاقاً رؤيويًا يطرز ( المصف الدلالي) بعمق جنياولوجي يمنح ( النص المؤطر ) أعماقاً تستثير الفكر، وتوسع أماد الخيال ، وتبعث الحياة في الكلمة

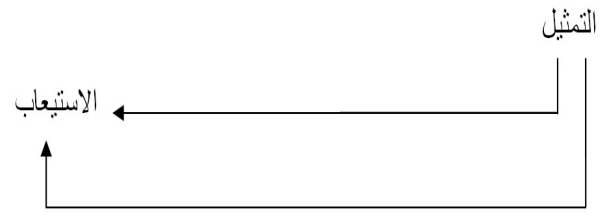
**يحكم تحرك التعبير في الأعمال الأدبية على وفق نمطين :**

**أ-** التعبير السايكولوجي ، الذي يعبر عن النفس و ( لانجر ) ترفض مثل هكذا تعبير؛ لأنه عندئذ سيكون إشارة أو عرضاً عما يشعر به الفنان، فالتعبير السايكولوجي ما هو إلا ردُّ فعل لما هو واقع ، أو موقف حاضر ، أو حدث . بمعنى أن هذا التعبير يعبر عن الخبرة الفعلية ( Actual experience ) <sup>(٣٢)</sup> .

**ب-** التعبير بالمعنى المنطقي ( Logical Expression ) ، (( بمعنى تمثيل الفكرة والأثر الذي يتم عن طريق تمثيل الفكرة هو الرمز )) <sup>(٣٣)</sup> . البحث يرى أن التمثيل يتكون من البعدين التعبيريين .

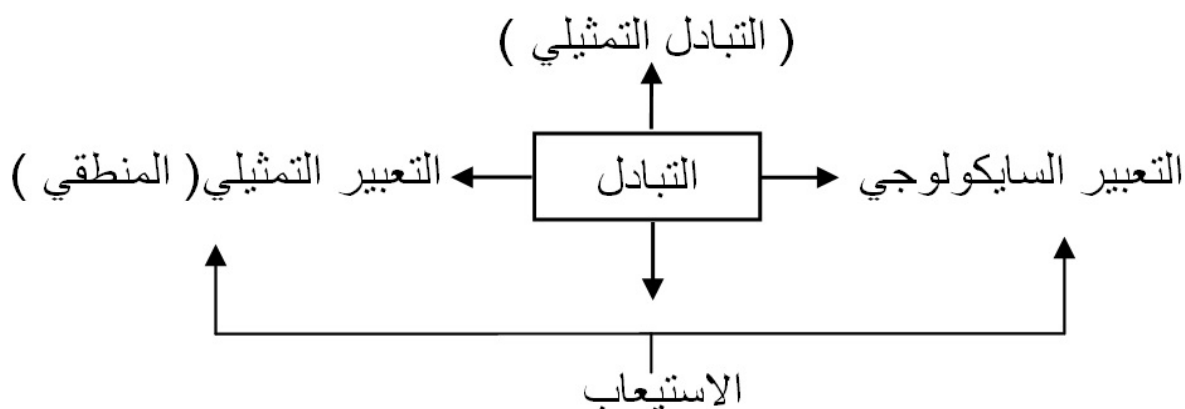
إن ( التعبير التمثيلي / المنطقي ) يشتمل على

يعمل على تحديد الارتكاز السيميوطيقي عند التبادل . ويمكن أن يوضح عن طريق المرسوم الآتي :



يجسد الاستيعاب بؤرة الإدراك التي تنتهي بالتمثيل إلى النجاح في التبادل السوسيو- لساني ، إذ يعمل على تكشف المؤشر السيميوطيقي بوصفه مرتبطاً بتنفيذ الإطار الذهني الذي يشرف على النفوذ في التمثيل نظراً لكونه يتعدى وكونه الإطار المرجعي، فهو يوسع من التصور الذي يقدم من مكون التمثيل بحكمه يعتمد على مجريات التبادل الذي يصدر عن رؤية إبلاغية تتسرب إلى داخل الفعل التأثيري الذي يمتد ليعكس خصال المؤشر الإجرائي للاستيعاب بحيث تجد لها بعد التعالق الدلالي مخرجاً يرسو على شاطئ مكون التمثيل الذي وافى به الاستيعاب عندما أفصح بذلك الإدراك الذي أنماه على مستوى نشر التصور نظراً للإطار المرجعي ، فالاستيعاب يدرج في أثناء البعد الإجرائي للتمثيل نظراً لكون الأخير يعبر عن المنبعث الكلي الذي ينتج عن التحرك المؤطر لرؤية التبادل ، فهو من يفود الوتد البؤري في عملية رصد الممثل .

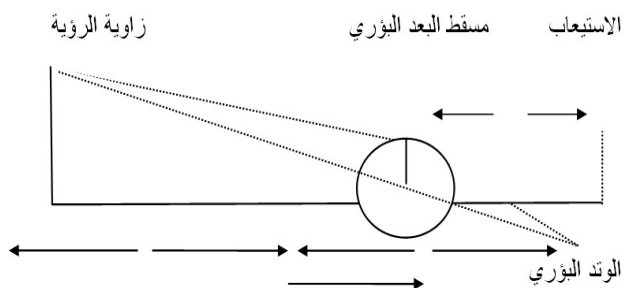
إن الأجواء السيميوطيقية التي تغطي فضاء النص وتؤمن المسؤولية التي هي وليدة الشعور الدلالي لوجود رؤية متحكمة بثروات التمثيل وبمقدراتها



الكفاءة اللسانية لدلالاتها الحافة .

٢- **الحكم** : وهو المحمول الذي يسوغ لعناصر المرسله الكلامية التواشج ويتمثل بالذات المرسله والذات الغيرية فهو يعبر عن علاقة البعد البؤري .

٣- **الفرع** : وهو الموضوع الآخر (٣٤) الذي يكون من تشخيص التعبير التمثيلي زاوية الرؤية الثانية ، فهو الكفاءة الكونية بوصفة مسقط زاوية الرؤية المرجعي التي تبلغ أوج حدتها في تباشير التمثيل الذي يكشف عن كسر أفق التوافق والانسجام بين الموضوع الأول الخارجي والموضوع الثاني ( الفرع ) النسبة الذهنية بوصفه الحكم الذي يعيد صياغة الرؤية بشكل جمالي لا توثيقي . ويتوضح ذلك من خلال المرتسم الآتي :



في التعبير التمثيلي زاوية تقع على مسافة أكبر

التعبير السايكولوجي تبعًا لبعد ( الاستيعاب ) الذي يغطي جميع أبعاد التعبير لأنها تعد من مؤثرات التمثيل على مستوى المرتكز الإجرائي ، وساد الاعتقاد الذي يعلن عن كيفية السيطرة على تخليق رؤية من الانسجام الذي يبلغ بالمصف الدلالي إلى أعلى درجات الرؤية التي تضمن الانفتاح، لتحدث الرؤية السليمة التي تحمل تنمية شاملة تجذر استراتيجية واضحة تفوق سلطة ليست منعزلة عن الواقع الذي سارت عليه القيادة المركزية في رفعها مستويات التعالق التي تتسم بطابع النضوج السيميوطيقي لأنه يوضح ارتباطات الحركة والذي يسعى في الكشف عن جميع تنظيماتها التي ترفع على مبتنيات تشكيلاتها التعبيرية التي سرت في أوساط الاصطباغ الدلالي الذي يظهر كشوفات التمثيل ، بحيث يسعى إلى محاولة إعادة الفهم من خلال تطويع مقتضيات المكون الدلالي بشكل ينسجم مع أركان التمثيل التي هي :

١- **الأصل** : الموضوع الذي ثبت له الحكم على وفق زاوية رؤية عدسة التمثيل ، فهو يعبر عن محتوى

عن ( التأثير الموارب ) من حيث إن (( هذا التمثيل للمدركات الحسية ، هو الذي ينقل الدلالة المعنوية من إطار ضيق إلى عالم رحب تنهض من خلاله الإحساسات المحترمة ))<sup>(٣٨)</sup> في وجدان ( الذات الفاعلة ) .

وما يتمظهر في النص بشكل يخرج من كونه مصداقاً لظواهر الطبيعة ليصير متحصلاً من تمظهرات ( الذات الفاعلة ) ، بحيث يخرج من حدّ الكيفية المخصوصة إلى الكيفية التمامية التي تجعل من التعبير يتعالق تمثيلاً في بيان( التبادل التمثيلي ) .

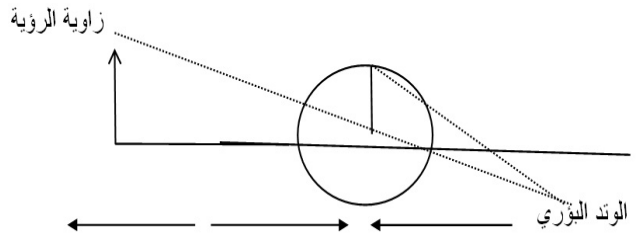
### أهم نتائج البحث

دارت مقاربات البحث حول لمّ الشمل الذي يترسم خطى السيميائية لأنه يتحرك على وفق إجراءاته ويشدُّ أوتار القراءة ، ليشرع أبواب البحث على مراجع سبل مؤشرات الرصد السيميولوجيا على التمفصل الآتي :

١- السيميائية ، تعرّض فيها البحث إلى أهميتها من حيث إنها تمدّ بظلالها الوارقة إلى مستوى ( العلامة ) عند قراءة النص ومن ثمّ عرّج البحث إلى بيان جذور السيميائية ممثلة بـ ( سيميولوجيا دوسوسير ) .

٢- دخول العلامة في أفق التمثيل هو ضد العلامة التراثية تبعاً لكونه ينحاز إلى العائد الميتاخرافي وانتهاج أساليب جديدة وتبني جميع مبادئها ومفاهيمها وبذلك ظهرت بوصفها محفزاً للاتساع الدلالي .

من مسقط البعد البؤري على العكس من التعبير السايكولوجي الذي تكون فيه زاوية الرؤية تقوم على مسافة أصغر من مسقط البعد البؤري ، ويمكن أن يمثل ذلك بالمرتمس الآتي :



فالتصور المعاكس الذي يصادر بعض مجالاتها ويحكم عليها من حيث إنّ هذين الخطين التعبيريين كل واحد منهما مستقل استقلالاً نسبياً عن الخط الآخر ، ولكن هذا الاستقلال لا ينفي التفاعل والتأثير المتبادل إلى حدّ ما بين هذين الخطين ، فلكل منهما لون من التأثير الطردي أو العكسي على الخط الآخر<sup>(٣٥)</sup> ، وذلك على صعيد بؤرة الاستيعاب عند إنتاج الخطاب الذي يساهم في بيان المنحى السيميوطيقي الذي يفهم الواقع داخل إطارات ثقافية خاصة كما يرى رولان بارت<sup>(٣٦)</sup> ، ولكن بعد الارتكاز على ( نواتية ) التعبير السايكولوجي ، يشدد على أهمية توسيع نطاق الرؤية التي تتصاعد من أجل توفير خيارات تمثيلية تزيد من فاعلية اشتباك الذات الفاعلة مع نصها بالفعل<sup>(٣٧)</sup> ، إذ يمضي بفتح تطلعات النص سعياً إلى البلورة ويصفها يعزز احتمالات أكبر للتفاعل .

وتشكل ملمحاً مهماً يركز على فعل المثاقفة لأنه يجعل من الاستلهام دلالة تحشد وتجسد سوسيولوجيا التعبير ، فيقيم علاقة اتصال توفر بعداً درامياً يعبر

٣- الإلحاق المستمر للدلالات التي تؤكد بشتى الأساليب تميز التمثيل ، وهي بذلك تلتزم بالعهود السيميائية التي تعبر عن شرعية الاقتراب من حسم الخيارات على مستوى تفهم الإدراك الدلالي الذي يصعد من المواجهات التي تطور بؤرة السيميولوجيا، وتؤدي إلى إنتاج رهانات تسير في محيط الخطاب

لكونه الأرضية التي توفر الجو الملائم ، وترفع من سقف التغطية السيميولوجي ؛ لكونه يتعاطى مع مستلزمات الخطاب التي تدعم الموقف الايديولوجي ، لأنه يعطي بعدًا تفاعليًا يقود إلى بيان المغزى التبادلي الذي يعيد إلى الواجهة مظهرات إنتاج الوعي .



## الهوامش

- ١- أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر ، ترجمة د . طلال وهبه ، مراجعة ميشال زكريا ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ م : ٤٤٨ .
- ٢- ينظر : المصدر نفسه : ٤٤٨ .
- ٣- ينظر : السيميائيات أو نظرية العلامة ، جيرار دولودال ، ترجمة : عبد الرحمن بوعلي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ٢٠١١ م : ١٧ .
- ٤- ينظر : سيميائية اللغة ، جوزف كورتيس ، ترجمة : جمال حضري ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٠ م : ٢٥ .
- ٥- علم العنونة : عبد القادر رحيم ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر - دمشق ، ط١ ، ٢٠١٠ م : ١٩ - ٢٠ .
- ٦- علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة : د. يوثيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي : د . مالك يوسف المطلبي ، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية - بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥ م : ٣٣ .
- ٧- ينظر : المصدر نفسه : ٢٧ .
- ٨- ينظر : المصدر نفسه : ٢٧ .
- ٩- ينظر : لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة ، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة : د. عبد الفتاح ، أحمد يوسف ، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت ، منشورات الاختلاف - الجزائر ، ط١ ، ٢٠١٠ م : ٦٤ .
- ١٠- المصدر نفسه : ٦٨ .
- ١١- ينظر : المصدر نفسه : ٨٧ .
- ١٢- ينظر : علم اللغة العام : ٩٠ .
- ١٣- المصدر نفسه : ٩٤ .
- ١٤- ينظر : المصدر نفسه : ٩٦ .
- ١٥- ينظر : المعجمية وعلم الدلالة المعجمي ، د. سمير خوراني ، دار الفارابي - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ م : ٥٠ .
- ١٦- ينظر : المدخل إلى اللسانيات برتيل مالبرج ، ترجمة : السيد عبد الظاهر ، مراجعة وتقديم : صبري التهامي ، المركز القومي للترجمة - القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠ م : ٣٨ .
- ١٧- علم اللغة العام : ١١٧ .

- ١٨- المصدر نفسه : ١١٧ .
- ١٩- ينظر : المصدر نفسه : ٨٤ .
- ٢٠- ينظر : المصدر نفسه : ٨٦ .
- ٢١- اللغة السيميائية والكتابة في الصورة : مارسيل مارتان ، ترجمة : فريد الكزاوي ، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما في الجمهورية العربية السورية -دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ٤٣ .
- ٢٢- المصدر نفسه : ٤٥ .
- ٢٣- ينظر : الزمان والسرد الحبكة والسرد التاريخي : بول ريكور ، ترجمة : سعيد الغانمي ، فلاح رحيم ، راجعه عن الفرنسية : د. جورج زيناتى ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م : ١ / ١٤
- ٢٤- الزمان والسرد : ١ / ٢٥٠ .
- ٢٥- ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٥٠ .
- ٢٦- ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٥٠ .
- ٢٧- المصدر نفسه : ٢ / ٢٥٠ .
- ٢٨- ينظر : تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث : د. نعيم اليافي ، مركز الإنماء الحضاري ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م : ٥٧ - ٥٨ .
- ٢٩- المصدر نفسه : ٩٠ .
- ٣٠- الإدراك الفني والضوء الطبيعي : سوزان لانجز ، ترجمة : راضي حكيم ، الثقافة الأجنبية ، ع ( ٢ ) ، السنة الرابعة / ١٩٨٤ : ٤٠ .
- ٣١- ينظر : التعبيرية في الأعمال الفنية : راضي حكيم ، الأقلام ، ع ( ١٠ ) ، السنة التاسعة عشرة - تشرين الأول / ١٩٨٤ : ٥ .
- ٣٢- ينظر : المصدر نفسه : ٥ .
- ٣٣- ينظر : أساسيات المنطق : الشيخ محمد صنقور علي البحراني ، حوزة الهدى - البحرين ، ط٢ ، ٢٠٠٨م : ٤٥٩ - ٤٦٠ .
- ٣٤- ينظر : النظرية الاجتماعية الإسلامية ( دراسة في فكر السيد محمد باقر الصدر ) : السيد منذر الحكيم ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ١١٩ .
- ٣٥- ينظر : نظرية الثقافة : محمد جواد أبو القاسمي : ترجمة : حيدر نجف ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ١١٠ .
- ٣٦- ينظر : العصر الوسيط ، أبجدية الأيقونة ، دراسة في الأدب التفاعلي الرقمي :



د. عادل نذير ، ( د. ط ) ، ( د. ت ) : ١٠٣ .

٣٧- تجليات الرماد ( دراسة في شعر سلمان الجبوري ) : أ.د. عبد الكريم راضي جعفر ، الأقاليم ، ع

( ٤ ) ، ٢٠٠٨ م : ٣٦ .



## المصادر والمراجع

- ١- أساسيات المنطق : الشيخ محمد صنقور علي  
البحراني ، حوزة الهدى - البحرين ، ط٢ ، ٢٠٠٨م
- ٢- أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر ، ترجمة  
د . طلال وهبه ، مراجعة ميشال زكريا ، المنظمة  
العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م.
- ٣- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث :  
د. نعيم اليافي ، مركز الإنماء الحضاري ، بيروت ،  
ط١ ، ٢٠٠٣م .
- ٤- الزمان والسرد الحكمة والسرد التاريخي : بول  
ريكور ، ترجمة : سعيد الغانمي ، فلاح رحيم ،  
راجعه عن الفرنسية : د. جورج زينات ، دار الكتاب  
الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- ٥- سيميائية اللغة ، جوزف كورتيس ، ترجمة :  
جمال حضري ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر  
والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- ٦- العصر الوسيط ، أبجدية الأيقونة ، دراسة في  
الأدب التفاعلي الرقمي : د. عادل نذير ، ( د . ط )  
( د . ت ) .
- ٧- علم العنونة : عبد القادر رحيم ، دار التكوين  
للتأليف والترجمة والنشر - دمشق ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- ٨- علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة  
: د. يوثيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي :  
د . مالك يوسف المطلبي ، سلسلة كتب شهرية تصدر  
عن دار آفاق عربية - بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥م .
- ٩- لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة ، فلسفة المعنى  
بين نظام الخطاب وشروط الثقافة : د. عبد الفتاح ،  
أحمد يوسف ، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت ،  
منشورات الاختلاف - الجزائر ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- ١٠- المدخل الى اللسانيات ، برتيل مالبرج ، ترجمة  
: السيد عبد الظاهر ، مراجعة وتقديم : صبري  
التهامي ، المركز القومي للترجمة - القاهرة ، ط١ ،  
٢٠١٠م .
- ١١- المعجمية وعلم الدلالة المعجمي ، د. سمير  
خوراني ، دار الفارابي - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- ١٢- النظرية الاجتماعية الإسلامية ( دراسة في فكر  
السيد محمد باقر الصدر ) : السيد منذر الحكيم ،  
مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ،  
ط١ ، ٢٠٠٨م .
- ١٣- نظرية الثقافة : محمد جواد أبو القاسمي :  
ترجمة : حيدر نجف ، مركز الحضارة لتنمية الفكر  
الإسلامي - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- الدوريات :
- ١- الإدراك الفني والضوء الطبيعي :سوزان لانجز ،  
ترجمة : راضي حكيم ، الثقافة الأجنبية ،  
عدد ( ٢ ) ، السنة الرابعة / ١٩٨٤ .
- ٢- تجليات الرماد ( دراسة في شعر سلمان الجبوري  
) : أ. د. عبد الكريم راضي جعفر ، الأعلام ، عدد  
( ٤ ) ، ٢٠٠٨ .
- ٣- التعبيرية في الأعمال الفنية : راضي حكيم ،  
الأعلام ، عدد ( ١٠ ) ، السنة التاسعة عشرة - تشرين  
الأول / ١٩٨٤ .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا  
لِلَّهِ صُمٌّ كَلِمَاتُهُ يُكَلِّمُ  
مَنْ يَشَاءُ لِيُخْرِجَكَ مِنَ  
ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ

فَأَمَّا الْفِرْعَوْنُ  
فَكَرَّهَا كَالْحِيَاطِ  
فَرَأَى نُوحًا الْكَافِرًا  
فَأَعْتَقَهُ مِثْلَ الْأَقْرَبِ  
فَكَرَّمَهُ وَأَغْنَاهُ  
مِنَ الْفَقْرِ



أثر إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في التحصيل  
والاستبقاء لدى طلبة كلية التربية في مادة طرائق  
تدريس اللغة العربية .

The impact of K.W.L Chart Strategy on the Achieve-  
ment and Retention of the Students of the College of  
Education in Methods of Teaching Arabic

أ.م.د. نجم عبدالله غالي الموسوي

قسم العلوم التربوية والنفسية

كلية التربية – جامعة ميسان

Assist.Prof.Dr. Najim Abdullah Ghali Al-Musawi ,  
Department of Educational and Psychological Science  
,College of Education, University of Misan

## ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة أثر إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في التحصيل والاستبقاء لدى طلبة المرحلة الثالثة في أقسام اللغة العربية في كليات التربية في مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، أعتد الباحث منهج البحث التجريبي من خلال اختبار الفرضيتين الآتيتين :

١- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ( ٠,٠٥ ) ، بين متوسط درجات تحصيل طلبة المجموعة التجريبية،الذين يدرسون مادة طرائق تدريس اللغة العربية بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، ومتوسط درجات تحصيل طلبة المجموعة الضابطة ، الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية .

٢- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية ( ٠,٠٥ ) ، بين متوسط درجات الاستبقاء ، لدى طلبة المجموعة التجريبية ، الذين يدرسون مادة طرائق تدريس اللغة العربية بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، ومتوسط درجات الاستبقاء ، لدى طلبة المجموعة الضابطة ، الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية .

أقتصر البحث على طلبة قسم اللغة العربية في كلية التربية – جامعة ميسان من العام الدراسي ٢٠١٢ – ٢٠١٣ ، وعلى موضوعات مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، بحسب المفردات المنهجية ، المعتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، أعد الباحث اختباراً تحصيلياً مكوناً موضوعياً في ضوء الأهداف السلوكية التي تم اشتقاقها تم التأكد من صدق الاختبار بعرضه على مجموعة من الخبراء ، وحُسب ثباته بطريقة إعادة الاختبار ( test - retest ) إذ بلغت درجة ثباته ( ٨٠,٠ ) ، وبعد تطبيق الاختبار بصورته النهائية جمعت البيانات وتمت عملية معالجتها إحصائياً ، وأوضحت نتائج البحث أنّ إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) اثبت فاعليتها في التحصيل والاستبقاء لدى المرحلة الثالثة في أقسام اللغة العربية في مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، وفي ضوء النتائج قدم الباحث مجموعة من التوصيات والمقترحات .



## ❖ Abstract ❖

The study aims at showing the impact of K.W.L Chart Strategy on the Achievement and Retention of the third stage students of the Arabic Department , College of Education in the Methods of Teaching Arabic. The researcher employs the experimental method to test the following two hypotheses.

1- There are no statistically significant difference at a significance level (0.05) between mean achievement scores of the experimental group which study Methods of Teaching Arabic through K.W.L chart strategy, and mean achievement scores of the control group which study the same subject by using the traditional approach.

2. There are no statistically significant difference at a significance level (0.05) between mean retention scores of the experimental group which study Methods of Teaching Arabic through K.W.L chart strategy, and mean retention scores of the control group which study the same subject by using the traditional approach.

The study is limited to the students of the Department of Arabic , College of Education , University of Misan of the academic year 2012-2013 , and the topics of the Methods of Teaching Arabic according to the syllabus approved by the Ministry of Higher Education .The researcher designs an achievement subjective test according to the behavioural objectives.The researcher approves the validity of the test by showing it to a jury , while its reliability is achieved by ( test , re-test ) , which scores reaches 80.0 . After applying the test in its final form , the data is collected and processed statistically.The findings have approved the significance of K.W.L Chart Strategy on the Achievement and Retention of the third stage students of the Arabic Department , College of Education in the Methods of Teaching Arabic. Then the researcher gives some recommendations and suggestions

## المقدمة

### المبحث الأول

#### مشكلة البحث :

إن الطالب والطالبة المعدين ليكونوا متخصصين في تدريس اللغة العربية مستقبلاً في مرحلة دراستهم الجامعية ، بأمس الحاجة إلى استعمال طرائق تربوية حديثة ، تهتم بمجالات العلم ، والمعرفة ، وتمكنهم من فهم ، واستيعاب المادة العلمية ، بشكل سريع ، وثابت ، وتنمي لديهم القدرة الكافية على مواجهة المواقف العلمية ، والحياتية ، وحل المشكلات التي تواجههم عند القيام بمهمتهم ، ومهنتهم ، في المستقبل .

وكلما كانوا متمكنين من تخصصهم ولديهم الرغبة الكافية للعمل فيه ، ومحبين لمهنتهم وللغتهم ، ومتبعين مواصفات التخطيط الجيد للتدريس في اللغة العربية ، ومستعملين طريقة مناسبة من طرائق التدريس ، استطاعوا أن ينجحوا في عملهم التربوي وأن يزرعوا حب اللغة العربية في نفوس المتعلمين .

وكما هو واضح ومعلوم فإن إعداد مدرس اللغة العربية يحتاج إلى بذل جهد كبير من أجل تطويره وتحسين أدائه وبصفة خاصة في مرحلة الدراسية الجامعية ، لأنها تمثل المكون الرئيس لشخصية المدرس ومرحلة مهمة للبناء الفكري والتربوي والمهني فلا بد من تزويده بمعارف تربوية ومهنية تساعده على فهم العملية التدريسية ليكون مساهماً للاتجاهات التربوية الحديثة ومطلعاً على طرائق تدريس اللغة العربية التي تؤدي إلى اكتساب أفضل للمعرفة وتنمي الفكر بما يحقق النجاح في العمل والوصول إلى الأهداف المرسومة.

وتعد معرفة مدرس اللغة العربية في طرائق تدريس اللغة العربية وأساليبها أمراً بالغ الأهمية ، فالكتاب التعليمي مهما بلغت درجته لا يمكن أن يحقق شيئاً في عملية التدريس ما لم يكن هناك مدرس معد إعداداً متكاملماً لينفذ ما احتواه هذا الكتاب تنفيذاً صحيحاً ( حسين ، ١٩٦٦ ص ١ ) .

ونظراً لأهمية درس طرائق تدريس اللغة العربية في كونه حجر الزاوية في إعداد الطلبة الجامعيين في أقسام اللغة العربية في كليات التربية لمهنة التدريس ولكون نجاح تدريس اللغة العربية مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بطرائق تدريسها كان من الضروري التركيز والاهتمام بتدريس مادة طرائق تدريس اللغة العربية ومحاولة استعمال انساب وأفضل الطرائق والإستراتيجيات والنماذج التربوية والتدريسية لمواكبة التطور التربوي والتفاعل معه للوصول إلى تحقيق تعلم أفضل .

ويكاد يكون اتفاقاً بين الباحثين المتخصصين في طرائق تدريس اللغة العربية على ضرورة الإطلاع على المستجدات والمستجدات التربوية التي أثبتت فاعليتها ونجاحها بالتجربة الفعلية الواقعية وبالبرهان القاطع والعمل على استعمالها في أقسام اللغة العربية في الكليات التي تعد المعلمين، والمدرسين في جامعاتنا ، الأمر الذي سينعكس على أداء مهنتهم في المستقبل، وبالتحديد في المواد التربوية التي تسهم إسهاماً كبيراً في بناء شخصية المعلم والمدرس وتزوده بالأداة الفاعلة للتعامل مع الطلبة وكيفية إيصال المادة العلمية إليهم .



لتحقيقه المتخصصون في مجال المناهج وطرائق التدريس ( عبد السلام , ٢٠٠٦ ص ١٠٤ ) .  
ومن استراتيجيات ما وراء المعرفة التي تزيد من وعي الطالب بذاته، وتُمكنه من الدقة في معالجة النص المقروء من طريق تخطيط عملية التعلّم ، وضبطها، ومراقبتها، وتعديلها، وتقويمها، للوصول إلى مستوى متعمّق من الاستيعاب إستراتيجية الجدول الذاتي (-K-W-L) ، التي تبدأ بتنشيط المعرفة السابقة التي تُعد ركناً رئيساً في التعلّم الذاتي ، وتساعد الطلبة في بناء المعنى، وتكوينه، إذ تكون فيها المعلومات المُفادّة من النص أكثر قابلية للاستدعاء والتذكّر والاستيعاب، وبها يكون الطالب ايجابياً مُنتجاً ، وتؤكد على مبدأ التعلّم الذاتي، إذ تُمكن الطالب من تحقيق تقدّم كبير في بنية التعلّم، وتنظيمها من طريق تقرير ما يتعلّمه، وتوجيه ذاته، وقيادة نفسه في عملية التعلّم (عطية ، ٢٠٠٩ ص ٢٥٣) .

وانطلاقاً من جهود المعنيين التي تتواصل لاقتراح استراتيجيات تدريسية حديثة جاء طرح إستراتيجية الجدول الذاتي التعليمية المعروفة باسم (K.W.L) وعلى الرغم من حداثة هذه الإستراتيجية إلا أن تطبيقاتها في تزايد مستمر ، إذ فاعليتها كإستراتيجية تدريسية تسهم إلى حد كبير في التطوير والتجديد التربوي والتقدم العلمي من خلال تنمية المهارات الفكرية لدى المتعلمين واعتبارها هدفاً رئيساً ووظيفة أساسية لكل جيل .

وحقيقة، فإن هذه النظرة تتفق بشكل كبير مع التوجهات التربوية الحديثة في طرائق تدريس اللغة

كما إنّ عدم استعمال الطرائق والإستراتيجيات والنماذج التدريسية الحديثة ، والتي تقوم على أسس تربوية متينة ، أثبتتها الدراسات ، والبحوث المعاصرة ، في المرحلة الجامعية ، قد يؤدي إلى حدوث ضعف في المستوى العلمي ، والمعرفي لدى الطلبة الجامعيين – الذين سيصبحون معلمين ، أو مدرسين في المستقبل – الأمر الذي ينعكس على تحصيلهم الدراسي ، حيث يؤدي إلى ضعف التحصيل الذي يعد من أولويات التربية المعاصرة وهذا ما ينعكس على أدائهم المستقبلي في مهنتهم.

وبناء على ما تقدم ذكره فإن المشكلة ليست في اللغة العربية وإنما هي في الطرائق التي نستخدمها في تعليمها وفي عرضها في الكتب ( القيسي وآخرون ، ١٩٨٥ ص ٥١) .

وتشير إستراتيجيات التعلّم إلى أنماط السلوك التي يندمج فيها المتعلم أثناء عملية التعلّم، وتهدف إلى مساعدة المتعلم على معالجة المعرفة والانفعالات المرتبطة بها في أثناء عملية تخزين المعلومات ( قطامي وأبو جابر، ٢٠٠٨ ص ٢٥٤) .

ولقد ركزت الاتجاهات الحديثة على استراتيجيات ما وراء المعرفة والتي تتمثل في وعي المتعلم بالعمليات المعرفية التي يقوم بها أثناء التعلّم والتحكّم فيها ، ويلاحظ أن الدراسات والبحوث المتعلقة بعملية التعلّم والتعليم عامة وفي مجال المناهج وطرائق التدريس لاسيما أن مفهوم ما وراء المعرفة ( Met cognition ) يرتبط بذاكرة الفرد هذا ما أكدّه المتخصصون في علم النفس المعرفي ويسعى

العربية لمختلف المستويات الدراسية، وخاصة الأساليب التي تقوم على المشاركة الفاعلة بين أعضاء المجموعات، بهدف الوصول إلى الحلول السليمة للقضايا المطروحة، وبصورة تجميع أكبر عدد ممكن من الأفكار والتغذية الراجعة لدى الطلبة حول الموضوع قيد الدراسة.

ومن الواضح أن البحوث والدراسات التربوية التجريبية في مجال طرائق تدريس اللغة العربية قليلة جداً، أن لم تكن معدومة، لأن أغلب الدراسات اتجهت إلى مواد اللغة العربية مثل القراءة والأدب وغيرها، فجاءت هذه الدراسة لسد النقص الحاصل في هذا المجال.

كما أن طبيعة مادة مناهج وطرائق تدريس اللغة العربية، وما تكمن فيها من أهمية بالغة على اعتبارها أداة توجيه وإرشاد وتعليم لتحقيق النمو المتكامل والشامل في جوانب شخصية المتعلمين (المعدين لمهنة التعليم والتدريس)، وعدم الاهتمام بكيفية تدريسها على اعتبارها مادة ثانوية (لسيت مهمة) في نظر الكثير من التدريسيين أو الاقتصار على الأساليب، والطرائق التقليدية في تدريسها، أدى إلى انخفاض التحصيل الدراسي في هذه المادة المهمة، وأن كان مقبولاً إلا أنه ليس ضمن المستوى الفكري والمعرفي المطلوب، فضلاً عن ذلك عدم إعمال الفكر وخلق الإبداع والمعرفة.

ولما كانت مادة طرائق تدريس اللغة العربية تشكل عصب عملية تدريس اللغة العربية لأنها تمثل جزءاً مهماً من إعداد المدرس لتدريس اللغة العربية ومن

دونها لا يمكن تعليم أو تدريس اللغة العربية بصورة ناجحة ومفيدة ونتيجة لإطلاع الباحث على مجموعة من الرسائل والأطاريح الجامعية والكتب التربوية المتخصصة في استراتيجيات ما وراء المعرفة وما كتبه المتخصصون عن إستراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L) كأبرز استراتيجيات ما وراء المعرفة، رأى الباحث ضرورة التحقق تجريبياً وبصورة علمية وموضوعية من فاعلية إستراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L)، ومن هنا ظهرت مشكلة هذا البحث والتي يمكن أن تحدد بالإجابة عن السؤال الآتي:

هل إن إستراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L) تسهم في رفع مستوى التحصيل والاستبقاء لدى طلبة أقسام اللغة العربية في كليات التربية مقارنة بالطريقة الاعتيادية؟

كل تلك الأمور، أدت بالباحث إلى تجريب إستراتيجية تدريس حديثة ما بعد معرفية تسمى إستراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L) تهدف إلى تنشيط معرفة الطلبة السابقة وجعلها نقطة الانطلاق ومحور ارتكاز لربطها بالمعلومات الجديدة.

وتلخيصاً لما سبق، فإن الباحث يوجز الأسباب، والمسوغات التي دعت لإجراء هذا البحث بما يأتي:-

1. الصعوبة التي يعاني منها الطلبة في أقسام اللغة العربية، في تعلم مادة طرائق تدريس اللغة العربية، إذ لا بد من استخدام طرائق واستراتيجيات تربوية مناسبة تذلل هذه الصعوبة.
2. الكشف عن أهمية إستراتيجية الجدول الذاتي

التربوية ، والعلمية ، ( الوصفية والتجريبية ) من أجل النهوض بمستواها العلمي ، والتربوي لأن الدراسة فيها تمثل مرحلة مهمة في عملية إعداد المدرسين الكفوئين ، في كافة المواد الدراسية .

٦. عدم اهتمام بعض المربين ، بالتعلم الذي يقوم به الفرد ، وينشأ نتيجة الممارسة ، فإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) تمثل تجربة شخصية ، تمكن الطلبة من القيام بالعمل بأنفسهم ، وذلك بتعريضهم إلى المواقف التعليمية ، تثيرهم ، وتجعلهم راغبين في التعلم ، فمن الواجب على المربين أن يضعوا المعرفة .

٧. أوضحت العديد من البحوث التي أجراها المعنيون ، بواقع إعداد المعلمين - على مستوى المناهج وطرائق التدريس - أن أغلب الطرائق المستخدمة ، تقليدية ونمطية ، ومبتعدة عن روح العصر ، إذ تجعل من الطلبة عناصر غير فعالة ، وتسبب لهم الجمود والرتابة .

كل هذه الأسباب السابقة الذكر حفزت الباحث على القيام بهذه الدراسة التجريبية .

#### أهمية البحث :

أن اللغة تساعد الفرد على التفكير من حيث التعبير عما يريد به بأسلوب يتناسب مع المخاطبين من حيث السن والموقع الاجتماعي والماهية ، حيث أن مخاطبة التلميذ في المرحلة الابتدائية تختلف عنها حالة الطالب في المرحلة المتوسطة والثانوية والجامعية ، كما أن مخاطبة المدرس تختلف عن مخاطبة البائع والمهندس والطبيب وكتابة مقال اقتصادي يختلف

( K.W.L ) ، في تدريس مادة طرائق تدريس اللغة العربية، وإتقانها ومعرفة خطواتها قواعدا ، وأساسياتها، وقد تكون هذه الدراسة الأولى على حد علم الباحث التي تلقي الضوء ، على استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في تدريس هذه المادة ، ومعرفة النتائج التي يتركها هذا النوع من التعلم .

٣. قلة الدراسات التجريبية التي تتناول مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، وهذه الدراسة هي محاولة لتقصي هذا المجال ، والتعرف على فاعلية الطرائق والإستراتيجيات التدريسية الحديثة ، في تعلم طرائق تدريس اللغة العربية ، من خلال مقارنتها مع الطرائق التقليدية المستخدمة في التدريس .

٤. أثبتت البحوث ، والدراسات التربوية الحديثة ، ضرورة التنوع في استعمال طرائق واستراتيجيات ونماذج التدريس ، وعدم الإقتصار على طريقة تدريس واحدة ، مع التركيز على الطرائق التي تجعل من المتعلم محور العملية التعليمية وتنشط التعلم الذاتي لديه ، لما في ذلك من أهمية في بناء الأفكار ، والمعلومات ، والخبرات ، فكلما كانت الطريقة والإستراتيجية التدريسية ، مناسبة للموقف التعليمي ، وملائمة لميول الطلبة ، وقابلياتهم ، واتجاهاتهم ، ومهاراتهم ، كانت الأهداف التربوية المتحققة ، أوسع فائدة ، وأكثر دقة .

٥. حاجة كليات التربية الملحة - ولا سيما أنها من الكليات التربوية التي تصنع التربويين معلمين أو مدرسين - إلى الكثير من البحوث ، والدراسات

عن كتابة مقال ثقافي ، وهكذا .. فإن ترتيب اللغة يسبقها ترتيب للفكر بالنسبة للمتحدث ويتبعها وضوح المعنى وتنظيمه في ذهن المخاطب ، والفكرة التي لا يعبر عنها باللفظ تعتبر كصدى الصوت الذي لا قيمة له ( إسماعيل ، ٢٠٠١ ص ١٦ ) .

إما دور اللغة في الفكر فأنها الأداة التي يلجأ إليها المتعلم لترتيب وتنظيم مجموعة الصور الذهنية التي توجد لديه على وفق نسق تنظيمي معين يعتقد هو بسلامته وصحته، ومن ثم التعبير عنها بصورة منطوقة أي على شكل لغة مسموعة، أي أن الفكرة وهي في ذهن المتعلم لا تتعدى سوى كونها كلاماً وخاطرة في نفسه ونستطيع أن نقول أن التفكير لغة صامتة والنطق بالفكرة هو التفكير الجهري المسموع. كما لا ننسى أن هناك علاقة وثيقة بين فروع اللغة العربية وطرائق تدريسها ، وفروع اللغة العربية متعددة وكل فرع يحتاج إلى طرائقه الخاصة التي تميزه من الفرع الأخر ، سواء كان قواعد اللغة العربية ، الإملاء ، التعبير ، المطالعة ، الأدب ، البلاغة ، و هذه الفروع تحتاج العمليات العقلية البسيطة والعمليات العقلية العليا ، وعليه يجب التأكيد على مسالة إعمال العقل وتنشيط التفكير وخصوصا ما وراء المعرفي في أذهان المعدين لمهنة التعليم والتدريس وإحاطتهم بضرورة الاعتماد على العمليات العقلية والابتعاد عن أساليب ووسائل الحفظ الروتيني .

لقد أكد المرابون ضرورة استعمال أجود الطرائق والاستراتيجيات التعليمية لتحقيق الأهداف التعليمية بأكمل وجه واقصر وقت واقل جهد لمواجهة التغير

السريع الذي يحدث في المجتمع، بعد أن تنوعت أساليب التدريس وطرائقه في المدة الأخيرة ( الحيلة، ٢٠٠٣ ص ٢٩ ) .

وفي ضوء ما تقدم وجد الباحث أن هناك حاجة ضرورية وملحة تدعو إلى استعمال استراتيجيات ما وراء المعرفة الحديثة لمعرفة مدى أثرها الايجابي في تحصيل الطلبة الجامعيين في كليات التربية وبالتحديد في أقسام اللغة العربية .

ومن هذه الاستراتيجيات إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) التي تقوم بالأساس على النظرية البنائية في اكتساب المعرفة وتعتمد على التعلم الذاتي للفرد وان اعتماد هذه الإستراتيجية الحديثة في التدريس يعمل على تحقيق أهداف التعليم بسهولة ويسر.

ومن ضمن أولويات إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) أنه هناك علاقة وثيقة الصلة بين فهم الذات بالنسبة للمتعلم وبين التحصيل المدرسي ، وهذا ما أكده ( فرج ، ٢٠٠٦ ) إذ أوضح لقد أثبتت الأدلة والبحوث التجريبية أن مفهوم الذات الضعيف ( السالب ) يمكن أن يكون له تأثيرات عكسية على الأداء المدرسي ، أي أن المتعلمين ذوي التحصيل العلمي القليل يمتلكون مفاهيم ضعيفة عن ذاتهم ومشاعرهم سلبية حولها ، بينما اتجه المتعلمون الأعلى تحصيلاً إلى امتلاك مفاهيم ومشاعر أكثر ايجابية عن ذاتهم وقدراتهم ( فرج ، ٢٠٠٦ ص ٢٦٠ ) .

وأن هذه الإستراتيجية تعتمد على مبدأ التقييم الذاتي بالنسبة للفرد نفسه قد يراجع بين الحين والأخر ما

عمله ، فيصبح التقويم الذاتي جزءاً فعالاً في عمل المتعلم .  
وذلك لأنه ضرورة نفسية واجتماعية وتربوية،

به يتعرف الإنسان على صفاته العقلية والعاطفية والخلقية، ويرى في نفسه عوامل القوة والضعف، وفكرة المرء عن نفسه من خلال التقييم الصحيح والواقعي لها الأثر الأكبر في تعيين سلوكه ومستوى طموحه وهي التي توجهه في حياته وتبين ضروب السلوك التي هو جدير بها . ( العذاري ، ١٤٢٣هـ ، ص ٥٦ ) .  
وخلاصة لما تقدم تبرز أهمية هذه الدراسة في الآتي :

١. يعد البحث الحالي إضافة علمية جديدة للميدان التربوي من خلال محاولة الباحث تعرف اثر إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) التحصيل والاستبقاء لدى طلبة أقسام اللغة العربية في كليات التربية.

٢. الدراسة الحالية تعد الأولى من نوعها على المستوى العالمي والعربي والمحلي (بحدود علم الباحث) لأن إستراتيجية الجدول الذاتي(K.W.L) لم تحظ بالتجريب في مجال تحصيل طلبة أقسام اللغة العربية في كليات التربية في مادة طرائق تدريس اللغة العربية مما شجع الباحث على القيام بالدراسة الحالية.

٣. إمكانية إفادة الجهات ذات العلاقة بالعملية التربوية من نتائج الدراسة الحالية.

٤. العمل على أن يقتنع بهذه الإستراتيجية القائمين على أعداد المعلمين والمدرسين وان تصبح جزءاً من مكونات تدريب المعلمين والمدرسين أثناء فترة الإعداد .

٥. إنَّ هذا البحث تناول مادة طرائق تدريس اللغة العربية على أنها مادة مهمة ، لها دور كبير في صنع مدرس المستقبل ، ومعرفتها تساعد على تنمية شخصيته التربوية بصورة صحيحة ، و كونها الأداة المسؤولة عن التغييرات السلوكية التي تحدث في مجال التدريس عند طلبة أقسام اللغة العربية فهي التي تمكنهم من القيام بأعباء مهمتهم المستقبلية كمدرسين أو معلمين ناجحين .

٦. أهمية المرحلة الجامعية ( مرحلة الأعداد ) باعتبارها المرحلة الدراسية التي تعمل على إعداد الطلبة أعداداً يواكب التقدم العلمي والتكنولوجي في مجال تخصصاتهم المختلفة .

٧. العمل على تطوير تدريس مادة طرائق تدريس اللغة العربية في أقسام اللغة العربية في كليات التربية في الجامعات العراقية ، وأن هذا التطوير سيكون كفيلاً برفد العملية التربوية بالملاكات التربوية المتميزة والتي تتمتع بالكفاءة اللازمة للنجاح في العمل التربوي.

٨. إنه أُجري تطبيقه على طلبة كلية التربية ، الذين يعدون حجر الزاوية في العملية التعليمية ، والتربوية في المستقبل ، وإنَّ لهم مكان الصدارة ، حيث على مدى تقدمهم ، وتطورهم ، يتوقف نمو ، وتقدم الجيل الذي يعملون على صنعه ، وعلى عاتقهم تقع مسؤوليات كبيرة ، تتمثل في تنشئة ، وإعداد الجيل



الصاعد .

٩. الإسهام في رفق طرائق تدريس اللغة العربية ، حيث إنَّ تجريب هذه الطريقة ، يسهم في إضافة بحث إلى البحوث المقدمة في طرائق تدريس اللغة العربية بشكل عام ، وإلى طرائق تدريس العروض بشكل خاص ، باعتبار العروض أحد فروع اللغة العربية .

### هدفا البحث

#### ( Objectives of the Research ) :

١. يهدف هذا البحث إلى معرفة أثر استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، في تحصيل طلبة المرحلة الثالثة - قسم اللغة العربية - بكلية التربية - جامعة ميسان في مادة طرائق تدريس اللغة العربية .

٢. يهدف هذا البحث، إلى معرفة اثر استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، في الاستبقاء لدى طلبة المرحلة الثالثة - قسم اللغة العربية - بكلية التربية - جامعة ميسان في مادة طرائق تدريس اللغة العربية .

### فرضيات البحث

#### ( Hypotheses of the Research ) :

١. إحصائية عند مستوى دلالة ( ٠,٠٥ ) ، بين متوسط درجات تحصيل طلبة المجموعة التجريبية، الذين يدرسون مادة طرائق تدريس اللغة العربية بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، ومتوسط درجات تحصيل طلبة المجموعة الضابطة ، الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية .

٢. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية ( ٠,٠٥ ) ، بين متوسط درجات الاستبقاء ، لدى طلبة المجموعة التجريبية ، الذين يدرسون مادة طرائق تدريس اللغة العربية بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، ومتوسط درجات الاستبقاء ، لدى طلبة المجموعة الضابطة ، الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية .

### حدود البحث

#### ( Limitation of the Research ) :

يتحدد هذا البحث ، على بما يأتي :-

١. طلبة المرحلة الثالثة - قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة ميسان ، ومن كلا الجنسين .

٢. العام الدراسي ٢٠١٣ - ٢٠١٤ .

٣. مادة طرائق تدريس اللغة العربية المقررة ، حسب المفردات المنهجية ، المعتمدة من قبل الهيئة القطاعية لكليات التربية في العراق ، والمعمول بها حالياً في عملية تدريس وإعداد الطلبة في هذه المادة .

#### أولاً: إستراتيجية الجدول الذاتي ( K . W . L ) :

-عرفها ( Goldberg & Judy ٢٠٠١ ، p) بأنها إستراتيجية تعليمية تستعمل في بداية وحدة دراسية ونهايتها ، تتسجم مع عمل الدماغ من طريق تحديد المعرفة القبلية للنص المقروء من الطلبة، ووضع خطة لأهدافهم المعرفية والتحقق من هذه الأهداف ( Judy & Goldberg ، ٢٠٠١ ، P:١٨٢) .

- وعرفها ( العليان ، ٢٠٠٥ ) بأنها: هي إحدى استراتيجيات ما وراء المعرفة تتكون من ثلاث خطوات يشير إليها كل حرف باللغة الانكليزية على

النحو الآتي :

والكتابة على السبورة لتوضيح النقاط الرئيسية والاستعانة بالمواد التعليمية المختلفة ( الكلزة ، ١٩٨٩ ص ١٠١ ) .

- التعريف الإجرائي : هي الطريقة التدريسية التي يستعملها التدريسي المتخصص في مادة طرائق تدريس اللغة العربية لتدريس هذه المادة وهو الذي يتولى شرح ، وتوضيح ، وتفسير المعلومات ، والحقائق العلمية ، ويعد المادة الدراسية ، ويعمل جاهداً على إيصالها إلى الطلبة داخل القاعة الدراسية .

#### ثالثاً: التحصيل:

- عرفه ( اللقاني وعلي ، ١٩٩٩ ) بأنه : مدى استيعاب الطلاب لما تعلموه من خبرات معينة خلال مقررات دراسية ويقاس بالدرجة التي يحصل عليها الطلاب في الاختبارات التحصيلية المعدة لهذا الغرض ( اللقاني وعلي ، ١٩٩٩ ص ٥٨ ) .

- وعرفه (صلاح الدين ، ٢٠٠٠ ) بأنه : درجة الاكتساب التي يحققها الطالب ، أو مستوى النجاح الذي يحرزه أو يصل إليه في مادة دراسية أو في مجال تعليمي ، أو تدريب معين ( صلاح الدين ، ٢٠٠٠ ص ٣٠٥ ) .

التعريف الإجرائي : وهو مدى ما تحقق من أهداف تربوية تعليمية ، لدى طلبة المرحلة الثالثة - قسم اللغة العربية - بكلية التربية في مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، مقاساً بالدرجة النهائية التي يحصل عليها الطلبة في الاختبار التحصيلي النهائي ، الذي أعده الباحث بصورة موضوعية ، وصادقة ، لإغراض

k : what i kow

و يقصد بها ماذا يعرف المتعلم عن الموضوع ؟.

W : What I want to learn

ويقصد بها ماذا يريد المتعلم أن يتعلم عن الموضوع ؟

L : What I did learn

ويقصد بها ماذا تُعَلِّم المتعلم عن الموضوع ؟

( العليان ، ٢٠٠٥ ص ٣٦ ) .

التعريف الإجرائي : وهي إستراتيجية تدريس حديثة ومن إحدى استراتيجيات ما وراء المعرفة والتي تتضمن مجموعة من الأنشطة والخطوات المتسلسلة والمُنظمة التي يعتمدها الباحث داخل القاعة الدراسية التي يتم فيها تدريس طلبة المجموعة التجريبية ذاتياً ( وهم طلبة المرحلة الثالثة - كلية التربية - جامعة ميسان ) في مادة طرائق تدريس اللغة العربية المحددة لهم من الهيئة القطاعية لكليات التربية و تهدف إلى فهم هذه الموضوعات، واستيعابها بشكل أفضل بما يحقق زيادة في التحصيل واستبقاء المعلومات .

ثانياً : الطريقة الاعتيادية ( المحاضرة ) :

#### Ordinary Method

- وعرفها ( جابر و حبيب : ١٩٨٥ ) بأنها : طريقة ينقل بها المعلم المعلومات إلى الصف بصورة شفوية ( جابر و حبيب ، ١٩٨٥ ص ٥٥ ) .

- عرفه ( الكلزة ، ١٩٨٩ ) بأنها : طريقة التعليم القائمة على عرض المدرس للمادة الدراسية للصف باجمعه بأساليب متنوعة تشمل المحاضرة والمناقشة

البحث الحالي بعد نهاية الفترة الزمنية المخصصة للتجربة .

#### رابعاً : الاستبقاء:

- عرفه (Webster, ١٩٧١) بأنه : قابلية الفرد على الاحتفاظ بالمعلومات واستمرارية استخدامها بعد تعرضه للخبرات لأجل الاسترجاع أو إعادة التعلم (Webster, ١٩٧١), p:٩٣٨

- عرفه ( إبراهيم ، ١٩٨٨ ) بأنه : احتفاظ الفرد بما مر به من خبرات ، وبما حصله من معلومات ، وكسبه من عادات ومهارات ( إبراهيم ، ١٩٨٨ ص ٨٢ ) .

التعريف الإجرائي: هو مقدار ما تبقى من معلومات علمية ، وخبرات تربوية ، في ذاكرة طلبة المرحلة الثالثة - قسم اللغة العربية - بكلية التربية في مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، بحيث يستطيع كل طالب وطالبة ، تذكر واسترجاع ما في ذاكرتهم من معلومات أثناء أدائهم اختبار استبقاء المعلومات ، بعد إجراء الاختبار التحصيلي المعرفي ، بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع حسب ضوابط اختبارات الاستبقاء .

#### خامساً : كلية التربية :

- عرفها ( العمر ، ١٩٨٩ ) بأنها : المصدر الرئيس لإنتاج المربين في المجتمع فمن خلالها يتم رفد المدارس المتوسطة والإعدادية ومعاهد إعداد المعلمين بالمدرسين القادرين على ترجمة أهداف المجتمع واستيعابها ومن ثم اكتسابها (العمر ، ١٩٨٩ ص ٢٤).

- وعرفتها ( وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،

١٩٩٠ ) بأنها : هي إحدى مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي ، تحمل رسالة ذات طابع أنساني كبير ، تهدف إلى إعداد متخصصين مؤهلين تربوياً وعلمياً للتدريس في المدارس المتوسطة والإعدادية ، ومعاهد أعداد المعلمين والمعلمات ، وإعداد الملاكات العليا (ماجستير ودكتوراه) للعمل كخبراء وتدرسيين في وزارتي التربية والتعليم العالي ( وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ١٩٩٠ ص ٥٨ ) .

التعريف الإجرائي : كلية تربوية إنسانية ، مدة الدراسة فيها أربع سنوات ، تمنح شهادة بكالوريوس تربوية على وفق الضوابط المرسومة لها من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ولا تكاد تخلو جامعة عراقية منها وذلك لأهميتها الكبيرة في تنشئة الأجيال وإعداد ملاكات تربوية متخصصة تعمل في المدارس المتوسطة والثانوية لتربية أبنائنا على أحسن وجه ، يقبل فيها الطلبة من خريجي الدراسة الثانوية بفرعها العلمي والأدبي ، وكذلك الطلبة العشرة الأوائل من خريجي معاهد إعداد المعلمين والمعلمات وكذلك يقبل فيها المعلمين والمعلمات المستمرين بالخدمة بعد حصولهم على إجازة دراسية ، وتحتوي هذه الكلية على أقسام علمية عدة تختلف من كلية إلى أخرى حسب الإمكانيات المتاحة لكل كلية ، وفي هذه الكليات تم فتح دراسات مسائية فضلاً عن الدراسات الصباحية يتولى خريجي هذه الكليات العمل في المدارس المتوسطة والإعدادية وفي مختلف التخصصات وأحياناً في المدارس الابتدائية .



## المبحث الثاني

### مفهوم إستراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L) :

وهي من الاستراتيجيات المعرفية التي ظهرت نتيجة للتقدم العلمي والتطور الحاصل في ميدان علم النفس التربوي والمعرفي ، هدفها تحسين عملية التعليم والتعلم بالاعتماد على ما لدى المتعلم من معلومات وتهدف إلى رفع الكفاءة العلمية للمتعلمين عن طريق ممارسة التعلم بصورة ذاتية ، ويمكن استعمالها، وتطبيقها في المراحل الدراسية جميعها، ومع طلبة الصف جميعهم، بهدف تعزيز الممارسات القرائية الجيدة من أجل الوصول إلى الاستيعاب الأمثل للمادة المقروة (عطية ، ٢٠٠٩ ص ٢٥٣) .

وأن إستراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L) قائمة على الجهد الفردي الذاتي الذي يبذله المتعلم لتعليم نفسه بمساعدة المعلم عن طريق إتباع الخطوات والإجراءات المناسبة للتعلم وتحفيز التفكير وجعل المتعلم يعيش حالة تواصل مع الموضوع العلمي الذي يتناوله .

وهذه الإستراتيجية تثير المعرفة السابقة لدى المتعلم ، وتجعله يضع أهدافاً لما يقرأ ، وتساعد على مراقبة فهمه وتقويم استيعابه ، وتزويده بفكرة التفكير بما وراء النص ( الدليمي ، ٢٠٠٩ ص ١٨٨) .

أهداف إستراتيجية الجدول الذاتي (K. W. L): حددت أوغل (Ogle) أهداف نموذجها بهدفين رئيسيين هما:

١- إدخال الطلبة في عملية القراءة النشطة والفاعلة التي تعنى بطرح الأسئلة والتفكير بالمفاهيم

والتساؤلات الواردة أثناء القراءة.

٢- تعزيز كفاية الطلبة في وضع أهداف للقراءة، وجمع المعلومات من النصوص وتأليف خطوط عريضة للأفكار الواردة وكتابة ملخصات تركز على تلك الخطوط العريضة ( الفاهمي ، ٢٠٠٩ ص ١٣) .

٣- تساعد المتعلمين على مراقبة فهمهم .

٤- تثير معرفة المتعلمين السابقة (دايرسون ، ٢٠٠٤ ص ١٩٣) .

٥- استرجاع المتعلمين للمعرفة السابقة عن موضوع الدرس .

٦- مساعدة المتعلمين على إدارة وضبط فهمهم للنص .

٧- إعطاء فرصة للمتعلمين لاستخلاص أفكار ما وراء النص ( يوسف ، ٢٠١١ ص ٣٦١) .

### مميزات إستراتيجية الجدول الذاتي:

١. التركيز على فكرة التعلم النشط وجعل المتعلم محور العملية التعليمية والتأكيد على مبدأ التعلم الذاتي.

٢. تنشيط المعرفة السابقة للمتعلمين وإثارة حب استطلاعهم.

٣. ربط المعلومات السابقة بالمعلومات الجديد.

٤. جعل التعلم ذا معنى بتحسين مستوى الفهم لدى المتعلمين . ( ياسين ، حسين ، ٢٠١١ ص ٤٢٧) .

٥- تسهم في زيادة البنية المعرفية عند المتعلمين وتنظيمها .

٦- ذات فعالية كبيرة في تنشيط المعرفة السابقة وإثارة الفضول في التفكير .

قبل قراءة النص، ويساعد المعلم هنا المتعلمين بإثارة أسئلة تؤدي إلى عصف أفكارهم .

٤- يشجع المعلم المتعلمين على طرح الأسئلة ، وتسجل هذه الأسئلة في العمود الثاني ( W ) وقد يشارك المعلم بإثارة الأسئلة.

٥- تدوين إجابات المتعلمين عن الأسئلة والأفكار الموجودة في الحقل الثاني ( W ) في الحقل الثالث ( L ) وهنا يشجع المعلم المتعلمين على أن يكتبوا كل ما تعلموه عن الموضوع، وكل شيء وجدوه ممتعاً ( الدليمي، ٢٠٠٩ ص ١٨٩-١٩٠ ) .

الجدول الخاص بإستراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L) :

\* لملء الحقل الأول يسأل المعلم طلبته ( كنوع من العصف الذهني ) عن الكلمات والمصطلحات

٧- تسهل تعلم الموضوعات الصعبة .

٨- تدرب الطلبة على تقرير ما يتعلمونه وتوجيه ذواتهم في عملية التعلم ( عطية، ٢٠١٠، ص ١٧٥ ) .

خطوات التدريس بإستراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L) :

يجب إتباع الخطوات الآتية للتدريس بإستراتيجية الجدول الذاتي :

١- يحدد المعلم النص ، ويمهد له بإعطاء فكرة عامة عن الموضوع.

٢- يكلف المعلم المتعلمين برسم ثلاثة أعمدة على أوراق خاصة بحيث يسمى العمود الأول ( K ) والعمود الثاني ( W ) والعمود الثالث ( L ) .

٣- يدون المتعلمون كل ما يعرفونه عن الموضوع بالإفادة من عنوانه في الحقل أو العمود الأول ( K )

What I know (ما اعرفه) K	What I wont learn (ما أريد أن اعرفه) W	What I did learn (تعلمت) L

الإستراتيجية ، وهذا ما أوضحه ( ياسين ، وراجي ، ٢٠١٢ ص ١٤٧ ) .

الدراسات السابقة :

١. دراسة (العزاوي وناصر ٢٠١١) :- هدفت الدراسة إلى التعرف على اثر التدريس باستخدام إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في التحصيل الدراسي في مادة المناهج وطرائق التدريس الرياضيات لدى طلبة المرحلة الثالثة في قسم الرياضيات لكلية التربية -الجامعة المستنصرية في العراق ، وقد تكونت عينة الدراسة من (٩٠) طالباً وطالبة موزعين على شعبتين دراسيتين متكافئتين ، عدد كل شعبة ( ٤٥ ) طالباً وطالبة ، مثلت الشعبة (A) المجموعة التجريبية التي درست على وفق إستراتيجية ( K.W.L ) مثلت الشعبة (B) المجموعة الضابطة التي درست على وفق الطريقة التقليدية ، درس المجموعتين احد الباحثين لمدة استغرقت (١٣) أسبوعاً طبق الباحثان في نهاية التجربة اختباراً تحصيلياً مؤلفاً من فقرات (موضوعية ومقالية)، وللتوصل لنتائج الدراسة استعمل الباحثان الاختبار التائي ( T-test ) لعينتين مستقلتين والذي اثبت تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في التحصيل وفي نهاية الدراسة قدم الباحثان مجموعة من التوصيات والمقترحات (العزاوي وناصر، ٢٠١١ ص ١٣٤-١٥١).

٢. دراسة ( ياسين وحسين ، ٢٠١١) :- هدفت الدراسة إلى التعرف على فاعلية استخدام أنموذج ( PEOE ) واستخدام إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في الاستيعاب المفاهيمي واستبقائه في

والعبارات التي ترتبط بالموضوع ، وتلك المعلومات والمعرفة يتم تدوينها في العمود ( What I ) ( K know ) وبعد أن ينتهي الطلبة من ذلك تتم عملية مناقشتهم فيما كتبوه ودونوه في الحقل ( K ) .

وينبغي للمعلم أن يسأل الطلبة لمساعدتهم على توليد الأفكار وتشجيعهم على ما يدور في أذهانهم من معان ومعارف ترتبط بالموضوع ، ويفيد ذلك خاصة في الأفكار والمعاني الغامضة ، كأن يسأل ماذا تعتقد في ذلك ؟

\* يسأل المعلم الطلبة عما يريدون معرفته عن الموضوع ، ويتم تسجيل هذه الأسئلة في العمود أو الحقل الثاني ( W ) ( What I wont learn ) ويقوم المعلم بسؤال طلبته لتشجيعهم على توليد الأفكار لتدوينها في الحقل ( W ) ، مثل ماذا تريد أن تتعلم عن هذا الموضوع ؟ وهكذا ...

\* بعد أن يقرأ الطلبة النص يقوم الطلبة بتدوين ما تعلموه في العمود أو الحقل الثالث ( L ) ( What I did learn ) إذ ينبغي للطلبة البحث عن إجابات للأسئلة التي قاموا بتدوينها في العمود ( W ) ( يوسف ، ٢٠١١ ص ٣٦٣ ) ، ولا بد من الإشارة إلى أن الجدول الخاص بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) والذي وضع لأول مرة مع الإستراتيجية ، كان يحتوي على ثلاثة حقول فقط ، بينما لجأ بحث الباحثين والدارسين المتخصصين بالعلوم التربوية والنفسية إلى إضافة حقل آخر ، بل أن البعض الآخر سمح بإضافة أكثر من حقل إلى الجدول الخاص بهذه

تدريس البصريات العملية لطلبة الفيزياء في كلية التربية المفتوحة أجريت هذه الدراسة في العراق في الكلية التربوية المفتوحة في بغداد ، وتكونت عينة البحث من (٥٨) طالباً وطالبة، قسموا عشوائياً بالتساوي إلى مجموعتين تجريبيتين متكافئتين ، إذ كان عدد الطلبة في كل مجموعة (٢٩) طالباً وطالبة، ودرست المجموعة الأولى باستخدام نموذج ( PEOE ) ودرست المجموعة التجريبية الثانية باستخدام إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، درس الباحث الثاني المجموعتين لمدة ( ١٠ ) أسابيع ، ولكي يتوصل الباحثان إلى نتائج دراستيهما طبقاً اختبار الاستيعاب المفاهيمي على المجموعتين المكون من (٢٠) فقرة وبعد (٢٣) يوماً أعاد الباحثان الاختبار نفسه على المجموعتين للكشف عن استيفاء الاستيعاب المفاهيمي استخدم الباحثان وسيلة إحصائية وهي الاختبار التائي (T - test) لعينتين مستقلتين لتفسير النتائج والتي أسفرت عن وجود فرق ذي دلالة إحصائية والصالح المجموعة التجريبية الأولى التي درست على وفق أنموذج PEOE في الاستيعاب المفاهيمي واستبقائه وفي نهاية الدراسة قدم الباحثان مجموعة من التوصيات والمقترحات ( ياسين، وحسين، ٢٠١١ ص ٤٢٤-٤٣٧ ) .

٣. دراسة ( بدر ٢٠٠٦ ) :- أجريت هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية في كلية التربية - جامعة مكة المكرمة ، وهدفت إلى بيان أثر التدريب على استراتيجيات ما وراء المعرفة في تنمية أساليب

التفكير لدى طالبات قسم الرياضيات في كلية التربية . بلغت عينة الدراسة (٦٦) طالبة، تم تقسيم العينة إلى مجموعتين متكافئتين، بلغ عدد كل مجموعة ( ٣٢ ) طالباً اختارت الباحثة خمس استراتيجيات من استراتيجيات ما وراء المعرفة، وهي (K.W.L)، والنمذجة، والتساؤل الذاتي، والتفكير بصوت عال، والتعلم التعاوني .

درّست الباحثة نفسها عينة الدراسة في أثناء مدة التجربة التي استمرت (١٢) أسبوعاً ، أما أداة الدراسة فكانت اختباراً في أساليب التفكير (التركيبي، والمثالي، والعملية، والتحليلي، والواقعي) طبقته الباحثة قبلياً وبعدياً على مجموعة الدراسة .

استعملت الباحثة الوسائل الإحصائية الآتية :

( الاختبار التائي، ومعامل ألفا كرونباخ ، وبعد تحليل البيانات إحصائياً توصلت الدراسة إلى أن استعمال كل من إستراتيجية (K.W.L ) ( أعرف - أريد أن اعرف - تعلمت)، والنمذجة، والتساؤل الذاتي، والتفكير بصوت عال، والتعلم التعاوني له أثر ايجابي في تنمية كل من أسلوب التفكير التركيبي، والتحليلي، على حين ليس له اثر ايجابي في تنمية كل من أساليب التفكير المثالي، والعملية، والواقعي .

أوصت الباحثة بتوصيات عديدة منها : ضرورة عدّ استراتيجيات ما وراء المعرفة احد الموضوعات الرئيسية في برامج إعداد المعلمات ، وفي ضوء نتائج هذا البحث توصلت الباحثة إلى عدد من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات ( بدر ، ٢٠٠٦ ، ١-٢٦ ) .

### المبحث الثالث

#### إجراءات البحث

#### أولاً : التصميم التجريبي ( Experimental Design ) :

أعتمد الباحث تصميم المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية ذا الاختبار البعدي فقط ، وفي ضوء هذا التصميم أختار الباحث مجموعتين متكافئتين عشوائياً ، إحداهما مجموعة تجريبية ، والأخرى مجموعة ضابطة ، تعرضت المجموعة التجريبية للمتغير المستقل – الأثر - ( إستراتيجية الجدول الذاتي K.W.L ) ، وحجب ذلك المتغير عن المجموعة الضابطة ، لأنها تكون مجموعة مرجعية تُقارن معها النتائج التي حصلت عليها المجموعة التجريبية ، من غير إجراء اختبار قبلي ، وفي نهاية المدة المقررة للتجربة ، تم اختبار المجموعتين بعدياً لقياس الأثر الذي أحدثه المتغير المستقل على التحصيل والاستبقاء ، والمقارنة بينهما ، ويناسب هذا التصميم طبيعة البحث الحالي من كونه يستخدم متغيراً واحداً ، وكما مبين في أدناه .

الجدول ( ٢ ) التصميم التجريبي لمجموعتي البحث

#### موازنة الدراسات السابقة :

١. دراستان من الدراسات السابقة أجريت في العراق وهما دراسة ( العزاوي وناصر ، ٢٠١١ ) و( ياسين وحسين ، ٢٠١١ ) ودراسة واحدة أجريت في المملكة العربية السعودية وهي ( دراسة بدر ، ٢٠٠٦ ) والدراسة الحالية ستجرى في العراق وعينة الدراسة الحالية ( ١٠٠ ) طالب وطالبة .
٢. بلغ عدد العينة في دراسة ( ياسين وحسين ، ٢٠١١ ) ٥٨ طالباً وفي دراسة ( العزاوي وناصر ، ٢٠١١ ) ٩٠ طالباً وفي دراسة ( بدر س ، ٢٠٠٦ ) ٦٦ طالباً .
٣. استغرقت مدة التجربة في دراسة ( العزاوي وناصر ، ٢٠١١ ) ١٣ أسبوعاً وفي دراسة ( ياسين وحسين ، ٢٠١١ ) ١٠ أسابيع ، وفي دراسة ( بدر ، ٢٠٠٦ ) ، ١٢ أسبوعاً وهذا يتفق مع الدراسة الحالية إذ ستستغرق ( ١٢ ) أسبوعاً .
٤. تناولت الدراسات السابقة كافة الطلبة على مستوى الكليات وهذا يتلاءم مع الدراسة الحالية إذ سيتم تطبيقها على طلبة كلية التربية .

المتغير التابع	المتغير المستقل	المجموعات
التحصيل والاستبقاء	إستراتيجية الجدول الذاتي K.W.L	المجموعة التجريبية
	الطريقة الاعتيادية	المجموعة الضابطة
تكافؤ المجموعتين		

## ثانياً :- مجتمع البحث Population Study

ولما كان البحث الحالي محدداً بتدريس مادة طرائق تدريس اللغة العربية لطلبة المرحلة الثالثة – قسم اللغة العربية – في كلية التربية / جامعة ميسان، فإنَّ مجتمع البحث الحالي يشمل طلبة المرحلة الثالثة – أقسام اللغة العربية – في كليات التربية في الجامعات العراقية كافة والذين يدرسون مادة طرائق تدريس اللغة العربية للعام الدراسي ٢٠١٣-٢٠١٤ .

## ثالثاً :- عينة البحث Study Sample

لصعوبة إجراء البحث على جميع عناصر المجتمع الأصلي فإنَّ الباحث يتجه إلى اختيار مجموعة جزئية تمثل عناصر المجتمع أفضل تمثيل ، بحيث يكون قادراً على تعميم نتائجها على مجتمع الدراسة ( عودة وملكاوي ، ١٩٨٧ ص ١٢٨ ) .

ولما كان البحث الحالي يهدف إلى معرفة أثر استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في تحصيل طلبة المرحلة الثالثة – قسم اللغة العربية – في كلية التربية – جامعة ميسان ، في مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، وبسبب عدم قدرة الباحث على دراسة المجتمع بأكمله لأسباب كثيرة منها ، الحاجة الي جهد كبير ووقت طويل ، وإمكانات متعددة وتبعات مالية كثيرة ، لأن المجتمع أكبر مما تسمح به إمكانية البحث ، فيكون من العسير جداً على الباحث ، أن يأخذ كافة أفراد المجتمع لتطبيق التجربة عليه ، فقد أختار الباحث قصدياً إحدى كليات التربية في العراق ، وهي كلية التربية / جامعة ميسان ،

باعتبارها عينة من هذا المجتمع الكبير لدراسته ، فكانت مكاناً لتطبيق التجربة ، وذلك للأسباب الآتية :-

- ١- استعداد عمادة الكلية ورئاسة قسم اللغة العربية في الكلية للتعاون مع الباحث ، إذ رحبت عمادة الكلية ورئاسة القسم بإجراء التجربة ، وقدمت التسهيلات المناسبة لإتمام البحث .
  - ٢- إنَّ الكلية هي مكان عمل الباحث ، وهو بدوره تدريسي مده طرائق تدريس اللغة العربية الذي أجرى تطبيق تجربة البحث بنفسه.
  - ٣- إنَّ الكلية هي مكان عمل الباحث .
  - ٤- قرب الكلية من موقع سكن الباحث .
  - ٥- احتواء المرحلة الثالثة في قسم اللغة العربية على شعبتين متساويتين ، بلغ عدد طلبتها ( ١٠٠ ) طالب وطالبة ، قسم الباحث الشعبة إلى مجموعتين (أ) و(ب) بصورة عشوائية ، المجموعة ( أ ) مثلت المجموعة التجريبية ، وعدد طلبتها ( ٥٠ ) طالباً وطالبةً دُرِّست مادة طرائق تدريس اللغة العربية بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، والمجموعة ( ب ) مثلت المجموعة الضابطة ، وعدد طلبتها ( ٥٠ ) طالباً وطالبةً دُرِّست مادة طرائق تدريس اللغة العربية بالطريقة التقليدية .
- جدول ( ٣ ) تقسيم عينة البحث

المجموع	العدد	المجموعتان
١٠٠	٥٠	المجموعة التجريبية
	٥٠	المجموعة الضابطة

من تأثير في نتائج البحث ، وتلافياً لاختلاف طرائق التدريس والأسلوب الخاص بالتدريس ، ومعاملة الطلبة مما ينعكس على نتائج البحث ، فقد درّس المجموعتين التجريبية والضابطة ( مدرس واحد ) ، وهو الباحث نفسه وهو تدريسي مادة طرائق تدريس اللغة العربية للعام الدراسي ٢٠١٣-٢٠١٤م.

٣. الجنس :- ويقصد به توزيع طلبة المرحلة الثالثة / قسم اللغة العربية الذكور ، والإناث بصورة متساوية على المجموعتين التجريبية ، والضابطة ، وهذا ما قام به الباحث لضمان عملية التكافؤ بين المجموعتين ، إذ احتوت كل مجموعة على ( ٥ ) ذكور والباقي من الإناث .

٤. العمر بالأشهر :- حصل الباحث على البيانات الكافية ، الخاصة بهذا المتغير من سجلات شعبة التسجيل في الكلية ، وأجرى عليها العمليات الإحصائية المطلوبة أدناه وينظر ملحق ( ١ ) وكما موضح في الجدول أدناه :

جدول ( ٤ ) يبين المتوسط الحسابي ، والانحراف المعياري ، والقيمة التائية المحسوبة مقارنةً بالجدولية لأعمار طلبة مجموعتي البحث .

## رابعاً :- تكافؤ مجموعتي البحث ( الضبط التجريبي ) Control Procedures

ولكي تكون نتائج البحث إيجابية ، وسليمة ، بحيث يمكن الاطمئنان إليها لابد أن تكون مجموعتا البحث متكافئتين ومتشابهتين في أغلب ، وأكثر المتغيرات ، بحيث يمكن إرجاع اختلاف النتائج ، ووجود فرق ذي دلالة إحصائية ( بعد نهاية التجربة ) إلى المتغير المستقل ، وليس إلى عوامل أخرى . وحرص الباحث قبل بدء تجربته على تكافؤ مجموعتي البحث التجريبية ، والضابطة في بعض المتغيرات التي يعتقد أنها تؤثر في نتائج التجربة ، ومن هذه المتغيرات :-

١. الفرع الذي تخرج منه الطلبة في المرحلة الإعدادية :-

استعان الباحث بملفات الطلبة الموجودة في قسم التسجيل ، وبعد الإطلاع عليها وجد أن طلبة المرحلة الثالثة كافة في قسم اللغة العربية في كلية التربية / جامعة ميسان هم من خريجي الفرع الأدبي ، لا يوجد بينهم من هو خريج الفرع العلمي .

٢. مدرس المادة :- نظراً لما يتركه متغير المدرس

الدلالة الإحصائية	القيمة التائية		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد الطلبة	المجموعة
	المحسوبة	الجدولية					
غير دل إحصائياً	٠,٩٨٧	١,٨٩	٩٨	٣٣,٨٥٤٤١	٢٥٧,٩٦٠٠	٥٠	التجريبية
				٥,٢٤٨١٧	٢٦٢,٧٤٠٠	٥٠	الضابطة

يتضح من هذا الجدول عدم وجود فرق بين متوسط أعمار طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة عند مستوى دلالة ( ٠,٠٥ ) وعليه فإن المجموعتين متكافئتان في متغير العمر الزمني .

٥. سرية التجربة ( اثر هارثورن ) : أستطاع الباحث ، وبالتعاون مع رئاسة قسم اللغة العربية في كلية التربية في جامعة ميسان ، المحافظة التامة على سرية التجربة ، وعدم إشعار طلبة المجموعة التجريبية بأنهم يتعرضون لإجراء تجربة ، لأن معرفتهم بذلك سوف تؤثر على نتائج البحث بصورة سلبية وقد تنعكس أثارها على نتائج الدراسة الحالية التي يقوم الباحث بها .

٦. المادة التعليمية :- تم تهيئة المادة التعليمية للطلبة ، ولكلا المجموعتين التجريبية ، والضابطة ، على وفق المفردات المقررة من الهيئة القطاعية المتخصصة لكليات التربية في العراق ، وقد حدد الباحث كتاب ( طرائق تدريس اللغة العربية ، وأساليب تدريسها) تأليف الأستاذ المساعد الدكتور فاضل ناهي عبد عون ، وذلك لتطابق أغلب محتوياته مع المفردات المقررة ، ووجه الباحث طلبته إلى المصادر العلمية التي سوف يعتمدها الباحث والتي يحتاجون إليها بحيث يستطيع الطلبة الاستعانة بها في دراستهم وتحضير واجباتهم .

٧. مكان إجراء التجربة :- تم التطبيق الفعلي للتجربة في القاعات الدراسية المخصصة لطلبة المرحلة الثالثة في قسم اللغة العربية بكلية التربية / جامعة ميسان ، وحرص الباحث ، ( تدريسي مادة

طرائق تدريس اللغة العربية ) على إجراء التجربة في قاعتين دراسيتين متجاورتين ومتشابهتين تماماً ، في المستلزمات كافة ، وعمل قدر الإمكان على عدم وجود إختلافات بينهما .

٨. فترة التجربة :- استغرقت الفترة الزمنية المخصصة للتجربة ( ١٢ ) أسبوعاً ، وبواقع ثلاث ساعات دراسية في الأسبوع الواحد لكل مجموعة وذلك حسب التوجيهات المخصصة لتدريس هذه المادة .

٩. اختبار المعلومات السابقة :- علم الباحث أن مادة طرائق تدريس اللغة العربية لا تدرس في كافة المراحل الدراسية في العراق ما عدا مرحلة الدراسة الجامعية وفي الكليات التربوية حصراً وفي معاهد إعداد المعلمين ، وان طلبة عينة البحث بمجموعتيها ( التجريبية والضابطة ) هم خريجو الفرع الأدبي ، وهذا مؤشر على عدم معرفة الطلبة بأي معلومة عن طرائق تدريس اللغة العربية ، إلا أن الباحث إرتأى أن يتأكد من ذلك عن طريق اللقاء بهم في أول محاضرة ، ووجه خلالها مجموعة من الأسئلة (الاستكشافية ) والتي تدخل ضمن إطار ( التقييم التمهيدي ) عرف من خلالها انه ليس لدى الطلبة أية معلومات عن هذه المادة وعن أولياتها.

ومع ذلك لم يستغنِ الباحث عن إجراء اختبارٍ للمعلومات السابقة لأن عدم معرفة الطلبة بهذه المادة وإنهم ليس لديهم معلومات عنها لا ينفي ضرورة القيام باختبار للمعلومات السابقة ، وعليه اعد الباحث اختباراً للمعلومات السابقة ، متكوناً من خمسة أسئلة



جدول ( ٥ ) يبين المتوسط الحسابي ، والانحراف المعياري ، والقيمة التائية المحسوبة مقارنةً بالجدولية لاختبار المعلومات السابقة .

ومجموع ولكل سؤال ( ٥ ) درجات ومجموع الدرجة النهائية من ( ٢٥ ) درجة ، وكذلك عرضه على مجموعة من الخبراء والمتخصصين لبيان مدى صلاحية فقراته وينظر ملحق ( ٢ ) .

الدلالة الإحصائية	القيمة التائية		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد الطلبة	المجموعة
	المحسوبة	الجدولية					
التجريبية				٣٣,٨٥٤٤١	٢٥٧,٩٦٠٠	٥٠	التجريبية
الضابطة	٠,٩٨٧	١,٨٩	٩٨	٥,٢٤٨١٧	٢٦٢,٧٤٠٠	٥٠	الضابطة

التجربة، ولم يصاحب التجربة في البحث الحالي أي حادث يعرقل سيرها، ويكون ذا أثر في المتغير التابع بجانب المتغير المستقل ، لذا أمكن تفادي أثر هذا العامل .

في أثناء مدة التجربة ، لم يتعرض أفراد المجموعتين (التجريبية و الضابطة) لأي حادث يؤثر في المتغير التابع إلى جانب الأثر الناجم عن المتغير التجريبي .

ولم تتعرض تجربة البحث الحالي إلى ما يعرقل سير خطواتها ، ويكون ذا تأثير في المتغير التابع ، فكان سير التجربة بكل انسيابية وهدوء ، وكانت بعيدة عن كل ما يعرقل سير خطواتها ويؤثر سلبياً على نتائج تجربة البحث .

\* الاندثار التجريبي : ويقصد به الأثر الناتج عن انقطاع أو ترك عدد من الأفراد ضمن مجموعات البحث في أثناء التجربة وهذا مما يؤثر في النتائج

يتضح من هذا الجدول عدم وجود فرق بين متوسط درجات المجموعتين التجريبية والضابطة عند مستوى دلالة ( ٠٥,٠ ) وعليه فإن المجموعتين متكافئتان في متغير اختبار المعلومات السابقة .

١٠ - ضبط بعض المتغيرات غير التجريبية ( السلامة الداخلية ) :-

فضلاً عما تقدم من إجراءات تكافؤ مجموعتي البحث ، حاول الباحث ضبط بعض المتغيرات غير التجريبية التي يعتقد أنّ دخولها في فترة تجربة البحث تؤثر بصورة سلبية على نتائج البحث ، وسلامة التجربة ، ومن هذه المتغيرات :-

\* ظروف التجربة والحوادث المصاحبة :- يقصد بالحوادث المصاحبة الحوادث الطبيعية التي يمكن حدوثها في أثناء مدة التجربة، مثل الفيضانات، والزلازل، والأعاصير، والحوادث الأخرى كالحروب، والإضرابات وغيرها مما يعرقل سير

( عودة وملكاوي، ١٩٨٧ ص ١٧٥ ) .

علماً أن البحث الحالي بمجموعتيه التجريبية والضابطة لم يتعرض لمثل هذه الظروف، عدا حالات الغياب الفردية المتواجدة في مادة طرائق تدريس اللغة العربية والمواد الأخرى ، والتي تحدث بنسب قليلة ومتساوية تقريباً.

\* التاركون في التجربة :- وفي البحث الحالي لم تحصل حالة ترك ، أو انقطاع ، أو نقل لأي طالب أو طالبة أو أي حالة وفاة أثناء مدة إجراء التجربة التي أجراها الباحث .

\* الوسائل التعليمية والمراجع والمصادر العلمية :- ما يخص الوسائل التعليمية فلم تتميز المجموعة التجريبية عن المجموعة الضابطة بأية وسيلة تعليمية ، أما ما يخص المصادر العلمية فإن الباحث ، حرص على تقديم المصادر التي يمكن أن تساعد الطلبة في دراستهم ، إلى طلبة مجموعتي البحث بشكل متساوٍ ، وعادل فضلاً عن إرشادهم إلى المصادر الأخرى المتوفرة في مكتبة الكلية ومكتبة قسم اللغة العربية .

\* توزيع وقت المحاضرة :- نُظِمَ الجدول الأسبوعي لمادة طرائق تدريس اللغة العربية بواسطة تدريسي المادة ، إذ حظى الباحث بمعونة رئاسة قسم اللغة العربية ، فكان الجدول الأسبوعي منظماً بحيث تُدرّس مجموعتا البحث في الأيام نفسها ( الأحد ، الاثنين ، الأربعاء ) ، وفي درسين متتاليين في كل يوم من هذه الأيام ، وبواقع ثلاث ساعات أسبوعياً لكل مجموعة ، كما موضح في أدناه :

### الجدول ( ٦ )

توزيع ساعات مادة طرائق تدريس اللغة العربية على مجموعتي البحث

اليوم	المجموعة التجريبية	المجموعة الضابطة
الأحد	٩,٣٠	١٠,٣٠
الاثنين	١٠,٣٠	٩,٣٠
الأربعاء	٩,٣٠	١٠,٣٠

وتلافياً لحدوث أي أمر طارئ حرص الباحث كل الحرص على بذل الجهد والمتابعة الدقيقة لسير خطوات تنفيذ التجربة بشكل عفوي وتلقائي .

\* بناية القسم والكلية : طبقت التجربة في قسم اللغة العربية ، وفي قاعتين دراسيتين متجاورين ، ومتشابهين من حيث المساحة وعدد الشبائيك والمقاعد والإنارة والتهوية والتدفئة والتبريد .

\* العمليات المتعلقة بالنضج :- وهي التغيرات العقلية أو الفيزيائية التي يمكن أن تحصل عند الأفراد مع مرور الزمن ( عدس ، ١٩٩٢ ص ١٩٢-١٩٨ ) .

وإن استخدام التوزيع العشوائي وتحقيق التكافؤ في العمر الزمني لأفراد عينة البحث وإجراء الاختبار في مدة زمنية واحدة وفي ظروف متشابهة كل هذه العوامل حدّت من تأثير هذا المتغير.

ولم يكن لهذه العمليات أثر في البحث الحالي، لأنّ مدة التجربة كانت موحدة لمجموعتي البحث ، أضف إلى ذلك قصر مدة البحث وهي (١٢) أسبوعاً

طرائق تدريس اللغة العربية ( في قسم اللغة العربية ) ، وعلى المادة العلمية المقررة ، صاغ الأهداف السلوكية الخاصة بكل درس من دروس المادة ضمن المستويات الستة من تصنيف ( Bloom ) للمجال المعرفي ( التذكر ، الفهم ، التطبيق ، التحليل ، التركيب ، التقويم ) ( عبيدات ، ١٩٨٩ ص ٤٠ - ٤٤ ) وعرضت هذه الأهداف على نخبة من الخبراء في طرائق تدريس اللغة العربية ، وطرائق التدريس العامة ، والمتخصصين التربويين لبيان رأيهم في سلامتها ، ومدى استيفائها لشروط صياغة الأهداف السلوكية الصحيحة ، وملاءمتها للمستويات المعرفية التي تقيسها ، وأعدمت الأهداف السلوكية التي حصلت على موافقة ( ٨٥ ٪ ) من أراء الخبراء فأكثر ، وبهذا أعاد الباحث النظر في صياغة بعض الأهداف ، ومدى وملاءمتها للمستوى المطلوب بناءً على أراء الخبراء المختصين ، وتوجيهات السيد المشرف على البحث ، وبهذا بلغ إجمالي الأهداف السلوكية في صورتها النهائية (٣٢) هدفاً سلوكياً ، الذي يبين الأهداف السلوكية ينظر ملحق (٣).

#### ٢- إعداد الخطط التدريسية :-

و ينظر إلى عملية تخطيط التدريس على أنها مجموعة الإجراءات المنظمة المطلوبة لتحديد محتوى المادة الدراسية، وأوجه النشاط، والوسائل التعليمية المتاحة واستخدامها بحيث تؤدي إلى تحقيق الأهداف الموضوعية للعملية التعليمية (عليان ، ٢٠١٠ ص ٢١٣).

أعد الباحث الخطط التدريسية اللازمة لإجراء تجربة

وهي مدة قصيرة لحدوث العمليات المتعلقة بالنضج والنمو الجسمي والعقلي والنفسي .

\* **أداة القياس** :- استعمل الباحث أداة موحدة - وهو اختبار تحصيلي ( أعده بنفسه ) في طرائق تدريس اللغة العربية لقياس التحصيل والاستبقاء لدى مجموعتي البحث (التجربيتين ، والضابطة).

اختيار أفراد العينة : وحاول الباحث السيطرة على هذا المتغير من خلال الاختيار العشوائي للعينة ومنع منع - قدر الإمكان - تأثير تداخل المتغيرات في نتائج البحث ، من طريق إجراءات التكافؤ الإحصائي بين طلبة مجموعتي البحث في مجموعة متغيرات يمكن أن يكون لتداخلها مع المتغير المستقل أثر في المتغير التابع ، ولم يشهد هذا البحث أي شكل من أشكال التحيز ، وجرى ذلك بكل أمانة وإخلاص .

#### خامساً :- مستلزمات البحث

#### ١- اشتقاق الأهداف السلوكية :- Behavioral objectives

إنَّ تحديد الأهداف السلوكية يعد أحد الأنشطة الأولية للتحضير لتدريس موضوع معين ( فريدريك ، هـ . بل . ١٩٨٦ ص ٥٩ ) ، فهي تعين الباحث في فترة تطبيق التجربة حيث تعطيه تصوراً واضحاً عن مدى ما حققه من عمل ، وتعيّنه في بناء الاختبار التحصيلي ، وكذلك تمكنه من تقويم إنجاز الطلبة بشكل دقيق ، وواضح ، لأنها تمثل سلوكاً يمكن ملاحظته بعد تعرض الطلبة للخبرات التعليمية المطلوبة .

وبعد إطلاع الباحث على الأهداف العامة لتدريس مادة

البحث ، للمجموعة التجريبية ، وصيغت على وفق إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، وخطه للمجموعة الضابطة نظمت على وفق الطريقة الاعتيادية ( التقليدية ) ، ثم عرض الباحث أنموذجاً من كل خطة على مجموعة من الخبراء التربويين المختصين وتم الأخذ بجميع الملاحظات التي أبدأها الخبراء ، وبناءً على ملاحظاتهم ، ومقترحاتهم ، أُخرجت الخطط التدريسية في صورتها النهائية ينظر ملحق (٤).

#### سادساً :- أداة البحث ( الاختبار ) :

يعرف الاختبار بشكل عام بأنه أداة قياس يتم إعدادها على وفق طريقة منظمة من عدة خطوات تتضمن مجموعة من الإجراءات التي تخضع لشروط ، وقواعد محددة ، بفرض تحديد درجة امتلاك الفرد السمة ، أو قدرة معينة من خلال إجاباته عن عينة من المثيرات التي تمثل السمة ، أو القدرة المرغوب قياسها ( عودة ، ١٩٩٣ ص ٥٢ ).

ولقياس أثر استراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في تحصيل طلبة عينة البحث واستبقاء المعلومات لديهم ، فقد أعد الباحث إختباراً تحصيلياً ليكون أداة جمع البيانات الأساسية للبحث ينظر ملحق (٥).

#### \* جدول المواصفات ( الخارطة الإخبارية ) :-

##### Table of specifications

ومن الإجراءات المهمة في إعداد اختبارات تحصيلية والتي تمتاز بالموضوعية والشمول هو إعداد جدول مواصفات ، إذ يؤخذ بالحسبان كل من الزمن المستغرق لتدريس المحتوى ، وعدد الأهداف

السلوكية المحددة ، وبذلك يتم تحديد فقرات الاختبار بموضوعية ودرجة عالية من الشمول ( Dembo , ١٩٧٧ .P , ٢٤٠ )

ومن أجل ضمان توزيع فقرات الاختبار التحصيلي الذي أعده الباحث على مفردات مادة طرائق تدريس اللغة العربية كافة ، لجأ الباحث إلى عملية إعداد جدول المواصفات ( الخارطة الإخبارية ) ، والتي تكون من المهمات الأساسية في عملية إعداد الاختبارات التحصيلية الموضوعية ، وعليه شمل جدول المواصفات ( الخارطة الإخبارية أو لائحة المواصفات ) ، كافة موضوعات المادة العلمية ، وقد حُسبت أوزان محتوى الموضوعات والأهداف والعدد الكلي لفقرات الاختبار لكل موضوع ينظر ملحق (٥)

#### \* صياغة فقرات الاختبار :-

بناءً على التوزيع الذي أسفرت عنه الخارطة الإخبارية ، أعدَّ الباحث فقرات الاختبار طبقاً لجدول المواصفات ، وبشكل فقرات موضوعية ، اتخذت أشكالاً متعددة ما بين الاختيار من متعدد ، الصح والخطأ ، إكمال الفراغات ، الأسئلة المقالية .

وصاغ الباحث ( ٥ ) أسئلة ، كل سؤال يحتوي على مجموعة من الفقرات حيث بلغ عدد فقرات الأسئلة ( ٢٥ ) فقرة ، وزع الباحث فيها الدرجات بالتساوي ينظر ملحق ( ٦ ) .

فمن الأكيد أنَّ الاختبار التحصيلي الجيد يجب أن يتميز بمواصفات معينة تجعله قادراً على تحقيق الهدف الذي وضع من أجله ، ومنها أنه يجب أن

، عدّل الباحث صياغة بعض الفقرات ، وأبقى الباحث فقرات الاختبار البالغة ( ٢٥ ) فقرةً لحصولها على أكثر من نسبة ( ٨٥ ٪ ) .

#### \* عينة الاختبار الاستطلاعية :-

طبق الاختبار التحصيلي على عينة استطلاعية مكونة من ( ٤٠ ) طالباً وطالبةً من طلبة قسم اللغة العربية في كلية التربية / جامعة البصرة في يوم الأحد الموافق ١ / ١٢ / ٢٠١٣ وطبق الاختبار بالاتفاق مع مدرس مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، وقد أوضح مدرس المادة للطلبة بأنه مستعد للإجابة عن أي استفسار ، أو توضيح للفقرات الغامضة إذا تطلب الأمر .

وخلال ملاحظة الباحث لتطبيق الاختبار وجد أنّ فقرات الاختبار كانت مفهومه وواضحة ، ومن ذلك لمس الباحث أنّ الطلبة لم يجدوا أي غموض في صياغة فقرات الاختبار .

أستغرق الطلبة في الإجابة على جميع فقرات الاختبار ( ٥٥ - ٦٥ ) دقيقة ، وبناءً على ذلك حدد الباحث وقت الإجابة لعينة البحث على الاختبار التحصيلي بمعدل متوسط هذين الرقمين ، فكان ( ٦٠ ) دقيقة ، أي باستعمال العلاقة الآتية :-

$$\text{زمن أسرع إجابة} + \text{زمن أبطأ إجابة} = ٥٥ + ٦٥$$

$$\text{زمن الاختبار} = \frac{\text{زمن أسرع إجابة}}{2} = \frac{\text{زمن أبطأ إجابة}}{2} = 60 \text{ دق}$$

#### \*٨ تحليل فقرات الاختبار :- Test Items Analysis

وهي عملية فحص أو اختبار استجابات الأفراد

يشمل مختلف أنواع الأسئلة ، ولا يركز على نوع واحد فقط ، وذلك لاختلاف قابليات ، وميول الطلبة ، من جهة ، وتنوع المادة العلمية من جهة أخرى .

#### \* صدق الاختبار ( صلاحية الفقرات ) :-

يقصد بصدق الاختبار أن يقيس ما وضع لقياسه ( أبو جادو ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٩٩ ) . وهو أن يقوم عدد من المحكمين بتقدير مدى تحقيق الفقرات للصفة المراد قياسها، ويتم التوصل إليه من خلال حكم مختص مبدئياً لمحتويات الاختبار أي النظر إلى فقرات الاختبار ومعرفة ما يبدو أنها تقيسه ( ربيع ، ٢٠٠٩ ، ص ١١٧ ) .

وأكثر أساليب تقدير صلاحية فقرات الاختبار استخداماً هي الأحكام التقييمية للخبراء المختصين في المواد الدراسية والتربوية والمناهج وطرائق التدريس وأما دور المختص في هذا المجال فهو النظر في مدى ملاءمة كل سؤال من أسئلة الاختبار الذي أعده الباحث والحكم على مدى علاقته بمحتوى المادة العلمية المقررة والهدف السلوكي الذي يمثله . وبعد أن أعدّ الباحث الاختبار في صورته الأولية، عرضه على مجموعة من الخبراء (المحكمين) المختصين في المناهج وطرائق التدريس، والعلوم التربوية والنفسية ، والقياس والتقويم ، لاستطلاع آرائهم حول مدى صلاحية فقراته في قياس المحتوى في ضوء ما يقابلها من الأهداف السلوكية التي وضعها الباحث وعدت الفقرة صالحة إذا حصلت على نسبة اتفاق ٨٥ ٪ فما فوق ، وفي ضوء ملاحظات الخبراء ومقترحاتهم

عن كل فقرة من فقرات الاختبار وتتضمن هذه العملية تعرف مدى صعوبة أو سهولة كل فقرة ومدى قدرتها في التمييز في الفروق الفردية للصفة المراد قياسها (العجيلي وآخرون ، ٢٠٠١ ص ٦٧).

فكان هدف الباحث من تحليل فقرات الاختبار هو تحسين الاختبار وإظهاره بالصورة النهائية المطلوبة ، والمناسبة ، عن طريق التعرف على نواحي الضعف في فقراته، ومعالجتها ، ووضع الحلول المناسبة لها . وبعد أن طبق الباحث الاختبار على عينة استطلاعية ، قام بتصحيح إجابات الطلبة ، وذلك بإعطاء درجة واحدة للإجابة الصحيحة ، وصفر للإجابة غير الصحيحة ، وعامل الباحث الفقرات التي تركها بعض الطلبة معاملة الإجابة الخاطئة ، وبعد تصحيح إجابات الطلبة في العينة الاستطلاعية رُتبت الدرجات تنازلياً ، ثم أُختيرت أعلى وأدنى ( ٢٧,٠ % ) منها بوصفها أفضل نسبة للمقارنة بين مجموعتي البحث وأختار الباحث نسبة ( ٢٧,٠ % ) اعتماداً على ( الإمام وآخرون ، ١٩٩٠ ص ١٠٨ ) وفيما يأتي توضيح إجراءات التحليل الإحصائي لفقرات الاختبار :

**\*معامل الصعوبة :- Item difficulty**

ويشير مستوى صعوبة الفقرة إلى نسبة المجيبين الذين أجابوا إجابة صحيحة عن الفقرة ، وهو النسبة المئوية لعدد الذين أجابوا عن الفقرة إجابة صحيحة ( سمارة وآخرون ، ١٩٨٩ ص ١٠٥ - ١٠٦ ) ، إن فقرات الاختبار تعد مقبولة إذا كان معامل صعوبتها يتراوح بين ( ٢٠,٠ - ٨٠,٠ ) ( الظاهر وآخرون ، ١٩٩٩ ص ١٢٩ ) ، لذا أتمد الباحث على هذا

المعيار في الحكم على مستوى صعوبة الفقرة ، فالفقرة التي تحصل على معامل صعوبة أقل من ( ٢٠,٠ ) تعد صعبة جداً ، ويجب استبعادها من فقرات الاختبار ، أما الفقرة التي تحصل على معامل صعوبة أكبر من ( ٨٠,٠ ) فأنها تكون سهلة جداً ، ويجب استبعادها من فقرات الاختبار ، والتي تحصل على ما بين ( ٢٠,٠ - ٨٠,٠ ) فهي متوسطة الصعوبة ، ومقبولة ، تبقى في الاختبار ، وبهذا تكون جميع فقرات الاختبار التصليلي مناسبة ، وملئمة ، وصالحة للتطبيق ، لأنها كانت ضمن المدى المناسب ( ٣٠,٠ - ٧٧,٠ ) ، وقد أستخدم الباحث القانون الآتي :-

$$\text{معامل الصعوبة} = \frac{\text{مج ص ع} + \text{مج ص د}}{\text{مج ع} + \text{مج ص}}$$

( الإمام وآخرون ، ١٩٩٠ ص ١١٢ ).

**\*معامل تمييز الفقرة :- Item discrimination**

يقصد بقوة التمييز قدرة الفقرة على التمييز بين الأفراد الذين يملكون الصفة أو يعرفون الإجابة ، وبين الذين لا يملكون الصفة المقاسة أو لا يعرفون الإجابة الصحيحة ، وبصورة عامة إن الفقرة التي يزيد معامل تمييزها عن ( ٣٠,٠ ) تعد جيدة التمييز وتستعمل بثقة ( الإمام ، ١٩٩٠ ص ١١٦ ).

وكذلك ويرى (Ebel) أن فقرات الاختبار تعد جيدة إذا كانت قوة تمييزها ( ٣٠,٠ ) فأكثر ( Ebel, 1972, p406 ).

ولحساب القوة التمييزية للفقرات استخدمت المعادلة

حيث يتذكر المفحوصون بعض إجراءات الاختبار ( دويدري ، ٢٠٠٠ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ) ، لذلك أختار الباحث طريقة واحدة لحساب الثبات ، وهي طريقة إعادة الاختبار وكما يأتي :-  
**\* طريقة إعادة الاختبار :-** وهناك طرق عدة لحساب معامل ثبات الاختبار ، اختار الباحث منها طريقة إعادة الاختبار لحساب ثبات الاختبار التحصيلي البعدي .

وهي من الأساليب المهمة في حساب الثبات ( الإمام وآخرون ، ١٩٩٠ ص ١٤٨ ) وتقوم على أساس إجراء الاختبار على عينة استطلاعية مناسبة ، تم اختيارها من مجتمع البحث الكبير ، إذ اختار الباحث ( ٥٠ ) طالباً وطالبةً من طلبة المرحلة الثالثة في قسم اللغة العربية في كلية التربية - جامعة البصرة ، لتطبيق الاختيار والتأكد من ثباته ، وبعد مرور فترة زمنية مناسبة ترتبط بطبيعة الظاهرة المدروسة ، وتنحصر هذه الفترة ما بين ( أسبوع - ٦ أشهر ) على رأي أغلب المصادر التربوية ، يعاد تطبيق الاختبار نفسه على هذه المجموعة ، وبذلك يكون لكل فرد منهم درجة في الاختبار الأول ، ودرجة في الاختبار الثاني ، وبعد ذلك يتم جمع درجات الاختبار الأول ودرجات الاختبار الثاني ، وإيجاد معامل الارتباط بينهما (معامل ارتباط بيرسون Person) ، ولا بد من الإشارة إلى أنَّ العلاقة بين الاختبارين باستخدام هذا الارتباط تنحصر بين ( -١ و +١ ) ، وأجرى الباحث الاختبار الأول في ١ / ١٢ / ٢٠١٣ ، وتم إعادة الاختبار نفسه

الخاصة بذلك، وبعد حساب قوة تمييز كل فقرة من فقرات الاختبار وجد الباحث أنها تتراوح بين (٠,٣٢ - ٠,٧٩).  
وبناءً على ذلك ، فإنَّ جميع فقرات الاختبار ذات قوة تمييزية مقبولة لأنها وقعت ضمن المدى المقبول .  
وقد أستخدم الباحث القانون الآتي :-

$$\frac{\text{نسبة الإجابات الصحيحة في المجموعة العليا}}{\text{نسبة الإجابات الصحيحة في المجموعة الدنيا}} = \text{عدد الطلبة في إحدى المجموعتين}$$

عدد الطلبة في إحدى المجموعتين

( فرحات ، ٢٠٠١ ص ٧٣ ) .

#### \* معامل الثبات :- Coefficient of reliability:

على الرغم من أن الصدق يعد أكثر أهمية من الثبات لكون الاختبار الصادق يعد ثابتاً إلا أن حساب الثبات يعد ضرورياً أيضاً لاسيما حينما لا يتوافر للاختبار صدق تام ( فرج ، ١٩٨٠ ص ٣٣٢ ) .  
والثبات يعني أتساق نتائج الاختبار مع نفسها لو أعيد تطبيقه مرة ، أو عدة مرات على الأفراد أنفسهم ( سمارة وآخرون ، ١٩٨٩ ص ٦٥٣ ) ، والاختبار الثابت هو الاختبار الذي يعطي النتائج نفسها ، أو نتائج متقاربة لها ، إذا طبق أكثر من مرة في ظروف متماثلة ، ومتشابهة ، ويمكن حساب ثبات الاختبار بطريقة إعادة تطبيق الاختبار ( Retest method - Test ) ، وبهدف الثبات ، يجب أن لا تطول الفترة بين إجراءات الاختبارات ، بحيث يزداد المفحوصون نضجاً ، أو أن تكون الفترة قصيرة

بعد مرور أسبوع في يوم ٨ / ١٢ / ٢٠١٣ ، وبعد أن طبق الباحث العمليات الإحصائية الملائمة كانت نتيجة العلاقة بين تطبيق الاختبار في المرة الأولى والمرة الثانية ( ٠,٨٠ ) وهذا يعني أن هناك علاقة قوية بين درجات الطلبة في الاختبار الأول والاختبار الثاني ، وبذلك يكون الاختبار ثابتاً حيث أعطى نتائج متقاربة .

**\* الصورة النهائية للاختبار :-** بلغت عدد فقرات الاختبار في صيغته النهائية ( ٢٥ ) فقرة ، ولكل فقرة درجة واحدة ، وبهذا تكون الدرجة النهائية للاختبار ( ٢٥ ) درجة ، وقد أبلغ الباحث الطلبة بأنه سوف يجري لهم امتحانا قبل أسبوع ، وتم تطبيق الاختبار بصورة فعلية في يوم ٧ / ١ / ٢٠١٣ ، وذلك لقياس التحصيل ، ثم صحح الباحث الإجابات وحصل على درجات الطلبة في هذا الاختبار ، وأجري تطبيق الاختبار مرة أخرى بعد مرور أسبوعين ، وذلك لقياس الاستبقاء ( الاحتفاظ بأثر التعلم ) في يوم ٢١ / ١ / ٢٠١٣ وتمت عملية تصحيح الإجابات والحصول على درجات الطلبة .

#### **\* الوسائل الإحصائية :**

استخدم الباحث الحقيبة الإحصائية ( SPSS ) وعدداً من الوسائل الإحصائية لمعالجة البيانات والمعلومات التي حصل عليها من عينة البحث وإظهار النتائج التي توصل إليها وهي :

- الاختبار التائي ( t-test ) لعينتين مستقلتين متساويتين في العدد .
- النسبة المئوية .

- معادلة صعوبة الفقرة .
- معادلة تمييز الفقرة.
- معامل ارتباط بيرسون Person .

### **المبحث الرابع**

#### **( عرض وتفسير النتائج )**

#### **أولاً : عرض النتائج**

#### **١- النتائج المتعلقة بالفرضتين الأولى:-**

#### **( فرضية التحصيل )**

تنص هذه الفرضية على أنه :

١. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ( ٠,٠٥ )، بين متوسط درجات تحصيل طلبة المجموعة التجريبية ، الذين يدرسون مادة طرائق تدريس اللغة العربية بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، ومتوسط درجات تحصيل طلبة المجموعة الضابطة ، الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية .

بعد انتهاء تجربة البحث ، وتطبيق الاختبار التحصيلي ، ولاختبار صدق هذه الفرضية قام الباحث ، بعد تصحيح إجابات مجموعتي البحث ، ثم حساب الوسط الحسابي والانحراف المعياري والتباين لأداء المجموعتين التجريبية والضابطة ( في الاختبار التحصيلي النهائي ) ، الذي أعده لهذا الغرض ، على وفق مستويات ( Bloom ) المعرفية ، إذ بلغ الوسط الحسابي لدرجات المجموعة التجريبية (١٩,٠٠٠٠) وبانحراف معياري (٣,١٢٩٨٤) وبتباين (٩,٧٩٦٠٩) ، والوسط الحسابي لدرجات المجموعة الضابطة



الاختبار التحصيلي النهائي ، وبذلك تقبل الفرضية الصفرية التي تنص على أنه ( يوجد فرق ذو دلالة) إحصائية ( ٠,٠٥ ) ، بين متوسط درجات تحصيل طلبة المجموعة التجريبية، الذين يدرسون مادة طرائق تدريس اللغة العربية بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، ومتوسط درجات تحصيل طلبة المجموعة الضابطة ، الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية ( ) ، ينظر الجدول في أدناه :

جدول ( ٧ )

نتائج اختبار ( T.test ) بين المتوسط الحسابي ، والانحراف المعياري ، والقيمة التائية المحسوبة مقارنةً بالجدولية للاختبار التحصيلي النهائي للمجموعتين التجريبية والضابطة .

( ٦٧٥٩٧,٢ ) وانحراف معياري ( ٦٨٠٠,١٧ ) وبتباين ( ١٦١,٧ ) ، وعند حساب دلالة الفرق بين المجموعتين باستخدام الاختبار التائي ( T.test ) لعينتين مستقلتين متساويتين ، عند مستوى دلالة ( ٠,٠٥ ) وبدرجة حرية ( ٩٨ ) ، وجد أنه دال إحصائياً حيث كانت القيمة التائية المحسوبة ( ٢٦٧,٢ ) والقيمة الجدولية ( ١, ٨٩ ) ، ولما كانت القيمة التائية المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية ، فإنّ هذا يدل على تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين درّسوا على وفق إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) على طلبة المجموعة الضابطة الذين درّسوا على وفق الطريقة التقليدية في مادة طرائق تدريس اللغة العربية في

الدلالة الإحصائية	القيمة التائية		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد الطلبة	المجموعة
	المحسوبة	الجدولية					
دال إحصائياً	٢,٢٦٧	١,٨٩	٩٨	٣,١٢٩٨٤	١٩,٠٠٠٠	٥٠	التجريبية
				٢,٦٧٥٩٧	٦٨٠٠,١٧	٥٠	الضابطة

متوسط درجات الاستبقاء ، لدى طلبة المجموعة التجريبية ، الذين يدرسون مادة طرائق تدريس اللغة العربية بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، ومتوسط درجات الاستبقاء ، لدى طلبة المجموعة الضابطة، الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة

التباين = ٧٩٦,٩ التباين = ١٦١,٧  
٢-النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية :- ( فرضية الاستبقاء )  
تنص هذه الفرضية على :  
١. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية (٠,٠٥)، بين

التقليدية .

بعد مرور مدة أسبوعين تم إعادة الاختبار لمعرفة ، وقياس الاستبقاء ( مدى احتفاظ طلبة المجموعتين ) بالمعرفة في مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، وبعد أن أنهى الباحث كافة الإجراءات ، قام بحساب الوسط الحسابي والانحراف المعياري والتباين لأداء المجموعتين التجريبية والضابطة ، إذ بلغ الوسط الحسابي لدرجات المجموعة التجريبية (١٨ , ٠٦٠٠) و (١٨٠٣٦,٢) وتباين (٦٠٩,٧) ، والوسط الحسابي لدرجات المجموعة الضابطة (١٦ , ٠٥٤٠٠) و (١٦٠٧٧,٢) وتباين (٧٦٤,٥) ، وعند حساب دلالة الفرق بين المجموعتين باستخدام الاختبار التائي (T. test) لعينتين مستقلتين متساويتين، عند مستوى دلالة ( ٠٥,٠ ) وبدرجة حرية ( ٩٨ ) ، وجد أنه دال إحصائياً حيث كانت القيمة التائية المحسوبة ( ٩٣٩,٢ ) والقيمة الجدولية ( ٨٩,١ ) ، ولما كانت القيمة التائية المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية ،

فإنّ هذا يدل على تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين درّسوا على وفق إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) على طلبة المجموعة الضابطة الذين درّسوا على وفق الطريقة التقليدية في مادة طرائق تدريس اللغة العربية في الاحتفاظ بالمعلومات ، وبقاء أثرها ( الاستبقاء ) ، وبذلك تقبل الفرضية التي تنص على أنه ( يوجد فرق ذو دلالة إحصائية (٠,٠٥) ، بين متوسط درجات الاستبقاء ، لدى طلبة المجموعة التجريبية ، الذين يدرسون مادة طرائق تدريس اللغة العربية بإستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، ومتوسط درجات الاستبقاء ، لدى طلبة المجموعة الضابطة ، الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية ) ، ينظر الجدول في أدناه :

جدول ( ٨ )

نتائج اختبار ( T.test ) بين المتوسط الحسابي ، والانحراف المعياري ، والقيمة التائية المحسوبة مقارنةً بالجدولية في الاحتفاظ بأثر المعلومات ( الاستبقاء ) للمجموعتين التجريبية والضابطة .

المجموعة	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية	
					الجدولية	المحسوبة
التجريبية	٥٠	١٨ , ٠٦٠٠	٢,٧٥٨٣٦	٩٨	١,٨٩	٢,٩٣٩
الضابطة	٥٠	١٦ , ٠٥٤٠٠	٢,٤٠٠٧٧			

التباين = ٧٦٤,٥

التباين = ٦٠٩,٧

## ثانياً : تفسير النتائج :-

الجانب الذاتي لدى المتعلم وتحترم شخصيته ، وكلما كانت مرحلة الأعداد مبنية على اطر صحيحة كلما كانت شخصية المدرس والمعلم ذات جانب علمي ومؤثرة في الطلبة في المرحلة الثانوية أو المتوسطة مستقبلاً ، كما أن مهارات استراتيجيات ما وراء المعرفة ومنها وان إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) يمكن تعليمها خلال مدة أعداد الطلبة لمهنة التعليم والتدريس حينها يمكنه من استخدامها في مهنته المستقبلية، وإن التدريب المعرفي وما وراء المعرفي يحسن قدرات الطلبة الفكرية .و يرى ( عطية ، ٢٠١٠ ) أنها من الاستراتيجيات المهمة ذوات الأثر الفعال في تنمية مهارات التفكير ما وراء المعرفي ( عطية ، ٢٠١٠ ص ١٧١ ) .

٤. إن الطلبة في إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، تحصل لديهم حالة تشوق واندفاع نحو عملية التعلم لأن هذه الإستراتيجية من الإستراتيجيات حديثة العهد لدى الطلبة في التدريس ، ولم يألفوها سابقاً وهي طريقة فاعلة تقضي على الروتين ، والتلقي السلبي .

٥. إن إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ساعدت الطلبة على تطوير عملية تنظيم المعلومات في عملية المذاكرة ، لأنها تعتمد على التسلسل المنطقي للمعلومات وتشجعهم على التعلم الذاتي من خلال التساؤلات الذاتية التي يريدون الإجابة عليها.

٦. إن استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) زاد من مهارة التساؤل الذاتي ، وبالتالي إثارة الدافعية التعلم لدى الطلبة ، من خلال الرغبة الملحة

في ضوء النتائج التي توصل إليها الباحث و التي تم عرضها ومناقشتها ، يرى الباحث أن سبب تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين تمت عملية تدريسهم على وفق إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في مادة طرائق تدريس اللغة العربية على طلبة المجموعة الضابطة الذين تمت عملية تدريسهم في المادة نفسها بالطريقة التقليدية ( الاعتيادية ) في قد يعود إلى الأسباب الآتية :

١. إن استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) ، باعتبارها من استراتيجيات ما وراء المعرفة ومن الإستراتيجيات التدريسية الحديثة التي أكدت عليها العديد من البحوث والدراسات التربوية ونادت بضرورة استعمالها ، أدت هذه الإستراتيجية إلى تفاعل الطلبة مع مادة طرائق تدريس اللغة العربية ، مما أدى إلى زيادة التحصيل العلمي لديهم وحبهم للمادة العلمية المقررة .

٢. إن مادة طرائق تدريس اللغة العربية من المواد التربوية التي تحتاج إلى إدخال المستجدات والمستجدات التربوية كونها مادة أساسية في تشكيل وصياغة الجانب المهني في شخصية مدرس ومعلم المستقبل .

٣. إن مرحلة الإعداد التي يمر بها طالب قسم اللغة العربية في كلية التربية تجعله بحاجة ملحة إلى أن يطلع على أسس البناء العلمي الرصين الذي يجعل من المتعلم مركزاً ومحوراً له وان إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) من هذه الاستراتيجيات التي تنمي

للحصول على إجابات مقنعة لهذه التساؤلات الذاتية ، ومن هنا يقع على عاتق هذه الإستراتيجية تحقيق وتقوية وصقل وتعزيز هذه الدافعية .

٧. إن إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) جعلت من تفكير الطلبة تفكيراً علمياً ينحو نحو التحدي العلمي والمواجهة العلمية ، لأنها تجعل من الدرس أو المادة العلمية عبارة عن مجموعة من التساؤلات ( المشكلات ) التي تتطلب حلاً ، ولا يمكن حلها إلا عن طريق التفكير العلمي واستعمال العقل وليس الحافظة فقط .

٨. إن استعمال استمارة إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) جعل من الطلبة متفاعلين مع تدريسي المادة ، وذلك لأنها تجعل من عملية التعلم عملية منظمة متتالية مرتبة عن طريق التسلسل الذي يتضمنه هذا الجدول من فقرات ( ماذا اعرف ؟ ، ماذا أريد ؟ ، ماذا تعلمت ) ، وبالتالي تصبح المعلومة العلمية أكثر رسوخاً وأكثر نضجاً معرفياً في تفكير الطلبة وذلك لوجود رابط بين كل جدول من جداول الاستمارة وبين كل تساؤل موجود في حقولها .

٩. إن استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) تجعل من قاعة الدرس ذات مناخ علمي يحفز الطلبة على الانتباه والمتابعة والتركيز واستمرار التعلم لان المتعلم في حالة اكتشاف دائم لمعلومات جديدة إجابة لما طرحه من تساؤلات في حقل ( ماذا أريد ؟ ) .

١٠. أن استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) مكن طلبة المجموعة التجريبية من الابتعاد عن ظاهرة الحفظ الروتيني ، لأنها تتطلب

بذل جهد فكري والاعتماد على النفس في صياغة الأفكار واستعمال الطلبة لغتهم الخاصة ومفرداتهم الشخصية في طرح التساؤلات وإعادة ترتيب الأفكار وتنظيم المعلومات ومتابعة الإجابة .

ثالثاً : الاستنتاجات :- في ضوء النتائج السابقة ، تم التوصل إلى الاستنتاجات الآتية :-

١- أثبتت إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) تفوقاً على الطريقة التقليدية في تحصيل طلبة المرحلة الثالثة في قسم اللغة العربية في كلية التربية – جامعة ميسان في مادة طرائق تدريس اللغة العربية .

٢- أثبتت إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) تفوقاً على الطريقة التقليدية في استبقاء المعلومات لدى طلبة المرحلة الثالثة في قسم اللغة العربية في كلية التربية – جامعة ميسان في مادة طرائق تدريس اللغة العربية .

٣- إن استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) يزيد من المستوى العلمي لطلبة أقسام اللغة العربية في كليات التربية، ولا سيما أنهم الشريحة التي تبنى عليها آمال الخطط التربوية المستقبلية لمجتمعنا لغرض النهوض بالواقع التربوي في مدارسنا.

٤- إن استعمال إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) يحفز الطلبة على القراءة باستمرار و التحضير اليومي والمشاركة الصفية ، ويشوقهم إلى الدرس ، ويجعلهم أكثر فاعلية مع الموضوع الدراسي ، وتدريسي المادة .

٥- إمكانية تطبيق إستراتيجية الجدول الذاتي

( K.W.L ) بكل سهولة ويسر في قسم اللغة العربية في كلية التربية في ميسان بما يتلاءم مع القدرات المتاحة .

٦- إنَّ إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) تتلاءم مع تدريس مادة طرائق تدريس اللغة العربية لكونها مادة علمية تتطلب تعاون الطلبة وتبادل الخبرات فيما بينهم .

**خامساً : المقترحات :- استكمالاً لهذا البحث يقترح الباحث إجراء البحوث الآتية :-**

١- دراسة تجريبية مماثلة في تحصيل طلبة قسم اللغة العربية- كلية التربية في مواد دراسية مختلفة مثل النحو ، والصرف ، والبلاغة .

٢- دراسة تجريبية مماثلة في تحصيل طلبة قسم اللغة العربية- كلية التربية في مواد دراسية تربوية أخرى مختلفة مثل علم النفس التربوي، مبادئ التربية، علم نفس النمو، المشاهدة ( لتربية العملية ) وغيرها .

٣- دراسة تجريبية مماثلة في تحصيل طلبة قسم اللغة العربية- كلية التربية الأساسية في مراحل دراسية أخرى .

٤- دراسة تجريبية مماثلة في أثر استراتيجيات أخرى من استراتيجيات ما وراء المعرفة في تحصيل طلبة قسم اللغة العربية- كلية التربية في مادة طرائق

تدريس اللغة العربية .

٥- إجراء دراسة مقارنة بين أثر إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) واستراتيجيات تدريسية .

٦- إجراء دراسة حول أثر إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في متغيرات تابعة أخرى مثل التفكير الناقد والإبداعي والعلمي والاتجاه نحو المادة والاحتفاظ بالتعلم .

٧- إجراء دراسة مماثلة على الإناث لمعرفة اثر إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في اكتساب المفاهيم وبعض المتغيرات الأخرى .

٨- إجراء دراسة مماثلة على الذكور لمعرفة اثر إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) في اكتساب المفاهيم وبعض المتغيرات الأخرى .

٩- دراسة تجريبية مماثلة على طلبة قسم اللغة العربية - كلية التربية في متغيرات أخرى مثل : اكتساب المفاهيم التربوية ، الاتجاهات ، الميول ، التفكير أو احد أنواعه .

١٠- المقارنة بين إستراتيجية الجدول الذاتي ( K.W.L ) وبين استراتيجيات معرفية أو ما وراء معرفية وأثرها في متغيرات متعددة كالتحصيل أو استبقاء المعلومات أو انتقال اثر التعلم أو تنمية التفكير العلمي أو التفكير الناقد وغيرها .



## المصادر والمراجع

- ١- إسماعيل ، زكريا : طرق تدريس اللغة العربية ، ط ١ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ٢٠١١م.
- ٢- إبراهيم ، ناصر : أسس التربية ، ط ١ ، الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٨٨ م .
- ٣- أبو جادو ، صالح محمد علي : علم النفس التربوي ، ط ٣ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠٠٣
- ٤- أبو جادو، صالح محمد، ومحمد بكر نوفل : تعليم التفكير- النظرية والتطبيق، ط ١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٧م.
- ٥- اللقاني، حسن احمد، والجمال، علي: معجم المصطلحات التربوية المعرفّة في المناهج وطرائق التدريس، ط ١، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٩٦ .
- ٦- الإمام، مصطفى محمود وآخرون : التقويم والقياس ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٩٠ م .
- ٧- بدر ، بثينة محمد : أثر التدريب على استراتيجيات ما وراء المعرفة في تنمية أساليب التفكير لدى طالبات قسم الرياضيات في كلية التربية مكة المكرمة ،المركز العربي للتعليم والتنمية ، مجلة مستقبل التربية ، القاهرة ، المجلد(١٢) – العدد (٤١) ، ٢٠٠٦م .
- ٨- جابر ، جابر عبد الحميد و حبيب عايف : أساسيات التدريس للصف الثالث معاهد أعداد المعلمين ، ط ١ ، مطبعة الأمل ، بغداد ، ١٩٨٥ م .
- ٩- حسين ، محمد كامل : مذكرة عن الطريقة الحديثة في تعلم النحو ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ١٠- الحيلة ، محمد محمود : مهارات التدريس الصفي ، ط ٣ ، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠٠٩ م .
- ١١- دايرسون ، مارغريت : استراتيجيات للاستيعاب القرائي ، ط ٣ ، دار الكتاب التربوي للنشر، الدمام ٢٠٠٤ .
- ١٢- الدليمي ، طه علي حسين : تدريس اللغة العربية بين الطرائق التقليدية والاستراتيجيات التجديدية ، ط ١ ، عالم الكتب الحديث اربد ٢٠٠٩ م .
- ١٣- دويدري ، رجاء وحيد : البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ٢٠٠٠ م .
- ١٤- ربيع، محمد شحاته : قياس الشخصية ، ط ٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان ٢٠٠٩ م .
- ١٥- سمارة، عزيز وآخرون : مبادئ القياس والتقويم في التربية ، ط ٢ ، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٩م.
- ١٦- صلاح الدين محمود علام : القياس والتقويم التربوي والنفسي ، ط ١ ، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٠م.
- ١٧- الظاهر ، زكريا محمد وآخرون : مبادئ القياس والتقويم في التربية ، ط ١ ، مطابع الأرز ، عمان ١٩٩٩ م .
- ١٨- عبد السلام ، عبد السلام مصطفى : تدريس العلوم ومتطلبات العصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠٠٦ م .
- ١٩- العذاري ، شهاب الدين:ملاحم المنهج التربوي عند أهل البيت ( ع ) ، ط ١ ، إصدار مركز الرسالة ، مطبعة ستاره ، قم ١٤٣٢هـ .
- ٢٠- عطية ، محسن علي : استراتيجيات ما وراء

٣٠- القيسي ، عبد الله مطيع وآخرون : اللغة العربية أهميتها في التعلم ، مجلة رسالة المعلم ، مجلد (٢٦) ، العدد (٣) ، عمان ١٩٨٥ م . عبيدات ، سليمان ، احمد : القياس والتقويم في العملية التدريسية ، ط٢ ، المطبعة الوطنية ، بغداد ١٩٨٨ م .

٣١- عبيدات، محمد وآخرون : منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل التطبيقات ، ط٢، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٩٩ م .

٣٢- العجيلي ، صباح حسن وآخرون : مبادئ التقويم التربوي ، مكتبة احمد الدباغ ، بغداد ٢٠٠١ م .

٣٣- عدس ، عبد الرحمن : أساسيات البحث التربوي ، ط١ ، دار العرفان للنشر عمان ١٩٩٢ م .

٣٤- العزاوي، رحيم يونس كرو ، ناصر عبد علي ، أحلام : اثر التدريس باستخدام إستراتيجية (K.W.L) في التحصيل الدراسي في مادة المناهج وطرائق التدريس لدى طلبة المرحلة الثالثة بقسم الرياضيات لكلية التربية - الجامعة المستنصرية ، مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية ، العدد الثاني ٢٠١١ م .

٣٥- عليان ، ربحي مصطفى وغنيم ، عثمان محمد : أساليب البحث العلمي ، ط١ ، دار صفاء للطباعة والنشر ، عمان ٢٠٠٤ م .

٣٦- عليان، شاهر ربحي : مناهج العلوم الطبيعية وطرق تدريسها (النظرية والتطبيق) ، عمان، دار المسيرة ، عمان ٢٠١٠ م .

٣٧- عودة ، أحمد سلمان : القياس والتقويم في العملية التدريسية ، ط٣ ، دار المسيرة ، عمان ، ١٩٩٣ م .

٣٨- عودة، احمد سليمان وملكاوي، فتحي حسن :

المعرفة في فهم المقروء ، ط١ ، دار المناهج ، عمان ، ٢٠٠٩ م .

٢١- عطية ، محسن علي : البحث العلمي في التربية ، مناهجه ، وأدواته ، ووسائله الإحصائية ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠١٠ م .

٢٢- العليان ، فهد : إستراتيجية (K.W.L) في تدريس القراءة ومفهومها ، اجرائياتها ، فوائدها ، مجلة كلية المعلمين ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، الرياض ٢٠٠٥ م .

٢٣- عليان ، ربحي مصطفى وغنيم ، عثمان محمد : أساليب البحث العلمي ، ط١ ، دار صفاء للطباعة والنشر ، عمان ٢٠٠٤ م .

٢٤- العمر ، علاء جميل ، تقويم برامج المدرسة الأساسية في القطر الجزائري ، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، العدد ( ١٢ ) ، الجمعية العراقية للعلوم التربوية، والنفسية ، بغداد ، ١٩٨٩ م .

٢٥- الفاهمي ، عبد الرحمن عبد الله : استراتيجيات ما وراء المعرفة... تطبيقات في تدريس اللغة العربية، دار المملكة للطباعة والنشر، الرياض ٢٠٠٩ م .

٢٦- فرج ، صفوت: القياس النفسي ، ط١ ، مطبعة دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

٢٧- فرج : عبد اللطيف حسين : تحفيز التعلم ، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠٠٦ م .

٢٨- فرحات ، ليلي السيد : القياس المعرفي الرياضي ، ط١ ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ٢٠٠١ م .

٢٩- قطامي ، يوسف وماجد أبو جابر : تصميم التدريس، ط٣، دار الفكر ، عمان ٢٠٠٨ م .

للنشر والطباعة والتوزيع ، عمان ٢٠١١م .  
Ebel, R-1-Essentail of Educational Measurement, and Ed., Englewood Cliff. N. Y, Prentice-Hall, 1971.  
Dembo, M. H, «Teaching for Learning», New York, Good Year Publication Company, 1977.  
Judy ,stevens & Goldberg.Dee .For the learner,s sake :Brain-Based Instruction for the 21st century .Arisona, Zephy press ,2001 .  
Webester's :( 1971 ) Third New International Dictionary of English Language . New York , Vol , L , No, 3 , .

اساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الانسانية  
ط ١ ، دار التربية ، عمان ١٩٨٧م .  
٣٩- الكلزة ، رجب أحمد ، أثر استخدام رزمة تعليمية في تدريس الجغرافية على تحصيل تلاميذ الصف السابع الأساسي واتجاهاتهم نحو التعلم الذاتي ، مجلة كلية التربية ، المنصورة ، ج٣، ع١٠٤ ، ١٩٨٩م .  
٤٠- ياسين ، واثق عبد الكريم وحسين علي. : فاعلية استخدام أنموذج (PEOE) وإستراتيجية(K.W.L) في استيعاب المفاهيم واستبقائه في تدريس البصريات العملية لطلبة الفيزياء في كلية التربية المفتوحة، بحوث المؤتمر الثامن عشر لكلية التربية، الجامعة المستنصرية ٢٠١١م .  
٤١- ياسين ، واثق عبد الكريم وراحي، زينب حمزة : المدخل البنائي واستراتيجيات في تدريس المفاهيم العلمية ، ط١، مكتبة نور الحسن ، بغداد ٢٠١٢م .  
٤٢- يوسف ، سليمان عبد الواحد : الفروق الفردية في العمليات العقلية المعرفية ، ط١ ، دار المسيرة





- a. After submission, the author will receive notification that the article has been received
- b. The author whose article is accepted for publication will be notified by the board of editors about the date of publication.
- c. The articles which need modification and changes will be sent back to their authors in order to do the required changes.
- d. Authors whose articles are rejected will receive notification of this decision without giving reasons.
- e. The author of published article will be provided with a copy of the issue in which his/her article appears, three re-prints and a financial reward.

12. Priority of article publication depends on:

- a. Participation in the conferences held by the publisher .
- b. The date of receiving the article by the editor.
- c. The date of receiving the modified articles, and
- d. The diversity of research areas in the journal.

13. An author can not get back his/her article if it is being under review by the editorial board unless there are substantive reasons, and this should be within two weeks of receiving the article.



# Publications Rules

- 1.The journal publishes the original scientific articles which adhere to the scientific procedures and the global common standards, and are written either in Arabic or English on various fields of Arabic language and literature, and education.
- 2.The author should provide 3 copies of the original article printed on A4 size, together with a CD copy , within 10,000 -15.000 words in length , usig simplified Arabic font and Word 2007 page numbering format.
3. Abstract should be submitted in a separate page written in both Arabic and English, and include the title of the article.
- 4.The first page of the article should include the author's name , address , institutional affiliation , mobile ,and e-mail , but author's /s' name/s should not appear in the body of the article.
5. All sources in the article should be given a number placed in a superscript which will be in the form of endnotes at end of the article taking in consideration the common system of documentation.
6. All the sources listed in the endnote should be listed in a bibliography given on a separate page after the notes at the end of the article . in case of having foreign sources , they should be grouped together in a separate list and arranged alphabetically.
- 7.Tables, photos, and drawings should be given in separate pages with a reference to their sources at the bottom in a caption.
- 8.A bioprofile should be given if the author collaborates with the journal for the first time, with an illustration if the article has previously been presented at a conference or not.
- 9.The article should not be an off-print of a thesis or dissertation and it has not been published or submitted simultaneously for publication elsewhere.
10. The views expressed in DAWAT Journal are those of the article authors, and they do not necessarily represent the views of the journal.
11. Research articles are reviewed confidentially in order to assess its suitability for publication and they are not given back to the authors if they are accepted for publication or rejected, but in accordance with the following procedure:

Managing Editor

Assist.Prof.Khalid Abbas Al.Syaf

Secretary Editor

Mr.Haydar Al-Salamy

Board of Editors

Prof.Dr.Mustafa AL-Ddabaa(Egypt)

Prof.Dr.Munira Muhammad Faour(Syria)

Assist.Prof.Dr.Sadiq Hussein Knyj(Iraq)

Assist.Prof.Dr.Muhammad Abd Mashkooor(Iraq)

Assist.Prof.Dr.Haydar Habib Hamza(Iraq)

Assist.Prof.Dr.Hassan Abdulghany Al-Assady(Iraq)

Assist.Prof.Dr.Talal Khalifa Sulyman(Iraq)

Assist.Prof.Dr.Hassan Jaffer Sadiq (Iraq)

Assist.Prof.Dr. Najim Abdullah Ghali(Iraq)

Secretary Editor

Mr.Haydar Al-Salamy

Proofreaders

Dr.Haydar Abdali Hemydy

Dr.Hussam Adnan Al-Yasiry

Translation

Dr.Muayyad Omran Chiad

Electronic Website

Haider Al-Amiry

Design and Production

Saifuldeen AL-Zamili

Follow up and Coordination

Hussein Sadiq

Hassan Al- Awady

Ali Saad Lateef

Alaa Aldeen Alhassuny

Qasim Al-Musawy

Musaab Hadi Al- Numany

Hassan Al-Zihary

Abass Al-Sabag

Ameer Hashem

## General Supervisor

Sheikh: Abdul-Mehdi El-Kerbala'I

## Editor-in-Chief

Mr. Lateef Al-Qasab

## Advisory Board

Prof. Dr Hussein Nasar (Cairo-Egypt)

Prof. Dr. Mahmoud Muhammad Al-Hassan (Syria)

Prof. Dr. Abdalali Al-Wadghiry (Morocco)

Prof. Dr. Sahib Jaffer Abujinah (Iraq)

Prof. Dr. Sabah Abbas Al-Salim (Iraq)

Prof. Dr. Kareem Hussein Naseh (Iraq))

Prof. Dr. Raheem Jabr Al-Hissnawy (Iraq)

Prof. Dr. Farooq Al-Haboobi (Iraq)

Prof. Dr. Ahmed Jwad Al-Atabi (Iraq)

Prof. Dr. Mehdi Salah Al. Shimary (Iraq)



In the Name of Allah, the most Gracious, the  
Most Merciful

﴿And His signs are the creation of heavens and earth and  
the diversity of your tongues and colors. Surely, there are  
signs in this for all the worlds﴾

(Surat Ar-Rum, Ayat 22)



دار اللغة العربية



**DAWAT** دار

Quarterly Refereed Journal for Researchers, and Linguistic and Educational Studies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein,  
Department of Media, Arabic Language House

Licensed by

Ministry of Higher Education and  
Scientific Research, Republic of Iraq

Consignment Number in the Book-House and  
Iraqi Documents: 2014,1963

[www.alh.imamhussain.org](http://www.alh.imamhussain.org)

E-mail: [daralarabia@imamhussain.org](mailto:daralarabia@imamhussain.org)

mob: +9647827236864 — +96447721458001